

تاريخ المشترك الثقافي بين مصر واليمن، ق. م

الناصية

مجلة فصلية تُعنى بقضايا الفكر والثقافة تصدر مؤقتاً كل ستة أشهر عن مؤسسة أمجد الثقافية والحقوقية

قراءة لدور النساء
في تحقيق السلام
المجتمعي
(عفراء حريري)



محمد سعيد جرادة..

باحثاً

يحيى قاسم سهل

السخرية في شعر عمرو

الإرياني
(سعيد بایونس)

تين شوكي
(سهير السمان)

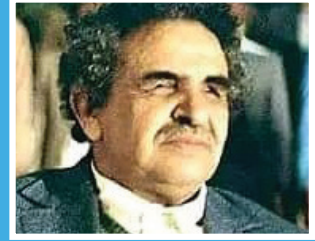
تعز.. عوالم

جمال

ومعالم

دهشة

عبدالواحد السامعي



البردوني.. البصير الذي

صار عيناً لشعبه (ملف)

فاروق السامعي- عزالدين العامري



الناصية

رئيس التحرير/

أ.د. يحيى قاسم سهل

مدير التحرير/

محمد عبد الرحمن سيف

سكرتير التحرير/

ماجد الشعبي

المراجعة اللغوية/

د.عباس حسن الزامكي

الإخراج الفني

مراد محمد سعيد

تصميم الغلاف

ريان الشيباني

مجلة فصلية، تُعنى بقضايا الفكر والثقافة "تصدر مؤقتاً كل ستة أشهر" عن مؤسسة أمجد الثقافية والحقوقية

العدد (الخامس) يونيو / حزيران 2024 - السنة الثالثة

مجلة الفكر والثقافة

تأسست في عدن عام 2021 م

عنوان المجلة : اليمن عدن- كريتر

009672260082

00967777808724

00967771812087

البريد الإلكتروني: alnasyahclub@gmail.com

الاشتراكات:

يتفق بشأنها مع هيئة التحرير

ثمن النسخة : 2000 ريال يمني

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية عدن:

1201/2022

طبع بمطابع (دي) عدن

هاتف: 0096777997433



امسح QR

وتابعنا على مدونة المجلة

ما ينشر في المجلة من
مواضيع تعبر عن آراء
كتابها، ولا تعكس بالضرورة
وجهة نظر هيئة تحريرها
أو المؤسسة الصادرة عنها..

3	الإهداء
6	الافتتاحية - رئيس التحرير

دراسات - بحوث - مقالات

7	الحرية المتخيلة والعدالة الغائبة. قاسم عبده المحبشي
15	اليمن : التاريخ والهوية.(1) قادري أحمد حيدر
29	أسس التوزيع لعائدات الثروة الوطنية في الدولة الاتحادية. : صعوبة المسار، وصواب الخيار في اليمن (2) - عبد الجبار عبدالله سعيد

ملف العدد [قضايا السلام في اليمن]

46	مسارات ارساء سلام عادل وشامل ومستدام في اليمن. مركز صنعاء للدراسات الإستراتيجية
73	حرب تمر على أجساد النساء - ثريا دماج
80	قراءة لدور النساء لتحقيق السلام والأمن المجتمعي - عفراء خالد حريري

الملف الثقافي

84	البردوني : البصير الذي صار عينا لشعبه _ملف (1). فاروق السامعي، و عزالدين العامري
102	محمد سعيد جرادة : باحثاً.. يحيى قاسم سهل

أدب

109	شعرية السخرية في ديوان "الخروج من منقضة السجائر" لعمرى الارياني. سعيد بايونس
117	إنتهاء... أ. حمد قاسم دماج
118	سراب..... عادل الصياد
119	حديث الشوق.. محمد عبده أفلح
120	على ناصية الدهشة.. عبد الكريم الشميري
121	تبين شوكي، سهر السمان
123	ماتيسر لحلم. سمير عبد الفتاح

مدن وتاريخ وثقافة

125	تعز : عوالم جمال ومعالم دهشة. عبد الواحد السامعي
-----	--

مجتمع مدني

140	_المجتمع المدني في اليمن يبرز تحت التعسفات والقيود "تقرير" هناء عبد ربه
-----	---

كتاب

145	تاريخ المشترك الثقافي بين مصر واليمن في كتاب موسوعي. ق، م
-----	---

157	إصدارات
161	محددات النشر
162	تعرف علينا

الإهداء

هيئة التحرير

تقديراً وعرفاناً لدور الأدباء والكتاب والمثقفين الذين أثروا بإعمالهم الأدبية والفكرية والثقافية الحياة الأدبية والحركة الثقافية في اليمن؛ فإننا في مجلة الناصية نهدي هذا العدد لروحي الأديبين: الأستاذ أحمد محفوظ عمر، والأستاذ محمد صالح حيدرة، اللذين رحلا عن دنيانا ونحن بصدد الإعداد لإصدار هذا العدد. "نسأل الله العلي القدير أن يغشاهما برحمته الواسعة"

أولاً: الأستاذ الأديب الفقيه أحمد محفوظ عمر [في سطور]

الميلاد والدراسة، والعمل:

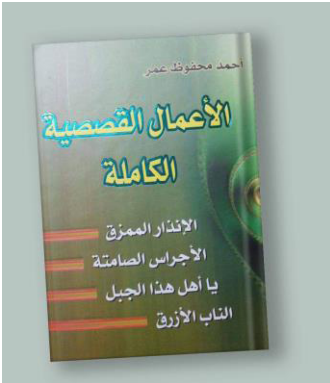
- ولد الأديب أحمد محفوظ عمر في مدينة عدن سنة 1936م، ودرس في مدارس مدينة عدن حتى أكمل الثانوية العامة.

- عمل بعد تخرجه من الثانوية العامة معلماً في مدارس عدن. وفي سنة 1975م انتقل للعمل في مركز البحوث التربوية بعدن، وتولى مسؤولية مدير تحرير مجلة "التربية الجديدة". ثم عمل في مركز الأبحاث الثقافية بعدن.



الأعمال الإبداعية:

يعد الأديب أحمد محفوظ عمر أحد الشخصيات الرائدة في الأدب اليمني الحديث. وواحد من رواد القصة القصيرة في اليمن، وصاحب ثاني مجموعة قصصية يمنية (الإنذار الممزق سنة 1960م) بعد مجموعة (أنت شيوعي لصالح الدحان سنة 1957م)



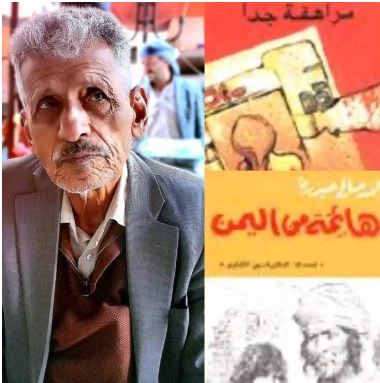
_ صدرت له أربع مجموعات قصصية، هي:
 - الإنذار الممزق سنة 1960م.
 - الإجراس الصامتة عام 1974م.
 - يا أهل هذا الجبل عام 1978م.
 - الناب الأزرق عام 1980م.
 جُمِعَتْ هذه الأعمال في مجلّد واحد، بعنوان "الأعمال القصصية الكاملة" عام 2010م.

_ كما أصدر كتاباً بعنوان "قطرات من حبر ملون"، وهو عبارة عن مقالات نشرها الكاتب في صحيفتي الأيام، و14 أكتوبر الصادرتان في عدن.
 _ له مجموعة قصصية، وروايتان. لم تصدر بعد.
 _ من مؤسسي اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين.
 _ تُرجمت أعماله إلى اللغة الإيطالية، وأدرجت عام 2009م ضمن مختارات الأدب اليمني التي تُسمّى "بيرل ديلو اليمن".
 وفاته:

توفي الأديب أحمد محفوظ عمر يوم 27 يناير 2024م في مدينة عدن عن عمر ناهز الـ (88) عاماً.

ثانياً: الأستاذ الأديب الفقيه محمد صالح حيدرة. [في سطور]

الميلاد والدراسة، والعمل:



- ولد الفقيه محمد صالح حيدرة سنة 1952م، في مديرية لودر محافظة أبين. درس في مدارس مدينة عدن حتى الثانوية العامة.
 - تُمّرّ درس الإعلام والاتصال في جامعة القاهرة.

- عمل بعد تخرجه من الجامعة، ولفترة قصيرة مدرساً، تُمّرّ عاد للعمل الإعلامي



والصحفي. فعمل معداً لبرامج إذاعية ذات طابع ثقافي، ثم مسؤولاً عن القسم الثقافي "لصحيفة 14 أكتوبر". وفي عام 1990م بعد قيام دولة الوحدة عُيِّنَ في زارة الإعلام. ثم وكيلاً لوزارة الثقافة. وبعد حرب صيف عام 1994م عُيِّنَ سكرتيراً صحفياً لنائب رئيس الجمهورية، لكنه ترك العمل في هذا المنصب بعد فترة قصيرة.

أعماله الإبداعية:

- يُعدُّ الصحفي والاعلامي محمد صالح حيدرة من كتاب القصة القصيرة في اليمن.

- وقد صدرت له أربع مجموعات قصصية هي:

- "هائمة من اليمن" عام 1974م، عن دار روز اليوسف بالقاهرة، وأعيد نشرها في طبعة ثانية عن لجنة نشر الكتاب اليمني التابع لوزارة الثقافة عدن ودار الفارابي بيروت عام 1978م.

- في عام 1978م صدرت مجموعته الثانية "مراهقة جداً".

- وفي عام 1980م أصدر مجموعته الثالثة "الغيوم المهاجرة".

- وفي عام 1994م أصدر مجموعته الرابعة "بين الخطوط".

- أعدَّ قبل وفاته كتابين للنشر: أحدهما تحت عنوان "رحلة التعب الجميل - أطراف من ثقافة أواخر القرن العشرين، وهو عبارة عن مواد ومقابلات مع رموز وشخصيات ثقافية وأدبية عربية" ومن المتوقع أن يصدر قريباً، عن منشورات مواعيد بصنعاء.

- ورواية "السفينة العرجاء" لا تزال تنتظر النشر.

وفاته:

توفي الأديب والصحفي محمد صالح حيدرة يوم 14 فبراير 2024م في حادث سير في مدينة صنعاء عن عمر يناهز الـ (72) عاماً.

الافتتاحية

رئيس التحرير

يصدر هذا العدد من (الناصية) والسودا يخيم على المشهد الثقافي اليمني، ويغطي السواد كذلك جزءاً من غلاف (الناصية) لرحيل علمين من أعلام السرد في اليمن هما: شيخ القصة القصيرة في اليمن الاستاذ أحمد محفوظ عمر عن 87 عاماً قضى أكثرها في الكتابة القصصية وأخلص لها كما لم يخلص لها أحد منذ مجموعته الأولى (الإنذار الممزق) التي أصدرها عام 1960.

والراحل الآخر هو القاص والصحافي محمد صالح حيدرة، الذي صال وجال في الصحف اليمنية، وعمل مسؤولاً للصفحة الثقافية في صحيفة 14 أكتوبر، وله عدة مجموعات قصصية منها (هائمة من اليمن) و(الغيوم المهاجرة) وآخر منصب رسمي تولاه "السكرتير الصحفي لنائب رئيس الجمهورية عبدربه منصور".

رحم الله الفقيدين واسكنهما فسيح جناته، وأسأل الله أن يلهم أسرهم وأهلهم الصبر والسلوان

وعزاء مجلة (الناصية) مواصلة السير على خطاهم، وحمل رسالتهم التنويرية، والإيمان العميق بالوظيفة التاريخية للمثقف خاصة في هذه الظروف التي يمرُّ بها الشعب اليمني الأصيل. ومن ناحية أخرى يصدر هذا العدد تدخل مجلتنا "الناصية" عامها الثالث مستمرة في الصدور - كمنبر للتنوير، وواحة للفكر والثقافة والأدب، ورافداً جديداً من روافد الحركة التنويرية والثقافية والأدبية في اليمن - متجاوزة بعزيمة وإصرار كبيرين تحديات ومعوقات الإصدار التي تبدي ولا تنتهي.

وفي هذا العدد تستمر المجلة في نشر الدراسات والبحوث والملفات الفكرية والثقافية والأدبية التي نحسب أنها تهم القارئ والباحث، والمهتم بقضايا الفكر والثقافة والأدب، وتقدم خدمة معرفية وإن كانت متواضعة.

فقد احتوي هذا العدد على "19" دراسة ومادة ثقافية وأدبية، وتوزعت على ثمانية أبواب رئيسية هي:

_ دراسات، بحوث، مقالات، ملف العدد والذي كُرس لقضايا (السلام المجتمعي في اليمن)
_ الملف الثقافي، _ أدب، _ ومدن وتاريخ وثقافة _ مجتمع مدني _ وكتاب وإصدارات...
أخيراً نأمل أن تتال موضوعات ومواد هذا العدد رضى القارئ، كما نأمل من أعزائنا الأدباء والمثقفين والأكاديميين والمهتمين بقضايا الثقافة، الاستمرار بدعم المجلة لضمان استمرارها في الصدور.

“الحرية المتخيلة والعدالة الغائبة”

تمهيد بمناسبة اليوم العالمي للحرية

د. قاسم عبده المحبشي

استاذ الفلسفة

كلية الآداب جامعة عدن

(الحرية؛ تلك الكلمة المكتوبة على

مركبة العواصف) “كامو”

الحرية من المفاهيم الفلسفية
الإشكالية في تاريخ المعرفة
الإنسانية، فهي من الكلمات
المفهومية المجردة التي عادة ما
يردها الناس في كل زمان ومكان
دون فهم صحيح لمعناها، بل إن
كثرة المعاني والدلالات التي يثيرها
لفظ الحرية قد جعلها عرضة
لسوء الفهم ومصدراً لشتى أنواع
الالتباسات والغموض والتشوش
إذ تنطوي على شبكة كاملة من
الانفعالات الجمعية والفردية..

وترمز إلى التضحية والانطلاق والثوب والتحدي والتمرد والإنكار والكفاح والاستقلال
والابتكار والسمو والنضال والإبداع والصدفة واللا حتمية والعاصفة والشمس والرياح
والطيران وتحطيم القيود والدم واللون الأحمر والعدالة والقلق وآمال الشعوب
المعذبة والانعقاد والطموح والتقدم والمغامرة والرقص والفرح والسعادة... الخ.
إنها الكلمة التي ينثر اللفظ بها كنانة شاملة من الغضب المقدس وتلهب النفوس
بالرغبات والآمال والأحلام فهي تكتب في دفاتر التلاميذ، وعلى مقاعد الطالبات وعلى

جذوع الأشجار وعلى الرمل والثلج وفي جدران السجون، وفي لوحات الفنانين، وفوق الأضرحة، وفي عيون الفتيات وتوشم فوق أجساد الشباب وفي عقولهم. إنها الكلمة المكتوبة على مركبة العواصف بحسب (كامو)، ولعل الإحساس بالدوار الذي ينتاب المرء حينما يكون عليه البحث في مشكل الحرية يعود إلى هلامية المفهوم وضبابيته الفائقة وغياب الخبرة والتجربة الحياتية لتحقيق الحرية. وهذا ما أكدته معظم الفلاسفة والمفكرين الذي تناولوا الحرية بالبحث والتحليل فهذا الفيلسوف الكبير (هيجل) فيلسوف العقل المطلق الذي أكتشف ما لم يستطع جميع الفلاسفة اكتشافه "الجدل" وقف محتاراً أمام لفظ الحرية، إذ كتب: "هذا اللفظ "الحرية" هو لفظ مبهم غير محدد وكلمة غامضة لا يعتمد عليها، إنه عرضة لسوء فهم لا نهاية له، وألوان من الخلط والاضطراب والأخطاء لا حصر لها كما إنها عرضة لكل ما يمكن تخيله من إسراف وتجاوز" وهناك من يرى أن الحرية غير قابلة للتحديد ولا للتسمية، فهي لا تقبل أن توصف، لأن لا ماهية لها ولا تخضع لأي ضرورة منطقية والحصر الدقيق لمعانيها ليس من شأنه أن ينتهي كما يقول المفكر المغربي عبدالله العروي في كتابه "مفهوم الحرية" ويرى المستشرق (روزنتال): "أن الحرية عبر التاريخ استطاعت أن تعتق نفسها من قيود التعريفات المؤطرة وأن تتطور إلى واحد من المصطلحات المجردة القوية، لكنها في ذات الوقت غدت موضوعاً لتعريفات متعددة وأدبيات واسعة" وهذا ما حدا بالمفكر المغربي محمد عزيز الحبابي أن يقترح الحديث عن "حريات لا عن حرية" فالحريات ملموسة والحرية مجردة.

تجدر الإشارة إلى أن تراثنا الثقافي العربي الإسلامي شديد الفقر فيما يخص الحرية ودلالاتها المفهومية وكل ما نعرفه عن الحرية الإسلامية لا يتعدى عبارة الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب وبعض تصورات المتكلمين من المعتزلة في سياق حديثهم عن "الجبر والاختيار" وسؤال هل الإنسان مخير أم مسير؟ فيما عدا ذلك فالوعي القدري والرضوخ لمشئنة الأقدار والطاعة والامتثال والرضا بالمكتوب هو الأفق الذي ساد وما يزال سائداً في المجتمعات العربية الإسلامية إذ إن غياب اسم الحرية من القواميس الفلسفية الإسلامية دليلاً على أن الأفق الفلسفي للحضارة العربية الإسلامية لم يكن يسمح بانبثاق سؤالها الفلسفي والاشتباك مع دلالاتها الإنسانية العمومية. لكن هذا لا يعني خلو اللغة العربية وقواميسها من الرموز التي تنتمي إلى مجال الحرية، كالاختيار، والإرادة، والقدرة، والمشئنة، والاستطاعة، والروية، والعقل... الخ؛ فقد كانت نشأة علم الكلام مرتبطة أساساً بحل إشكال علاقة الإرادة الإنسانية بالإرادة الإلهية، في حين استعمل التصوف اسم الحرية في أنحاء دلالية غير متوقعة، كادت ترمي بالحرية

في أحضان العبودية ففي لسان العرب نقراً خمسة اشارات أساسية لمادة الحر والحرية تحمل عدد من المعاني؛ معنى اجتماعي فقهي، وهو المقابل لمعنى العبودية، سواء من جهة الاسم، فالحر والحرية نقيض العبد والأمة، أو من جهة الفعل: حر يحر إذا أعتق أو صار حراً. ومعنى اجتماعي قيمى يشير إلى مرتبة رفيعة في الشرف والكمال والعزة والفضل والكرم. فأحرار الناس هم أسيادهم وأفاضلهم الذين لهم الشرف والعزة، والحرية هي الكريمة من النساء، ويقال هو حرية قومه، أي من خالصهم. كما تشير مشتقات ومعنى جمالي ثقافي يتصل بالناس أو بالأفعال، فالحر هو الفعل الحسن والجميل، والحسن الأحر، أي الأرق. وللحرية معاني طبيعية تتصل بالجودة والجلود. فالأرض أو الفاكهة الحرة هي الطيبة الخيرة، والحر في كل شيء هو الفخر، والسحابة الحرة هي الكثيرة المطر، وأحرار القول ما رق ورطب منها والدهن الحر هو الخالي من الكرستول. وتستعمل التصوفية كلمة حرية بمعنى العبودية. "فالحرية عند السالكين انقطاع الخاطر من تعلق ما سوى الله تعالى بالكلية. فالعبد في مقام الحرية يأتي عليه وقت لا يتعلق فيه بأي غرض من الأغراض الدنيوية، فلا يهتم بالدنيا ولا بالآخرة ويرى الجرجاني أن "الحرية في اصطلاح أهل الحقيقة تعني الخروج عن الكائنات وقطع جميع العلائق الأغيار إن العبد إذا وصل إلى مقام الحرية تخلص من قيود النفس، يعني أنه لا يتبع ما تأمر به النفس، بل يكون مائلاً لزاماً نفسه، وتصير نفسه مطبوعة ومنقادة له، وتبتعد عنه تكاليف العبادة ومشقتها، فيرى في العبادة نشاطه وراحته، ويؤدي العبادة بنشاط" ويرى بعض المتصوفة أن الحر هو ما كملت فيه ثمانية أشياء: الأقوال، والأفعال، والمعارف، والأخلاق الحميدة، والترك، والعزلة، والقناعة، والفراغ. فإذا كان لشخص الأربعة الأولى سمي بالغيا لا حراً".

وهكذا يمكن القول إن دلالات الحرية في المدونة العربية الإسلامية ليست وجودية ومعرفية ميتافيزيقية بل تدور في أفق القيم الأخلاقية والجمالية والممارسات الصوفية الذاتية. بينما اكتسبت الحرية في الفلسفة معاني ودلالات وجودية تتصل بحياة الكائن الإنساني وتعيينات وجوده في العالم. إذ تُعدُّ الحرية من أهم المباحث الفلسفية في الفكر الفلسفي القديم والحديث والمعاصر، إذ جرى النظر إليها من خلال بعدين أساسيين هما:

1) الحرية الأنطولوجية:

حرية الكائن من حيث هو موجود بين بقية الكائنات الأخرى، هل هذا الوجود مشروط بضرورة قاسية. وهذا ما ساد الفلسفة اليونانية إذ إن الفكرة التي هيمنت على المزاج الفلسفي اليوناني هي فكرة الاضمحلال وارتبط هذا الشعور أو الموقف بفكرة

القدر، ولم تكن مأساة (أوديب) الشهيرة إلا نموذجاً صارخاً على هيمنة القدرية الصارمة "ان المويرا" ربة القدر كانت قد حددت لأوديب حياته وأحداثها قبل أن يولد ولم تُجدِ محاولة والديه للتخلص منه وهو رضيع حينما وضعوه في صندوق وتركوه في مكان خالٍ، لم تحل هذه المحاولة دون ضربة القدر اللازمة التي سبق وأن تكهنت بها العرافة حينما قالت لوالديه أنه سوف يأتي لكم ولد يقتل أباه ويتزوج أمه، وبالفعل هذا الذي حدث، وأصبح أوديب مذنباً على كره منه، أي لم يكن يمتلك خياراً في ارتكاب ما ارتكبه من ذنوب. وقد جعل عالم التحليل النفسي فرويد من هذه العقد "عقدة أوديب" مبدأ أساس يتحكم في سلوك الإنسان حينما اعتبر الجنس هو السبب الجوهرى لكل سلوك الإنسان، وهو بذلك إيمان بالحتمية السيكلوجية.

إن النظر إلى الحرية الإنطولوجية قد جاء محكوماً بثلاثة اتجاهات فكرية أساسية:

1. الفكرة التي تقول بوجود حتمية صرامة بالكون، نفي الحرية.
 2. لا وجود للحتمية، أي إقرار الصدفة، حرية مطلقة.
 3. هناك نظام يخضع للضرورة والصدفة، حرية نسبية.
- ولعل "برومثيوس" اليوناني سارق النار من الآلهة - آلهة اليونان - هو خير شاهد على وجود وعي بالحرية الميتافيزيقية. فهو رمز التمرد والعصيان ضد الحتمية من خلال:

* الصراع ضد الموت.

* الطموح الأعمى.

* محبة البشر.

وإذا كنا لا نجد في عالم القدسيات مشكلة الحرية والتمرد فذلك لأننا في الحقيقة لا نجد فيه أي التباس، فلقد أعطيت جميع الأجوبة دفعة واحدة، ولم تعد هناك تساؤلات ولا مجالاً للشك والقلق، بل أن هناك أجوبة وتفسيرات خالدة وإيمان و يقين مطمئن، في عالم كهذا يكون كل كلام حمداً وشكراً، وهذا ما نراه في المسيحية، فالحرية عند القديس "أوغسطين" (هي معرفة الله) مع المسيحية تكتسب فكرة القدرية أصغر معانيها، فكل أفعال الإنسان وأفكاره وأعماله وخواطره ونواياه مقدرة عليه سلفاً وعليه، أي الإنسان، أن يرضى بقدره ومصيره ويتحمل العذاب والألم وكل سعيه هو التكفير عن الخطيئة الأولى.

(2) الحرية التاريخية:

أي حرية الإنسان باعتباره فرداً في جماعة، طبقة، قبيلة، مجتمع، قومية، أمة، عالم، ما هي شروط هذه الحرية الاجتماعية، حرية العمل والتفكير والإرادة الحرية السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية والأخلاقية.. الخ.

إلى أي مدى يكون الإنسان حراً في مجتمع؟ إن الحرية هنا مشروطة بحرية الآخرين، وهناك فرق بين الحرية الصورية، حرية التعبير والرأي والفكر، والحرية الحقيقية الفعلية، حرية العيش الكريم والحصول على العمل وتأمين متطلبات الحياة الضرورية، فما قيمة الحرية حينما لا يجد الإنسان عملاً ولا يستطيع تأمين لقمة عيشه في ظل غياب العدالة الاجتماعية في توزيع الإنتاج وتوفير فرص العيش للجميع؛ أي إنه لا وجود للحرية الفعلية في ظل عدم وجود ما يمكن الإنسان من التمتع بهذا الحرية، فإما أن يكون الإنسان حراً وقادراً على العيش، وأما أن يظل الحديث عن الحرية حديث خرافة، فلا حرية في ظل غياب العدالة الاجتماعية. ومازق الحرية ينجم من عدم كفايتها الذاتية.

لقد بلغ اغتراب الإنسان المعاصر حده الأقصى حيث أصبح الإنسان أشبه بالآلة المبرمج، يتحدث ويسلك كما يريد الآخرون، إن الإنسان لا يعبر في عالم هيمنه التقنية والمال عن نفسه، ومشاعره وتوقعاته وآماله، بل يعبر عن شيء آخر غير ذاته، وهذا ما أطلق عليه "هربرت ماركيز" الإنسان ذا البعد الواحد، أي الإنسان المتمثل الذي يتحول إلى كائن مستهلك يخضع للموضة والقيم السائدة دون حس نقدي، وعاطفة حارة. وهذا هو ما أشار إليه (أريك فروم) عندما تحدث عن مأزق الحرية في عالم الاستلاب المعاصر، حيث أماط اللثام عنه في كتابه "الإنسان بين الجوهر والمظهر" 9791م حينما قال: ((ليس الحرية في أن تكون لنا قرارات وخيارات حرة، بل إن المشكلة تكمن في إن هذه القرارات والخيارات التي نتخذها بحريتنا ليست قراراتنا بل هي قرارات موحى بها البناء، لإننا نعيش ممثلين في عالم مستلب))

واليكم خلاصة مأزق العدالة والحرية كما جاءت في كتاب فيلسوف الحرية [جان بول سارتر] 1959

حيث تحدث عن شاب فرنسي اسمه "برنار" عاقل عن العمل منذ ستة أشهر، أصبحت ثيابه مهلهلة، فلم يعد يجرواً على الخروج من منزله، هل اتفق لأحذكم أن بقي أياماً طويلة في سريره وهو يشعر بأنه لم يبق له وجه إنسان في عالم يرفض ذراعكم؟ لقد كان "برنار" يسمع قرعقة مواعين أمه في الجانب الآخر من الحاجز وإنه يعيش على نفقة أمه، وقد خرج مرة أخرى إلى السوق ورفضه المشرفون على العمل لأنه شديد الضعف فليس بمقدوره أن يكون عاملاً منتجا وفي المكتب، نظر رئيس الدائرة إلى حذائيه المثقوبين وقال ساخراً: "لا عمل". في الغداة الساعة السابعة صباحاً تسلل إلى مترو "سان لازار" ساعة استئناف العمل، وكان الجميع مرتبطين بساعة الجدار، منهمكون في أعمالهم، أما هو فإنه حر إنه حر يستطيع أن يفكر في فيزياء "انشتاين"

أو في "الحمل بلا دنس" وفي تلك اللحظة خاصة شعر بأنه حر في أن يختار بين صنوبر الغاز وسكة حديد المترو!.

الساعة السابعة صباحاً، بدأ نهار إنسان حر لقد دُهِس إنسان في خط المترو 131، ان "برنار" إنسان حر بين أناس أحرار وقد سحقت هذه الحرية!.

ويعلق الباحث على مفهوم الحرية المنطقية قائلاً: إن العاقل عن العمل حر لأنه غير مرغى على الرضوخ لأوقات العمل، لكنه عبد لأنه خاضع لقسر البؤس، هو حر في أن يبحث عن العمل يستطيع أصحاب العمل حجب عنه وهم أحرار، هذه هي حرية الشعوب المسماة "حرة".

أجل "لبرنار" الحرية في أن يذهب أين شاء، وأن يفكر كما يريد، فإن شيئاً في الظاهر لم يكن يحد من حريته، لكن ما نفع هذه الحرية المناقفة السدى؟ ما نفع هذه الحرية الصورية السيكلوجية التي لا تشبع ولا تغني من جوع؟ إن الأمر المهم هو الذي يعوزه ل يتمتع بها، العمل وتأمين القوت اليومي والطمأنينة على الغد، إنه لا يستطيع سوى اجترار بؤسه وخجله، بدلا من العناية بالخيرات الثقافية التي تقدمها له الدولة الرأسمالية، من حدائق ومتاحف عظيمة وجميلة ومكتبات عامه، وصحف ومجلات ومختلف وسائل المتعة والاستمتاع بأوقات الفراغ أن جاهزيته التامة تخفي عدم جاهزية تامة.. وما حريته سوى سراب، وعلى هذا فان "ظاهر الحرية التامة التي تقدمها الليبرالية الاقتصادية واوقات الفراغ غير المحدودة ووسائل الرفاه إنما تخفي اقصى العبودية".

هذا النص يكتف مشكلة الحرية الصورية التي انتقدها ماركس آنذاك، هذه الحرية التي لا تكتسب معناها إلا بوجود العدالة الاجتماعية، العدالة في توزيع الخيرات المادية في المجتمع، الخيرات الضرورية الأولية لاستمرار الحياة البيولوجية، كي يستطيع الإنسان أن يحس بمعنى الحرية وقيمتها ويستمتع بها في حياته اليومية.

أعطني العدالة الاجتماعية وخذ كل الحريات في العالم. فالعدالة تشمل الحرية والتمتع بها. وبهذا المعنى يمكن أن نفهم أن الحرية هي انعدام القسر وتوافر البدائل لتختار الإرادة بينهما أي القدرة على عدم الإجابة على وضع معين إجابة واحدة ووحيدة يمكن التنبؤ بها من الناحية الشيولوجية اللاهوتية أو العلمية السيكلوجية.

إن الإنسان هو أولا وقبل كل شيء حرية، حرية تتطلب أن يعترف بها، ويكون لها وجودها الشرعي في وسط هذا العالم ضمن الشروط الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية. إن الشروط التاريخية الاقتصادية ينبغي أن تهئ الجو الضروري للمزيد من التحرر

والخلق والابداع، لا أن تكبل حرية الإنسان بقيود سياسية واقتصادية غير انسانية. ويرى "برد يائف" أن مأساة الحرية تنبع من الطبيعة المزدوجة لها، حيث يميز بين معنيين مختلفين للحرية؛ الحرية الأصلية اللا معقولة: التي تسبق الخير والشر وتتحكم في الاختيار بينها والحرية التاريخية المعقولة: الحرية في الخير والحق والعدالة. وهذا يعني في آن واحد إن الحرية نقطة بد، وطريق من جهة، وهي غاية وهدف من جهة أخرى، والطبيعة المزدوجة للحرية فيها سر مأساتها، فالحرية في معناها اللامعقول يمكن أن تتقلب بسهولة إلى ضدها، حينما تفقد عنانها وتتحول إلى فوضى وكوارث "تؤدي إلى ظهور مأساة مسار العالم".

والحرية المعقولة: يمكن أن تؤدي إلى "الإكراه والقوة في الحق والخير، الإكراه من أجل العدالة والمساواة، كما فعلت الاشتراكية وهذا ما يفضي إلى تنظيم استبدادي للحياة" وهذا هو الحل الذي حدده روسو، يجب أن أجبر "الغير على أن يكون حراً" على هذا النحو يمكن القول أن الحرية تتضمن في داخلها بذور تدميرها ((إن مأساة مسار العالم هي نفسها مأساة للحرية)) - حسب هيجل

في مآزق التنمية والحرية في المجتمعات العربية:

كيف يمكن أن يغيّر الناس ما بأنفسهم؟ ويغيّرون مجتمعاتهم نحو الأفضل؟ إذا كانوا لا يمتلكون حرية الاختيار في ثقافة لا تبيح حرية التفكير والتعبير والضمير؟ ففي المجتمعات التي تضيق حدود الحرية؛ حرية العقل والضمير، يندر أن تجد فيها أشخاصاً طبيعيين يتصرفون ببراءة وعفوية بالاتساق مع سجايهم الحقيقية بل تسود ثقافة وقيم الظاهر والباطن، وتزدهر قيم التكلف والتزلف والنفاق والمرآة والمجاملات والكذب والحقد والخيانة والغدر والخديعة والشتم والغيبة والنميمة والحذر وانعدام الثقة والشك والارتياب وسوء الفهم وسوء الظن والفصام وازدواج الشخصية وسرعة التقلب من حال إلى حال، والجمع بين المتناقضين دون الشعور بالتناقض، وصعوبة التنبؤ بسلوك الأفراد وردود أفعالهم. ويمكنك تعداد المزيد من القيم السلبية من واقع حياتك اليومية ومعاشرتك للناس في محيطك الاجتماعي وحينما تسود تلك القيم السلبية حياة مجتمع من المجتمعات يصعب أن تجد أحداً من الأفراد غير متأثر بها بهذا القدر أو ذاك. إذ إن الحرية هي الغاية والهدف الأسمى لكل تنمية ثقافية مستدامة ذلك إن الحرية تعني المقدرة على الفعل والاختيار والتفكير والإبداع. وبدون أن تأمن الدول والمجتمعات بيئة مناسبة للفاعلين الاجتماعيين لممارسة حياتهم الاجتماعية ونشاطاتهم بدون اكرهات وتابوهات فلا يمكن لها أن تتغير وتتنمو وتتطور وتزدهر

نحو الأفضل بل ستظل تعيد إنتاج نفسها جيل بعد جيل. الحرية هي الشرط الجوهري للتغيير والنمو والتنمية وكما يقول كروبر "إن حاجة العالم إلى الحرية، مثل حاجة النباتات التي تنمو في البيوت الزجاجية إلى الشمس والأكسجين، أما إذا طليت النوافذ بالسواد كما في الحروب، فلا تنمو إلا الأعشاب الطفيلية الضارة، والإبداع العلمي يتيسر في البيئات الاستبدادية والتسلطية"

أكتب أسمك
على غيمة شاردة
واستوقف الريح
كي تهطلين
مزن مطر
وحقل سنابل
وباقة ورد
من الفل والياسمين
وأغنية للفرح
ترنيمة العشق
والعاشقين

اليمن: التاريخ والهوية (1)

قادري أحمد حيدر
باحث وكاتب يمني

الإهداء:

إلى روح العالم البروفيسور/ د. محمد عبدالقادر بافقيه، ذلك العلم التاريخي والفكري والثقافي الذي فرض نفسه بمكاته ودوره الوطني ليكون أول وزير للتربية والتعليم في أول حكومة وطنية بعد الاستقلال الوطني، 30 نوفمبر 1967م، تفرغ بعدها لاختصاصه في علم التاريخ، ليثبت اسمه كعالم تاريخ متخصص على المستوى العالمي؛ فغدت كتبه وأبحاثه مراجع ومصادر رئيسة في هذا المجال.

كان من أوائل المساهمين في صناعة الكتابة المعاصرة لتاريخ اليمن القديم، وفق أصول علمية أكاديمية رصينة، اسهاماته في هذا المجال لا تعد ولا تحصى، ليس من حيث مساحة (كم) الانتاج البحثي، بل من حيث (الكيفية)، القيمة المعرفية التاريخية المضافة التي قدمها في كتاباته "تاريخ اليمن القديم" وكتابه الموسوعي "توحيد اليمن القديم"، والعشرات من الكتب والابحاث. عالم كبير أدرك معنى اليمن ومكانته في التاريخ. إنسان بسيط متواضع شأن العلماء، والعظماء في التاريخ، الذين لا ينتظرون مجداً شخصياً على أي مستوى كان.

رحل عنا جسداً، وبقي أثره المعرفي والفكري والثقافي التاريخي حاضراً بيننا،
رحل دون انصاف من الجميع، ومن حقه علينا أن نسمي جامعة أو متحف باسمه.
لروحه الخلود والمحبة والسلام.

(1) في معنى الهوية

إن علاقة اليمن واليمنيين بالتاريخ متشابكة ومتوحدة، يتبدى اليمن وكأنه واحدٌ من مظهرات التاريخ، لشدة حضوره فيه، والتصاق المعنى التاريخي به. ولن نطيل الحديث حول صلة اليمن بالتاريخ، ففي الكتب السماوية يرد ذكر اليمن: في التوراة، وفي القرآن الكريم: ذُكر، لسببٍ والأحقاف.. على أننا هنا سنقف هنيهة معرفين بالدلالة اللغوية (القاموسية)، لمفهوم الهوية، وكذا المعنى الدلالي الفلسفي / السوسيولوجي.

الهوية لغة:

تعني "حقيقة الشيء أو الشخص المطلق، على صفاته الجوهرية وذلك منسوب إلى هو"(1). وفي القول هنا "منسوب إلى هو"، إنما يعود إلى الذات المعنية والمعينة هنا، والتي هي اليمن إذ تمثل وتجسد الإطار المشترك الجامع، أو الهوية الموحدة لجميع اليمنيين على اختلاف مذاهبهم، وملهمهم السياسية، ودولهم. إن اليمن، مثل العروبة، ليست هويةً عرقية "إثنية"، فهي هويةٌ سياسية ثقافية اجتماعية حضارية تاريخية، مفتوحة على فضاء التقدم الوطني والقومي والإنساني. هكذا نفهم الهوية اليمنية، بعيداً عن حالة التنازع العرقي: قيسية، يمنية، قحطانية، عدنانية، حتى تداعياتها المتأخرة في صورة زيدية، شافعية، وإلى شمال وجنوب، وصولاً إلى الظاهرة الإمامية كره ثانية.

إن حديثنا عن الهوية الكلية/الجامعة (الوطنية)، لا يلغي من أن لكل فرد أو جماعة، هويات متعددة، ذاتية/خاصة: مذهبية، دينية، قبلية، لغوية، ثقافية، جهوية لغوية، المقصود هنا اللهجات المحلية، باعتبار اللغة العربية، هي لغة جميع العرب.. هويات محلية لها كل التقدير والاعتبار، فالتعدد، إثراء وإغناء للهوية الكلية/الجامعة.

فالهوية اليمنية هي الجامعة لكل تلك الهويات الفرعية، باعتبارها هويةً مفتوحة على جميع مكونات المجتمع، وليست هويةً تتحكم بها رابطة العرق،

أو الدم، ونظرية الأنساب، التي تفتح الباب واسعاً أمام تفكيك المجتمعات أو تدمير الدول، وتمنع قيامها لمدى زمني طويل، وهو ما اشتغل وما يزال يشتغل عليه الاستعمار الغربي في جعله التجزئة والتقسيم "فرق تسد"، قاعدة، والوحدة والتكامل استثناء، باعتباره الهوية اليمنية بنية أنثروبولوجية مغلقة على ذاتها، لأن أساسها إثني، أو مذهبي، أو ديني، أو قبلي، أو قروي، أو مناطقي (جهوي)، بهدف حرف حركة ونشاط المجتمعات وصراعاتها عن مدارها السياسي، والاقتصادي الواقعي، وتحويلها إلى حروب أصوليات هوياتية صغيرة، مغلقة لا تنتهي.

ليس هناك من هوية نهائية لأي شعب، كما ليس هناك تاريخ نهائي، ضدّاً على ما ذهب إليه "فوكوياما" حول نهاية التاريخ، التاريخ صيرورة، تدخل فيها الإرادة والحلم، والفعل المغير هو الذي يقوم بتحويل الحلم إلى واقع، وإلى تغيير نوعي.

أي أن الهوية في التحليل الأخير هي حالة اجتماعية تاريخية. وبهذا المعنى فإن الهوية اليمنية ليست منجزاً كاملاً نهائياً، وجد في التاريخ دفعة واحدة، مع "كرب إل وتر"، أو "شمر يهرعش"، أو "سيف بن ذي يزن"، أو غيرهم، وما علينا سوى إعادة تلك الهوية التي كانت.

الهوية كما نفهمها كائن حي متحرك، تغتني أبداً بالجديد في سياق الممارسة والتجارب الحياتية للناس. التجارب والتراكمات المعرفية والفكرية والسياسية والثقافية، ويمكن للهوية أن تعيش لحظات انكسار وأزمة بفعل تطورات الصراع السياسي والاجتماعي في هذه المرحلة أو تلك، على أن الهوية تبقى هي الإطار الجامع والموحد للجميع، بصرف النظر عن الشرط السياسي، أو تبدلات حالة السلطة.

وكجملعة اعتراضية هنا، فأنا أعتبر حرب 1994م تحديداً وخصوصاً، ومعها كل الحروب العنيفة/الأهلية: المذهبية، والدينية، والعرقية، والقبلية، والجهوية، في تاريخنا الحديث والمعاصر، تشكل حالة انفصال وقطع مع تاريخ الهوية اليمنية الجامعة.

فالهوية كما يعرفها السيد/ علي بن محمد الجرجاني، هي "الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق، اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق"، وهي كذلك "الهوية السارية في جميع الموجودات" ما إذا أخذ حقيقة الوجود، لا بشرط

شيء ولا بشرط لا شيء (2) على قاعدة الاعتراف من أن للإنسان (كل إنسان)، هويات متعددة، (أصلية/كلية، جامعة)، و(فرعية)، لا غنى عن كل منها، ولا إقصاء لأي منها، فكل منها يقود إلى الآخر ويكمّله، في علاقة تضامن وتكامل وتوحد، وليس نفيّاً وصراعاً وتناقضاً.

(2) اليمينيون وبناء الدول والممالك في التاريخ السياسي القديم

التاريخ في كليته (مجموعة) سيرة ذاتية/ موضوعية تنظم حياة الأفراد والجماعات، مسيرة تجمع في سرديتها بين المنطقي والعقلاني، والتاريخي، ولا يمكننا اختصارها في جملة خبرية من هناك أو هناك أو في سيرة هذا الملك أو تلك المملكة/ الدولة؛ فالتاريخ في كل مرحلة من مراحل حركته، وتطوره بنية ذاتية، فكرية سياسية اجتماعية اقتصادية، ولكل مرحلة من مراحل تنزيله، أسباب خاصة بكل حالة على حدة، تفسره وتحلله. هذا ما تقوله سرديات التاريخ في تحولاته المختلفة العابرة، والعاصفة، وكل مرحلة تحتاج إلى عصف ذهني/ تاريخي يصاحبها، ومن هنا تبرز صعوبة بل استحالة قراءة التاريخ بأثر رجعي وفقاً لمقولات أيديولوجية/ ذهنية -لاحقة- نكونها نحن عن أنفسنا وعن واقعنا، وعن التاريخ، وكأنها البديل للتاريخ، الذي كان، وكما تقادم بنا الزمن مع صفحات التاريخ لتلك الدولة أو الدول كانت المهمة أكثر صعوبة، وهو ما يستدعي من قارئ التاريخ بمستواه العام، ومستواه الاختصاصي قدرّاً من الموضوعية والعقلانية في التعاطي مع ذلك التاريخ. فاليمينيون من الشعوب الأولى المبكرة في التاريخ الذين ارتبط اسمهم ببناء الممالك والدول، إلى جانب دول ما بين النهرين، ومصر والشام". وتعود أول إشارة إلى العرب إلى السنة السادسة من حكم "سلمنز" أو "سلمنصر" الثالث ملك الآشوريين الموافق سنة 853 ق.م؛ ففي معركة "قرقر" واجه هذا الملك تحالفاً فيه "جندبو" العربي ومعه ألف جمل - واليمينيون أول من استخدم الجمل كما في النقوش- ويتضح أن للمفردة "عرب" استخدامين، حيث تطلق للدلالة على: أشخاص، أو جماعة لغتهم العربية، أشخاص أو جماعة تسكن شبه الجزيرة العربية (1).

وحول هذا الموضوع رؤى تاريخية مختلفة في المصادر، وفي الكتابات الآشورية إشارة واضحة لذكر اليمن، وملك اليمن، فقد أشار ملوك (آشور) في نقوشهم إلى

ملك سبأ كدليل على قدم هذه الدولة وعلى نشاطها وعلاقتها بالعالم الخارجي 715 ق.م (2).

ومن المفيد هنا الإشارة إلى إنه "من الغريب أن نكتشف أن النقوش اليمنية لا تشير إلى العرب إلا ابتداء من القرن الأول الميلادي بعد حوالي 900 سنة من أقدم ذكر آشوري لهم، ولا يعود سبب هذا النقصان إلى فقر التوثيق الغزير نسبياً خاصة في المملكة المعينية(3)، بل يجب البحث بالأحرى في نموذجية النقوش: نصوص، نذور، ومراسيم احتفاء بمنشأ... إلخ، وكلها لا تشير إلى العالم الخارجي"(4).

قد لا تجيب أو تقدم لنا النقوش المكتشفة والمصادر الاخبارية التحقيق التاريخي لقيام وظهور الدولة في اليمن القديم بصورة واضحة ودقيقة. فبعد أن كانت المصادر التاريخية القديمة تضع الدولة المعينية من أقدم الدول، جاءت الكتابات الاستشرافية، وحتى بعض النقوش اليمنية "نقش النصر" لتقول غير ذلك، ولا يرد فيها ذكر للدولة المعينية، كأقدمية في تاريخ بناء الدولة. "فنحن نعرف من خلال النقوش أن دولاً مثل أوسان وقتبان وحضرموت كانت موجودة جنباً إلى جنب مع دولة سبأ في القرن الثامن ق.م، وهي الفترة التي تعود إليها أقدم النقوش المكتشفة حول البداية التأسيسية الزمنية التي تحدثنا عن الدول اليمنية القديمة، ويمكن أن نقول من خلال شواهد استثناس الجمل الذي ارتبط به طريق البخور القديم، بأن البدايات الأولى لطريق البخور تعود إلى بداية الألف الثاني ق.م، وطريق دولي مثل هذا لا يمكن أن تنظمه وتنسق التجارة عليه إلا كيانات سياسية معتبرة (دول)، وذلك يجعلنا نقول: إن الدولة في اليمن القديم يعود ظهورها على الأقل إلى تلك الفترة، وليس إلى القرن الثامن أو أواخر القرن التاسع ق.م، كما يرى عدد من الباحثين الأوروبيين"(5).

ودون الدخول في تفاصيل سياسية ومادية/ اقتصادية وتاريخية، حول نشوء الدول في التاريخ القديم (الحضارات القديمة)(6). يمكننا القول وفقاً للاستخلاصات من الكتابات التاريخية: إن الملكية (بكسر الميم)، والتأسيس لها في تشريعات وأنظمة وقوانين، ثم بداية الاستقرار الزراعي، وتنظيم ملكية الأرض الزراعية، ولذلك "فقد ظهرت الملكية في اليمن القديم في جوانب الحياة كافة، وكانت من أهم المواضيع التي تناولتها النقوش المسندية، والخشبية (الزبور) بصورة مباشرة أو غير مباشرة،

ضمن مواضيع أخرى من ذلك، فالحروب، وما ينتج عنها من امتلاك وتقسيم للأراضي وما تحمله على أرضها من محاصيل أو أفراد، والتي تم الاستيلاء عليها بعد انتصار مملكة على أخرى، وإعادة تقسيمها لأكثر من مرة، بالإضافة إلى ما ذكرته النقوش من تشريعات قانونية سنّها اليمينيون للحفاظ على تلك الملكيات العامة والخاصة- وعدم التعدي عليها، وفرض العقوبات على ذلك⁽⁷⁾، كلها تدل على حضور الدولة، والذي لا يقل عن معنى وجود الدول في العالم القديم. ومن قراءاتي المتواضعة للعديد من نتاج أو أبحاث المختصين اليمينيين والعرب، والأجانب أرجح ما يذهب إليه البروفيسور/ عبدالله أبو الغيث، في الإشارة السابقة من بحثه التي تم إيرادها في موضوعنا هذا، وهو ما صار اليوم متداولاً ومؤكداً إن دولة سبأ - وكذلك أوسان وقتبان - من الدول الأقدم في التاريخ وهو ما تقوله شواهد بناء وعمران سد (مأرب)، الذي تؤكد جميع المصادر أنه من أقدم البنى العمرانية المرتبطة بتنظيم الري، والحياة الزراعية المستقرة، هذا العمران الذي لا تشيده، سوى دولة حقيقية قائمة في حقيقتها كبنية مادية/ مؤسسية/ أي كدولة، وكما سبقت الإشارة إلى إنه تعاصرت مع دولة سبأ دول يمنية عديدة انتشرت على الأرض اليمنية، فيما نطلق عليه اليوم في المسمى السياسي، شمال وجنوب، على اختلاف الباحثين في تقدير بداية تأسيس مملكة سبأ واتحادها السياسي بقيام حكم المكاربة السبئيين، لما اكتنفه من غموض في تفاصيله، وبدايته التاريخية ونهايته، فمنهم من أعاده إلى القرن العاشر، أو القرن التاسع ق.م، وغيرهم جعل تاريخ حكم المكرب الأول في حوالي نهاية القرن الخامس ق.م، والقرن الثاني، أما "ملاك" فقد قدر بداية ونهاية فترة حكم المكاربة بحوالي "650-800 ق.م"⁽⁸⁾.

ظاهرة تسمية الملك، والمكرب، والمملكة علامة على قيام الدولة:

تلقَّب الملوك اليمينيون في الممالك، والدول اليمنية القديمة، باسم المكرب، وباسم الملك، لقرون طويلة، وهو ما يعني أننا أمام حكام لدول وممالك مستوفية لأركان وشروط بناء ووجود الدولة، في ذلك الحين الدولة بكل مظاهرها، وملحقاتها، (مؤسساتها): القصر، والدواوين، والجيش، والبيروقراطية، التي تعكس وتجسد أهم ابعاد حضور ووجود الدولة، الدولة المعبرة عن نظام اجتماعي/ سياسي، في صورة هذه القبيلة (الشعب)، أو اتحادات القبائل، في وحدتها، وتحالفها،

أو صراعها، على طريق امتلاك السلطة والثروة، وحول تداخل أو أسبقية أحدهما على الآخر (الملك/ أو المكرب)، فإن ما تحكيه النقوش اليمنية القديمة هو القول الفصل في ذلك. أي أسبقية المكرب، وهناك من يقول: إن لقب مكرب وملك قد ترافقا زمنياً وفي تقديري إن ظاهرة ارتباط وتوحد الملك والمكرب في أحدهما إنما كان دليل على الجمع بين السلطتين الزمنية، والدينية، وهو ما يشير إليه في أبحاث مميزة المستشرق الروسي (لوندين) حول تاريخ حضارة اليمن القديم، وحول دولة مكربي سبأ في أكثر من موضع في كتاباته التاريخية الرائدة حول دور دول اليمن القديم (9).

لقد أطلق على أوائل حكام سبأ لقب مكرب مع الاختلاف في تفسير كلمة "مكرب": فمنهم من يرى أنه "المكرب" من الإله ومنهم من يرى أنهم أطلقوا على أنفسهم هذا اللقب حين كانوا يجمعون بين السلطة الدينية والزمنية، وكذلك الإشارات العميقة الموسعة للمستشرق الروسي (لوندين) كما سبقت الإشارة. إن علاقات (القوة/ التغلب)، أي علاقات السيطرة والهيمنة بين هذه الدول في التاريخ السياسي، أي سيطرة وهيمنة دولة على الأخرى، أو حتى اقتسام النفوذ السياسي مع هذه الدولة أو تلك الدول، كانت تحكمه توازنات علاقات القوة فيما بينها. هذا ما يقوله التاريخ السياسي في ذلك الحين، ولذلك حكمت علاقة سبأ بحضرموت، وحمير "الدولة الفتية" في ذلك التاريخ هذه القانونية من السيطرة حتى اقتسام النفوذ السياسي. فليست دولة سبأ -كما تقول د. اسهمان سعيد الجرو- من كانت تتطلع إلى حضرموت، بل إن حضرموت كانت تتطلع إلى الهضبة الغربية وهو ما أدخلها في مشكلات كبيرة مع سبأ وحمير مما سبب لها متاعب لا حصر لها ولا عد (10). حتى وصلت حالة التحالفات السياسية في فترة لاحقة إلى تحالف سبأ وحضرموت مع الحبشة ضد التوسع الريداني (اليمني)، وهو ما تحكيه جميع المصادر التاريخية، ولعل أهمها النقوش اليمنية، وهو ما جعل للحبشة بعد ذلك موطئ قدم في تهامة اليمن (11).

إن حالة الوحدة السياسية، والتحالفات المؤقتة (الصراع والوحدة والتكامل) بين دول اليمن القديم - فيما بينها وكذا مع غيرها من الدول الأخرى- هو ما تشير إليه معظم المصادر التاريخية، أي أن تاريخ الوحدة بالحرب والتغلب، هو ما كان يفسر ظاهرة الاتصال والتقارب والتوحد السياسي، في صورة العلاقة الصراعية

أو الاتحادية أو التحالفية القديمة بين سبأ وحضرموت، منذ عهد المكاربة. وبين غيرهما من الدول في ذلك التاريخ، وإلا كيف نفهم ونفسر تحالف سبأ وحضرموت مع الحبشة ضد التوسع الريداني لاحقاً (12)؛ فعلى سبيل المثال "تعرضت دولة قتبان لغزو حضرمي في بداية القرن الأول الميلادي، وحرقت عاصمتها "تمنع"، ولكن الوجود القتباني لم ينته، فقد ذكرهم بطليموس الجغرافي (...) وهناك فترات خضعت دولة حمير لدولة قتبان، فقد كان يطلق عليهم أولاد "عم" وعم إله قتبان الرئيس، ولكن هذه القبائل استقلت في فترات ضعف قتبان" (13). وهذه الوقائع والحشيات السياسية والاجتماعية تحي قضية وحدة العلاقة بين أبناء اليمن، في صيغ الوحدة والصراع، على قاعدة التغلب بالقوة، الحرب، وهي القانونية التاريخية التي حكمت علاقات العالم القديم، بما فيه علاقة اليمن القديم ببعضه. وجميعها مظاهر وظواهر عرفتها دول اليمن القديم، -وغيرها- بما في ذلك التعاون والتحالف مع الخارج ضد الداخل اليمني (الأحباش) (14). وحول نظام المكاربة فإن حضرموت عرفت نظام المكاربة، كما عرفت دولة قتبان (أي النظام المكربي) (15)، وهو ما يدل على حالة التكامل والتشابه في بنية النظام السياسي، فتشير إلى حالة من الوحدة الثقافية الحضارية فيما بين دول اليمن القديم، الوحدة في إطار الصراع، الذي تهيمن عليه ظاهرة أو طابع التغلب بالقوة، وهي القانونية الموضوعية، التي حكمت وتحكمت بأنظمة ودول العالم القديم كله.

وفي نقش "النصر" الذي يعود إلى مطلع القرن السابع ق.م. فيه إشارة واضحة إلى دولة "أوسان" وسقوطها، ونقرأ في النقش المذكور أن دولة أوسان امتدت من أراضي شبة الحالية حتى أراضي محافظة (تعز) (المعافر) غرباً. ويحدثنا كتاب "دليل البحر الأريتري"، الذي تم تأليفه في القرن الثالث الميلادي بأن سواحل شرق أفريقيا (في تنزانيا وكينيا الحاليين) كانت تسمى بالساحل الأوساني، ما يدل على أن دولة أوسان قبل سقوطها كانت قد تمكنت من مد نفوذها إلى هناك، حيث ظل هذا الساحل يحمل اسمها بعد سقوطها بحوالي ألف عام. (16)

ومن المهم هنا الإشارة إلى تبادل وحدة الألقاب بين ممالك اليمن القديم بصرف النظر عن الدواعي لذلك (سياسياً أو غيره)، فقد عرفت سبأ لقب ومسمى

الملك والمكرب، وهناك من يرى من خلال النقوش أن دولة حضرموت عرفت نظام المكاربة، وهناك من يرى أن لقب مكرب ظهر في دولة قتبان في نفس الفترة. (17)

دول اليمن القديم والتشريعات والقوانين والنظم:

يعد ظهور التشريعات والقوانين النازمة لحياة الدول، والممالك اليمنية القديمة من العلامات المميزة لتلك الدول، وهو ما تقوله المصادر التاريخية فيها، والنقوش اليمنية في ذلك الحين. وحول ذلك قدمت العديد من الرسائل الأكاديمية الماجستير/والدكتوراه، التي تفصل بعمق أكبر حول النظم التشريعية، والقوانين النازمة لحياة الدول والممالك اليمنية القديمة بصورة تذهلنا اليوم لما فيها من الدقة وموضوع العدالة، والأهم دستورية وقانونية تلك القوانين والتشريعات التي كانت سارية، وناظمة لحياة الأفراد والمجتمع والدول في التجارة، والزراعة، والاقتصاد، وفي العمران، تنظيم العلاقات الاجتماعية (العلاقات الاسرية، والزوجية)، وكذلك في أشكال نظم الجبايات القانونية المنظمة التي تحدد علاقات الدولة بالناس وبمعاشرهم واقتصادهم، فضلاً عن سنّ قوانين وتنظيم أصول الملكية، العامة والخاصة في صورة تشريعات ونظم إدارية ومالية وقانونية قل نظيرها اليوم في حياة بعض دولنا الحديثة والمعاصرة (18)، فقد عرف اليمن القديم النظم والتشريعات القانونية المنظمة لحياة المجتمع والدولة، كما عرف نظام تقسيم وتوزيع السلطات حتى في وجود الملك. (19)

والأهم هنا هو دور وحضور الجيش المنظم، "الرسمي" للدولة، الجيش بزيه ولبسه الرسمي وأسلحته المختلفة وفروعه القتالية الملتحقة بالجيش (القوات المسلحة) المعبرة عن المملكة ودولة الملك في ذلك الوقت المبكر من تاريخ العالم القديم. ونجد كل تلك التفاصيل الدقيقة حاضرة في جيش/ جيوش دول اليمن القديم: قواته محددة، بعتاده، وعدده من الوحدات العسكرية فيه، ودرجاته، ونظام الاجور للجنود، وللقيادات المختلفة فيه، وكذا نظام الرتب العسكرية المشكلة للجيش، وصناعة الأسلحة المعنية بتزويد جيش الدولة بكل ما يحتاجه، وكلها علامات على طبيعة الدولة/الدول مكتملة الأركان في تاريخ اليمن القديم الذي ساد كل أرض ممالك دول اليمن من الجبل إلى الساحل من سبأ إلى

أوسان إلى قتبان إلى حضرموت إلى حمير(20).

”وبناء على بعض المكتشفات يُعتقد بأن البدايات الأولى لاستيطان الإنسان في جنوب جزيرة العرب اليمن القديم كانت في مشارق اليمن، حيثما قامت دولة حضرموت بعد ذلك، ومع ذلك فنحن نجهل البدايات الأولى لنشوء هذه الدولة (...) ويحسب لدولة حضرموت أن اسمها من بين كل أسماء الدول القديمة ظل مستمراً عبر عصور التاريخ اللاحقة لسقوط دولتهم إلى يومنا هذا مع تغيير في المساحة الجغرافية التي كان يطلق عليها بطبيعة الحال“(21).

وهذا يذكرنا باسم اليمن الذي مهما تعددت تسمياته المكانية الجغرافية (الممالك والدول)، - كما سيأتي في الفقرة الرابعة من موضوعنا - بقي اسم اليمن حاضراً ومنتشراً وموحداً للجميع. سقطت الحدود وتمزقت السياسات شمالاً، وجنوباً، وشرقاً، وغرباً، وبقي اسم اليمن، وهنا تكمن وحدة اليمنيين من صعدة، للمهرة إلى حضرموت، إلى صنعاء، إلى عدن، إلى شبوة، وأبين وتهامة الساحل، وتهامة السراة، وسقطرى ويافع إلى المعافر (تعز). هؤلاء هم اليمنيون بناة الدول في تاريخ اليمن القديم والإسلامي، وهو ما يجب ان نستنجد بأنفسنا / ذواتنا لاستعادة ذلك المجد وفق شروط العصر وليس الاستنجاد بالخارج وفق منطق التغلب القديم الوحدة بالحرب، بل في استعادة روح الوحدة السياسية السلمية التعددية الديمقراطية، وفقاً لاختيارات الناس السياسية الشعبية الحرة، وليس بعقلية الوحدة والحرب والضم والإلحاق، وعودة ”الفرع“ للأصل، مأساتنا السياسية المعاصرة التي لا نزال نجر أذيالها السلبية المدمرة معنا، ونحن ندخل العقد الثالث من الألفية الثالثة.

الدولة والدستور والنظام السياسي في حضارة اليمن القديم:

عرف اليمنيون نشأة الدولة وقيامها وفق أصول نظام الملك/ والمكرب والمملكة/ الدولة، وظاهرة بناء القصور الملكية، والمعابد، والسدود، وكل ذلك دليل على تاريخ بناء الدولة في تاريخ اليمن القديم. وقد انتظمت هذه الدول من السبئية إلى القتبانية والأوسانية والحضرية والحميرية أنظمة حكم سياسية قامت عليها تلكم الدولة/ الدول أنظمة حكم عرفت القوانين، والتشريعات المنظمة لحياة المجتمع والدولة، وأقرَّتْ وُسِّتَتْ فيها دساتير (دستور قتبان)(22).

فالنظام الدستوري / القانوني في صورة "م س و د" (المُسود)(23)، كان سلطة نيابية وانتخابية من القبائل / اتحاد القبائل يُدير ويُنظم أمور الدولة والحكم وكان "المُسود" بمثابة سلطة عليا يقف على رأسها الملك، الذي به ومن خلاله تنظم وتنظم أمور الحكم / الدولة وهو القائد العام للجيش (الخميس/القوات المسلحة)، تمر القرارات والقوانين والنظم التي يصدرها مجلس الحكم (المُسود) عبر توقيعه النهائي عليها لتصبح معتمدة، (حالة من نظام توزيع السلطات) وهو ذات النظام السياسي الدستوري القانوني الذي عرفته شعوب العالم المتحضرة في العالم القديم / وكذا الشعوب والدول في العصور اللاحقة، وهنا نقرأ ونفهم معنى نشأة الدولة، والدستور الناظم لها في حياة اليمنيين في حضارة اليمن القديم، حتى كانت لحظة القطع العنيفة والعدمية مع الربع الأخير من القرن الرابع الهجري الذي عدنا معه القهقري عن كل ما كان من تاريخ بناء الدولة في حياة اليمنيين في صورة كل ما نراه يجري في المجال السياسي العام في حياتنا اليوم وكأننا في حالة قطيعة عدمية وعنيفة مع ما كان في تاريخ الدول (قطعاً باستثناء الدول: الصليحية، والرسولية، والطاهرية)، في حياة اليمنيين قبل قرون سحيقة في القدم، التي كانت الدولة فيها، هو العنوان البارز لحضارة اليمن القديم.

.....

الهوامش.

<1>

{1} سقط سهواً على الكاتب

{2} سقط سهواً على الكاتب

<2>

1- (عنوان الدراسة)، كريستيان رويان، تر/ د. علي محمد زيد، مجلة دراسات يمنية، مجلة فصلية تصدر عن مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء، العدد رقم (27) يناير، فبراير، مارس 1987م، ص85.

2- الحياة العسكرية في دولة سبأ، دراسة من خلال نقوش محرم بلقيس، نبيل عبد الوهاب عبدالغني السروري، رسالة ماجستير جامعة صنعاء، ط1، 2004م، ص16. ويُنظر: "الطواف في البحر الأحمر"، إشارة لكرب إيل، وللملك الشرعي لقبيلة سبأ، ويدعى "صديق الأباطر" ولأنها على صلة دائمة بهم عن طريق السفراء

والهدايا المرسله)، أنظر: مؤلف مجهول، تعليق وترجمة، حسين علي الحبشي، ونجيب عبدالرحمن الشميري الهيئة العامة، صنعاء، ط2، 2008م، وكذا نقلاً عن كتاب "الطواف في البحر الأحمر" ودور اليمن البحري، مركز عبادي للدراسات، ص16. وتشير (الجرو) كذلك إلى هذا المعنى، يُنظر: التاريخ السياسي لجنوب الجزيرة العربية، اليمن القديم، د. اسمهان سعيد الجرو، مؤسسة الخدمات والدراسات الجامعة الأردن، ط1996م، ص14.

3- ذلك أن معظم النقوش اليمنية القديمة سبئية وهي كثيرة تغطي التاريخ السبئي.

4- (عنوان الدراسة) كريستيان روبان، ص87. ويُنظر حول هذا المعنى د. اسمهان الجرو، ص248 مشيرة إلى أنها نقوش نذرية.

5- أوراق في تاريخ اليمن وأثاره، بحوث ومقالات، د. يوسف محمد عبدالله، دار الفكر دمشق، ط2، 1990م. حيث يذكر أن دولة معين ليست من الدول القديمة في تاريخ اليمن القديم "وأن ما يعرف من معلومات نقشية عن ازدهار دولة معين لا تتعدى القرن الرابع ق.م، وأن أكثر ما نعرفه عن حضارة تلك الدولة يعود إلى القرنين الثالث والثاني ق.م". ص213-214. وترى د. نورة عبدالله العلي النعيم "إن الفترة من القرن الثالث ق.م، إلى القرن الثالث الميلادي، هي بداية تشكل النظم السياسية والدولة، وأنها من أزهى فترات تطور النظم السياسية، وتشكلت فيها دول مستقرة ذات كيان سياسي مستقل خاصة في جنوبها الغربي، وأهمها: معين وحضرموت وقبآن وسبأ بدوريها السبئي، والحميري، وقد شغلت هذه الدول مدة طويلة في تاريخ الجزيرة". يُنظر: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، في الفترة من القرن الثالث ق.م، وحتى القرن الثالث الميلادي، د. نورة عبدالله علي النعيم، دار الشواف للنشر والتوزيع - السعودية، ط1، 1992م، ص11-12.

7- خلاصات استقرائية حول تاريخ الدول اليمنية القديمة، أ. د عبدالله أبو الغيث، بحث منشور في النت، ص1.

8 - الملكية في اليمن القديم - دراسة تطبيقية على دولة سبأ، د. ليبي عبدالله ناجي دماج، رسالة دكتوراه، جامعة صنعاء، 2017م، مقدمة الرسالة. وهناك تفاصيل عميقة ووافية حول قضية الملكية، وارتباطها بالدولة واستقرارها في متن لأطروحة، حيث تؤكد الباحثة على علاقة الاستقرار بالدولة، ونظام الملكية

والتشريعات في هذا الاتجاه، وهو ما نجده كذلك عند د. نورة النعيم.

9- د. ليبيبا عبدالله ناجي دماج، ص 11. والحديث حول الدولة اليمنية القديمة سبأ أو غيرها وعلاقتها بالزراعة والملكية، والاستقرار دليل على قدم بناء اليمنيين للدولة في تاريخ الحضارة العالمية القديمة ومن أهم ملامح هذه الدول الحضارية القديمة هو حضور البعد الطبقي فيها، شأنها شأن حضارات الرومان والإغريق إلخ وهو ما يشير إليه بوضوح المستشرق الروسي "لوندين" في كتابه "دولة مكربي سبأ".

10- يُنظر: د. اسمهان سعيد الجرو، ص 89.

11- د. أسمهان سعيد الجرو، ص 112-113.

12- يُنظر: حول هذا المعنى (عنوان الدراسة)، د. محمد عبدالقادر بافقيه، مجلة دراسات يمنية، إصدار مركز الدراسات والبحوث اليمني- صنعاء، العددان (25 / 26)، لسنة 1986م، ص 90. وكذلك د. اسمهان سعيد الجرو، ص 113-115.

13- د. نورة النعيم، ص 39-35.

14- د. أسمهان سعيد الجرو، ص 111-115.

15- د. نورة النعيم، ص 35-34.

16- يشير د. جواد علي: إلى ذلك في أكثر من موضع في كتابه المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. ويُنظر: د. أسمهان الجرو، ص 180. وكذلك د. نورة النعيم، ص 31.

17 - أ. د. عبدالله أبو الغيث، ص 4. وللدكتور عبدالله أبو الغيث رأي قد يخالف فيه العديد من الكتابات التاريخية، حيث يرى أن لقب ملك أقدم من لقب مكرب .. وأن المكرب كان أكبر من ملك، وكان لا يتخذه إلا حاكم الدولة الأول في اليمن القديم، ولذلك لقب الملك هو الأقدم من مكرب لكن هذه المعلومة لا زالت بحاجة لإبرازها. وهي في الأصل للباحث الفرنسي كريستيان روبان، وليست لي، -كما قالها بالحرف د. عبدالله أبو الغيث- ستجد تفاصيلها - والحديث له- في روبان (المنشور ضمن كتاب (اليمن: في بلاد ملكة سبأ) والفرق بين هذه النظرية الجديدة والنظرية القديمة، أن النظرية القديمة تعتبر أن المكرب هو الحاكم الذي يجمع بين السلطتين السياسية والدينية، بينما النظرية الجديدة تتعامل معه على أنه (الموحد) الذي تتمتع دولته بهيمنة على بقية الدول، وفي البداية "أي اللقب" حمله حكام سبأ ثم انتقل إلى حكام قنبان وبعدها إلى حكام دول

حُزموت، ولأن الرأي الجديد ولا يزال يشق طريقه بين الباحثين المتخصصين، وما تزال الرؤية القديمة هي السائدة أو المنتشرة. والايضاح الوارد هنا في هذا الهامش للدكتور/ عبدالله أبو الغيث.

18 - يُنظر: د. نورة النعيم، ص 38-37-17-16، فرسالة الدكتوراه مكرسة عن وحول تشريعات اليمن القديم.

19- د. نورة النعيم، ص 90. فالتشريعات والقوانين التي يوردها الكتاب تقول بنظام توزيع السلطات، وإلى أن الملك هو القائد الأعلى للجيش، وهو من يصدق على القوانين والمراسيم في النهاية لتصبح معتمدة.

20- يمكن العودة إلى الكتابات التالية: أوراق في تاريخ اليمن وآثاره بحوث ومقالات، د. يوسف محمد عبدالله، ص 95. حيث يورد أيضاً نصاً وافياً عميقاً حول اليمنيين والحرب جاء فيه "كان اليمنيون كغيرهم يلجأون إلى الحروب لأسباب عديدة منها حب التوسع والغزو أو الرغبة في كسب أمجاد، أو الأسباب دفاعية أو شخصية وانتقامية ويسجلون بعد عودتهم من تلك الحروب نقوشاً نذرية تقدم إلى الآلهة، يحمدها على أن عادوا سالمين غانمين (...). وتعتبر النقوش الكثيرة التي عثر عليها في مدخل معبد أوام "محرم بلقيس" في مأرب مادة خصبة لمعرفة فن الحرب في اليمن القديم، حيث يمكن أن يعرف منها تشكيلات الجيش وفياقه وأسلحته". ويُنظر: نبيل عبدالوهاب، ص 39-38، حول دور الجيش، الذي اتخذ في الكتابات النقشية والمصادر الكلاسيكية مسمى مفردة "الخميس"، ومن أنه جيش (محترف)، ويُنظر: حول عملية نظام التجنيد في الجيش، ص 66، وحول التجهيزات العسكرية، وكيف تتم، ومنها، الزي العسكري، انظر، ص 105، وحول نفس القضايا المشار إليها، حول الجيش وطبيعته، وطرق تنظيمه في دول اليمن القديم، يمكن العودة لكتاب: جيش اليمن قبل الاسلام، صالح احمد الحارثي، مطابع دائرة الصحافة والطباعة والنشر، 1991م، ص 56-47. وحول الزي العسكري للجيش الرسمي، يُنظر: ص 64.

21- أ. د عبدالله أبو الغيث، ص 6.

22- انظر دستور "دولة قتيان"، د. نورة النعيم، ص 156-150.

23- د. نورة النعيم، ص 124-123. وقد قدمت الباحثة عرض ومناقشة معمقة لمفهوم (المسود).

أسس التوزيع لعائدات الثروة الوطنية في الدولة الاتحادية

(صعوبة المسار وصواب الخيار في اليمن) (*)

(الجزء الثاني)

أ.عبد الجبار عبد الله سعيد الصلوي

كاتب وباحث في الاقتصاد السياسي
والعلوم الإنسانية، وخبير سياحي

تناول الجزء الأول من البحث حول أسس التوزيع العادل لعائدات الثروة الوطنية في الدولة الاتحادية في اليمن بتركيز واضح المفاهيم والمصطلحات الرئيسة للثروة الوطنية، والموارد والإيرادات المالية العائدة منها في الدولة الاتحادية الفيدرالية، والأسس والمبادئ والمعايير لتوزيعها العادل والمنصف رأسياً في المستويات المحددة لهذه الدولة، وأفقياً في أجزئها المكونة كوحدات سياسية: تشريعية وإدارية- تنفيذية وقضائية في الدولة الاتحادية. ويستكمل في هذا الجزء مبحثان، هما:

المالية العامة للدولة الاتحادية، وتحقيق التوازن وإصلاح العجز الناجم فيها، بما يحقق تصحيح ومعالجة الاختلالات اللاتوازنية الرأسية، أو الأفقية من خلال آليات الفيدرالية المالية المتمثلة في المالية أو الموازنة العامة للدولة والخطط والبرامج التنموية لها، والمنفذة للسياسات الاقتصادية العامة للدولة الاتحادية الفيدرالية في الواقع. الدولة الاتحادية الفيدرالية في اليمن: صعوبة المسار وصواب الخيار، مستشرفاً المكانة، والأهمية المحورية العالمية معرفياً وعملياً لهذه النموذج بما يناسب واقع

الاختيار والمشروع الوطني المستقبلي لليمن، للخروج من دوامة الحروب والإشكاليات المتراكمة، والمركبة، والشاملة، التي تعيق الوحدة والتنمية، وبناء وإدارة الدولة الوطنية المدنية الجديدة، كدولة فيدرالية اتحادية الشكل والمضمون.

المبحث الثالث

(المالية العامة للدولة الاتحادية وتحقيق التوازن وإصلاح العجز فيها)

المالية العامة (الموازنة) هي المجسدة للفيدرالية المالية والسياسات الاقتصادية: النقدية والمالية والتنموية للدولة الاتحادية من جانب، وهي الصورة المعبرة لعكس حالة الاقتصاد، والحياة السياسية، وظروفهما في الدولة لفترة زمنية معينة من جانب آخر، وتنصب الجهود في النظام المالي الاتحادي دائماً على ثلاثة جوانب رئيسة، هي: كيفية الحصول والجمع للأموال، وتوزيعها رأسياً وأفقياً، وكيفية استخدام الأموال، وحل وتصحيح الاختلالات المالية الناشئة بين الجانبين، والمعادلة العامة لمالية الدولة الاتحادية، تعكس الإجماليات العامة لكيفية التقسيم الأفقي والرأسي للمكونات الثلاثة للمعادلة: قيمة الإيرادات حسب مصادرها، وحجم الإنفاق/ النفقات بحسب أوجه استخدامه، والنتيجة المتوخاة (تطابق/ توازن، أو فائض، أو عجز)، ويأخذ الشكل التالي:

الحالة	(١) قيمة الإيرادات العامة	(٢) حجم الإنفاق الحكومي	(٣) النتيجة
الأولى	حصيلة الإيرادات	إجمالي الاستخدامات	تطابق (=)
الثانية	حصيلة الإيرادات (+)	إجمالي الاستخدامات (-)	فائض (+)
الثالثة	حصيلة الإيرادات (-)	إجمالي الاستخدامات (+)	عجز (-)
النتيجة	جملة الإيرادات	جملة الإنفاق	تعادل/ صفر

ففي الحالة الأولى الخاصة بالتطابق (التعادل) بين جانبي المعادلة نادرة، أو قليلة الحدوث بشكل عام لكل مستوى من مستويات الحكم في الدولة الاتحادية، بسبب الترتيبات المالية التي يطلبها تحقق التعادل، والعوامل والقيم المتغيرة في المصادر الإيرادية، وأوجه الإنفاق، التي عادة تكون "أقل ثباتاً واستقراراً لأن حصص مصادر الإيرادات، وأولويات الإنفاق العام والفائض، أو العجز الحكومي من الممكن أن يتغيران باستمرار كلاهما خلال فترات قصيرة" (1)،

فإن الجهود والاهتمامات تنصب بالتركيز على معالجة حالات الاختلالات اللاتوازنية رأسياً وأفقياً، عبر العمل التشريعي والتخصصي: الفني والمالي والبشري في المكونات للمعادلة العامة على النحو التالي:

أولاً: مصادر عائدات الموارد المالية (كيفية الحصول والجمع للأموال)، بالعمل على الآتي:

1 - تخصيص وتحديد الأنواع المختلفة من المصادر الإيرادية للدولة بشكل دستوري وقانوني وفقاً لمبادئ التوزيع.

2 - تحديد السلطات المختصة بفرض قيم الضرائب والعوائد من الموارد المختلفة دستورياً وتشريعياً.

3 - التوزيع النسبي العادل الرأسي، والأفقى للحصص المحددة لكل مستوى من المستويات، والوحدات المكونة وفقاً لمعايير ومعادلات التوزيع، وإعادة التوزيع عند الاقتضاء.

4 - القيام بجمع وتحصيل الأموال وإنفاقها (الإدارة المالية).

ولما كانت السلطات القانونية للعائد المالي وجمعه وكيفية توزيعه يعد عنصراً رئيسياً في حياة كل الدول والحكومات وضمنها معمولاً به في أغلب الدول الاتحادية، فإن المصادر الإيرادية والعائدات المالية المختلفة في الدولة الاتحادية المستهدفة، وواقع الخصوصية في اليمن، يقترح توزيعها الرأسي بين مستويات الحكم الثلاثة الاتحادي - المركزي والإقليمي والولايات، وهو ما يجب أن يتضمنه الدستور الجديد والتشريعات القانونية بموجبه بدرجة قاطعة، لتشمل على الآتي:

1 - الضريبة والرسوم الجمركية: للصادرات والواردات من: المنافذ البرية، والمطارات الجوية، والموانئ البحرية، وتخضع غالباً للسلطة الاتحادية، لاعتبارات الفعالية وتحقيق الوحدة الاقتصادية للدولة، ويمكن أن تجمع بشكل مشترك على مستوى الإقليم، والولاية بإعطائهما نصيب (نسبة) محددة منها.

2 - ضرائب دخل الشركات الصناعية والتجارية: في الغالب تخضع للسلطة الاتحادية، لارتباط أرباحها بتجاوز حدود الوحدات الإقليمية الداخلية، ومقراتها لا تعكس المصادر الجغرافية للدخل، وأحياناً تكون مشتركة (متلازمة) مع مستويات الحكم الإقليمي، وفي الولاية بإعطائهما نصيب (نسبة) محددة منها.

3 - ضرائب الدخل الشخصي للأفراد: في الغالب تكون مشتركة بتخصص نسبة محددة لمستويات الحكم الاتحادي، أو الإقليمي، أو الولاية كونها ترتبط بمكان إقامة أو عمل الأفراد.

4 - ضرائب المبيعات الاستهلاكية للسلع والخدمات (القيمة المضافة): مشتركة بين السلطة الاتحادية، والإقليمية، وللولاية.

5 - ضرائب الرواتب والأجور والتأمين الاجتماعي للعاملين: ذاتية لكل مستوى من

- الحكومة شأنها شأن ضرائب الأفراد المقيمين كل فيما يخص وحدته المكونة.
- 6 - الضريبة العقارية وعوائد بيع وتأجير الأراضي: ذاتية محلية للولاية، لأن العقارات والمنشآت ثابتة في المكان.
- 7 - عائدات الموارد الطبيعية: نتيجة للسمات الخصوصية للنفط، والغاز، والمعادن، والمياه، والطاقة، والأسماك وغيره، فإنه يتم تقاسمها بحصص عادلة بين الوحدة المنتجة (الولاية)، والأقاليم غير المنتجة، والحكومة الاتحادية.
- 8 - رسوم المنافع والاستخدامات العامة: للخدمات والمعاملات (كالمطبوعات ذات القيمة) قد يتم تبيينها على جميع المستويات للحكومة، وخاصة في المستوى الذي يقدم الخدمة المباشرة كرسوم الجوزات، والبطائق، والتراخيص.
- 9 - أرباح الشركات والمشاريع والمؤسسات العامة والمساهمة وبيع أصولها: مفتوح لمستويات الحكم حسب طبيعية وجغرافية نشاطها وملكيته وحجم أرباحها.
- 10 - الاقتراض (الدين العام) الخارجي والداخلي: في الغالب اتحادي، وقد يكون مفتوح لجميع مستويات الحكم، إلا أنه غالباً يخضع لتنسيق (عبر مجلس قروض) على المستوى المركزي والإقليمي والمحلي في عدد من الدول.
- 11 - المنح والمساعدات: اتحادية وتمنح جزء منها للأقاليم والولاية.
- 12 - المصادر الأخرى: كالضرائب البيئية، قد تكون من الأفضل اتحادية، لآثار التلوث غير المحدودة، ورسوم النقل الخارجي (الدولي)، والبيئي (بين الأقاليم) اتحادية، والزكاة تكون محلية، ويخصص نصيب منها للإقليم. أما رسوم الخدمات (النقل الداخلي - المحلي، والسياحة، والصناعات والحرف والمهن الصغير والنظافة تكون محلية للولاية، (جبر - موقع إلكتروني، وأندرسون، 2013م: 43-30). بشكل عام فإن ما تجمعه الحكومة المركزية من إيرادات مقارنة بالإيرادات حكومات الوحدات المكونة في الدولة الاتحادية يتراوح بين نسبة (45%) في كندا و(75%) في سويسرا، وأمريكا وأعلاها (80%) كما هو الأرجنتين، ماليزيا، المكسيك، نيجيريا، روسيا... الخ (2).
- إلا أن هناك تحديات شاملة، كما هو الحال في اليمن، تحد من التحصيل الكفؤ والفعال للعائدات المالية، أهمها:
- (أ) التهرب الضريبي للتلاعب بالتحصيل، والاعفاءات الأوامرية (غير القانونية)، والتهرب الجمري.
- (ب) التهريب الوافد والمعاكس، بسبب اتساع وعدم ضبط الحدود البرية والبحرية، وتحولها إلى تجارة رابحة ومحمية من مراكز النفوذ.

- (ج) عدم وجود عدالة ضريبية تصاعدية على الدخل.
- (د) عدم الاستغلال/ والاستخدام الكفؤ للموارد الطبيعية المتاحة.
- (هـ) انتشار الفساد في تحصيل وإدارة الموارد الإيرادية.
- وستتطرق للحالتين الأخيرتين بعد توضيح أوجه الانفاق للأموال المحصلة.

ثانياً: أوجه الإنفاق الحكومي للأموال وفقاً لاستخداماته المختلفة في الدولة الاتحادية، وتتم وفقاً للتالي:

- 1_ تحديد ما هو اختصاص وسلطة حصرية مركزية، أو إقليمية، أو ولائية، أو سلطة مشتركة (متلازمة) بينية (بينها) بشكل عملي منصف، ومحدد في الجوانب التشريعية والإدارية والمالية والخدمية للمستويات الثلاثة.
- 2_ تخصيص السلطات والمسؤوليات المؤسسية الواضحة لأوجه الإنفاق والاستخدام للأموال على أساس التطابق بين المسؤوليات التشريعية والإدارية والمالية وبين حجم الإنفاق المخصص لكل مستوى، لأجل الوفاء بالاحتياجات ذات الأولوية، ومتطلبات الاستخدام لتوفير السلع والخدمات العامة، والشبّة العامة بشكل مناسب ومتساوي للمواطنين.
- 3_ تحديد وتصنيف/ توصيف دقيق ومبّوب (متكامل) بأهم مجالات الاختصاصات والواجبات النوعية الفنية المعبرة عن الوظيفة التخصصية، والدور العام الواجب على سلطات الدولة في الجوانب المختلفة لحياة المجتمع، في مجموعات رئيسة خمس للسلع والخدمات والمنافع: (الأساسية 25%)، و[الجماعية العامة 20%] و[الخدمية الاجتماعية 20%]، و ((الاقتصادية 20%))، والأخرى <غير المصنفة 15%>، وتأخذ عادة أوزان ترجيحية مقدرة (بدرجات) كنسبة من (100%) وفقاً لمعايير الأمم المتحدة بهذا الشأن، وهو ما نقترحه أن يكون عليه الأمر في الدولة الاتحادية في اليمن كما يلي:
- أ- الاختصاص الحصري الاتحادي-المركزي، بنسبة وزن (16%): موزعة على (الدفاع+2، الأمن والاستخبارات+1، العلاقة الخارجية والمهاجرين+2، والطوارئ والكوارث+1) و((العملة+1، السياسات: المالية+1 والنقدية والائتمانية+1، والتجارة العالمية والموانئ+2))، و> المنظمات الدولية والإقليمية-التعاون والمساعدات+3، الاتصالات والمعلومات الخارجية+2<.
- ب- الاختصاصات المشتركة للمستويات الثلاث، بنسبة وزن (39%): على (أجهزة الحكم: التشريعية+2، الإدارية+2، القضاء+2، الخدمات العامة+4، تنظيم الانتخابات، والأحزاب والمنظمات+3، الحدود والمساحة+3، الإحصاء+1)، و[المواصفات والمقاييس+3،

الأشغال: تخطيط، بناء وطرق+3، المهن العامة: إعلام، شباب، محاماة.. الخ +3]، و { التأمين: المعاشات+2، التقاعد+2، الدعم الحكومي والرعاية+2 و((الموارد المالية+2، الثروات: المعدنية والنفطية+2))، و > سداد القروض والفوائد+3<

ج- الاختصاص الحصري الإقليمي كل في نطاقه بنسبة وزن (22%): (الأمن +1، و [الكهرباء والطاقة+2، الدفاع المدني+1، البحث العلمي والتعليم العالي+4، النقل الخارجي والبيئي.. الخ+1]، و { الضمان الاجتماعي+2، و((التنمية الاقتصادية للثروة: المعدنية+1، السمكية+1، الصناعية+1، التجارة والتمويل البيئي+1))، و>الاتصالات، البيئية+1، الثقافة والفنون والآثار+2، السياحة+1، البيئة+1، الإعانات والمساعدات+1، الأرصاد+1<.

د- الاختصاصات الحصرية للولايات (محلي) والسلطات المتبقية بنسبة وزن (23%) موزعة: (الشرطة بفروعها+1)، و [المياه+1، الصرف الصحي+1، النقل والمواصلات الداخلية+1، و { التعليم والتدريب+3، الصحة+3، الرعاية+4، الأوقاف+1، الزكاة والإفتاء+1، و((الأراضي+2، الثروات: الزراعية+1، الحيوانية+1، الصناعات والحرف الصغيرة+1، والتعاونيات والجمعيات+1، والتجارة الداخلية+1))، و>الفروع المختلفة للمستوى الإقليمي: لها نسبة وزن من حصة كل الإقليم <(3).

4_ إجراء التوزيع وإعادة التوزيع والتعديل العادل للموارد المالية على أوجه الاستخدامات، الملبيه للحكم الرشيد على أساس الاختصاصات بين المستويات وبرامج ومشاريع التنمية والخدمات، وعادة تتصف هذه البرامج والمشروعات بالآتي: برامج الإنفاق على مشاريع الخدمات العامة المختلفة، ويتضمن عناصر قوية لإعادة توزيع الدخل من دافعي الضرائب (الأغنياء) إلى مستهلكي الخدمات (الفقراء). مسؤولية الإنفاق على برامج الخدمات والبنى التحتية، تحدد في:

_ أن تكون الحكومة الاتحادية مسئولة عن البرامج الرئيسة والأساسية كالدفاع والخارجية والطوارئ، التي من شأنها إعادة التوزيع للثروة بين أفراد المجتمع.

_ أن تكون الحكومة المكونة الإقليمية /الولايات مسئولة عن إدارة البرامج والإنفاق عليها في مجالات المسؤولية المشتركة التشريعية والإدارية كبرامج الخدمات والمساعدات الاجتماعية، لاستجابتها الأكثر، ولقربها من المواطنين.

_ أن تكون مشتركة بين المستوى الأعلى والأدنى في المشاريع الإستراتيجية على المستوى الوطني بين الأقاليم والولايات للمشاريع البنية التحتية.

5_ يأخذ الإنفاق الحكومي في الموازنات العامة شكل (أبواب/ أنواع/ بنود) محددة للنفقات الجارية والتشغيلية والرأسمالية (الاستثمارية) والالتزامات.

وبالعموم فإن نسبة إجمالي الإنفاق للحكومة المركزية مقارنة بإجمالي الإنفاق في الأنظمة الفيدرالية، يكون في مستويين: قليلة بنسبة (30-40%) كما هو الحال في سويسرا، كندا، بلجيكا وألمانيا (4)، متوسطة بنسبة (45-60%) في معظم الدول الاتحادية الفيدرالية. والقاعدة العامة هي أنه من يجمع أموال أكبر ينفق أكثر (5).

ثالثاً: آليات التعامل مع الفائض وإصلاح العجز اللاتوازني للمالية العامة:

في الحالة الثانية لشكل وقيمة المعادلة العامة يظهر فائضاً، كزيادة في عائدات موارد المصادر الإيرادية عن حاجة المسؤولية، واستخدامات الإنفاق، فلا بد من القيام بالتعديل، ونقل هذا الفائض في إطار المستويات الرأسية لسلطات الدولة، أو المكونات الأفقية لوحدات الدولة، خاصة وأن هذا الفائض عادة قد يكون عام في كل المستويات، والمكونات كاختلال إيجابي (فائض) في مستوى، أو مكون مقابل اختلال سلبي (عجز) في مستوى، أو مكون آخر، أو عدة منها في الدولة.

لهذا فإن الآلية المتبعة للتعديل والتعامل مع هذا الفائض كترتيبات معالجة، وتصحيح وفقاً للتالي:

1- إن أحداً أو عدداً لمستويات الحكومة الرأسية يجمع إيرادات مالية من عائدات الموارد تفوق الاحتياج المطلوب لتمويل مسؤولياته، وبرامجه الخاصة بالخدمات المختلفة، فالترتيبات للمعالجة والتصحيح تتم بإعادة توزيع عمودي للفائض بطريقتين: أ- تحويلات حكومية من المستوى الأعلى إلى الأدنى بمنح مشروطة، أو غير مشروطة.

ب- إتباع برامج إنفاق توسعية كمية ونوعية (للفاه) على مستوى الدولة. 2- وإن الزيادة أفقية لعائدات الموارد من مصادر الثروة: عدم التوازن بين بعض الأقاليم /الولايات الأغنى مع أخرى الأفقر، أو هو: فارق عائدات الموارد الطبيعية، التي تفوق حاجة المسؤولية والتنمية للاحتياجات في الولايات/ الأقاليم المنتجة، فيجرى إعادة توزيع أفقي للفائض، بطريقتين:

أ- تحويلات التعادل (التضامن) الأفقية لامتصاص الأموال من أجزاء (الأقاليم/الولايات) الثرية إلى المكونات الفقيرة (الأشد فقراً) كتحويلات بينحكومية، أو عبر المستوى الأعلى. ب- تحويل صافي الفائض مباشرة أفقياً من الوحدات إلى بعضها، كمساعدات مشروطة أو شبه مشروطة أيضاً.

أما في الحالة الثالثة للمعادلة العامة: فالاختلالات اللاتوازنية، نتيجة للعجز بين عائدات الموارد عن مطابقة المسؤوليات والواجبات الدستورية لكل مستوى من مستويات الحكم، فتكون آليات وترتيبات المعالجة والتصحيح مختلفة ومكلفة، وفقاً لتالي:

1 - إذا العجز رأسي لإيرادات موارد الحكومة الاتحادية المحددة دستورياً عن مطابقة إنفاقها المحدد دستورياً أيضاً، ويمكن أن ينشأ مثل هذا العجز في أي مستوى للحكومات، بسبب نقص واضح وحاد في قيمة (مجمع حصيلة) الإيرادات عن مطابقة تكلفة الإنفاق، أو لشحة الموارد المالية والطبيعية الحقيقية، فالترتيبات لتصحيح وتغطية العجز تتم بعدة طرق: :

- أ- اللجوء للدين العام بالاقتراض الداخلي، أو الخارجي وله تبعات مالية وسياسية.
- ب- اللجوء إلى المنح والمساعدات (أعباء).
- ج- زيادة القدرة الجبائية، ورفع مستوى الجهد الضريبي، ومكافحة الفساد والتهريب، والتهريب الضريبي.
- د- تغيير قيم ومصادر الإيرادات الضريبية (زيادة أعباء على المواطنين والمستثمرين)
- هـ- زيادة الاستكشافات للثروات.
- وتشجيع الاستثمارات الخاصة..

2 - أما العجز الأفقي للإيرادات، وينشأ نتيجة:

- أ- اختلاف (تباين) القدرات للعائدات لدى الوحدة المكونة (إقليم / ولاية) إلى حد يجعلها غير قادرة على الإنفاق لتقديم الخدمات لمواطنيها على نفس مستوى الضريبة،
- ب- عجز الإيرادات، واختلاف استخدامات الإنفاق على المسؤوليات والاحتياجات للوحدة المكونة بسبب: تنوع الخصائص الاجتماعية الديمغرافية (السكان/المساحة/ الحرمان/ الحاجة)، والعجز الناتج عن زيادة حتمية في الإنفاق والمسئولية الباهظة، أو لاختلال ومبالغة بكلف الخدمات في الوحدات، فتتم المعالجة بإعادة النظر في التوزيع على جوانب الإنفاق بتقليصه عبر: :

- التركيز على حتمية الأولويات للاحتياجات، والاستخدام الكفوء والرشيد للإنفاق، وخفض وتعديل تكاليفه، وتحسين الإدارة الاقتصادية: المالية والنقدية والتنمية، وإعمال المساءلة والمحاسبة ومكافحة الفساد.

- التحويلات المالية الناجمة عن العوائد من الديون والمساعدات ورفع القدرة، من أحد المستويات الأعلى للحكومة إلى المستوى الأدنى لـ (تسوية وإصلاح عدم التوازن المالي) وتأخذ شكلين:

+ تقديم منح مساعدة مشروطة أو شبه مشروطة بقيود أو غير مشروط على أوجه الإنفاق.

+ دعم إضافي كجزء من حصة بعض الضرائب، أو عائدات الموارد المشتركة لصالح

الأقاليم /الولايات، وهي غير ثابتة (متأرجحة) بين الزيادة والنقصان بمرور الزمن ومستوى النمو في الخدمات والمعيشة. وبشكل عام التحويلات المالية في الأنظمة الاتحادية لا تتجاوز نسبة (10-30%) من مجموع إيرادات كثير من الدول (6). النتيجة الحتمية، مما سبق للترتيبات والآليات المالية في الدولة الاتحادية، لابد من تحقيق الوصول إلى توازن عام (معادلة متساوية/صفرية) لجانبين المعادلة العامة لمالية الدولة (الإيرادات = الإنفاق)، عن طريق إعادة التوزيع لعائدات الموارد وأوجه إنفاق وفقاً لمعادلات ونسب التوزيع/ إعادة التوزيع الرأسي والأفقى، التي تختلف في معاملاتها المكونة وقيمها مع مرور الزمن ومستوى التحسين /التطور والنمو. ولما كانت الفيدرالية المالية تقوم على أسس واضحة، ومحددة وثابتة من المبادئ والمعايير العادلة، وعلى ترتيبات ومعادلات مالية متغيرة دورياً في قيمها وكلفها، فإن التعديل فيها يخضع لمعايير تقييمية تشمل: الكفاءة (الفعالية) الاقتصادية، والسهولة (الاستجابة) الإدارية، وحوافز الابتكار (الكفاءة والجدية)، والإنصاف العادل (المساواة)، والتوازن المعقول بين المسؤوليات والإمكانات، والقدرة على التنبؤ والاستقرار، والمساواة (الشفافية).

المبحث الرابع

(الدولة الاتحادية الفيدرالية في اليمن: صعوبة المسار وصواب الخيار).

إن الواقع التاريخي لمسار التطور المتعثر، والأحداث الكبيرة في اليمن تضعنا بجلاء تام أمام إشكاليات وصعوبات وتحديات تواجه آفق المشروع الوطني، ليس كحلُم اختيار وحسب، بل وصواب خيار أيضاً، لتحقيق يمن اتحادي فيدرالي ديمقراطي، وكأساس للحل النهائي، في بناء وإدارة الدولة الفيدرالية الاتحادية الحديثة/الجديدة، لأن أسس ومبادئ العدالة والانصاف والمساواة في توزيع الرأسي والأفقى للسلطة السياسية ولعائدات الموارد المالية من الثروات الوطنية الطبيعية، وأوجه إنفاقها نظرياً وعملياً لا تطبق بشكل مؤكد ومرض وسليم، إلا في تجارب الدول الاتحادية الفيدرالية القائمة في العالم، وبأقل السلبات والتجاوزات في السياسات والترتيبات العملية المختلفة، ولأن الدول الاستعمارية الإمبريالية لن تسمح بتحقيق التحديث، وبأسسه كما تحقق تاريخياً فيها، هذا عوضاً عن ممانعة القوى المرتبهة التقليدية المحلية لهذا المسار المتعثر والمكبوح.

والدولة الاتحادية الفيدرالية تعد نموذجاً عالمياً متقدماً، تم هندسته وبنائه وفقاً لفهم خصائص الواقع لكل بلد على حدة، والتطبيق والبناء الحقيقي لهذه الدولة في اليمن، هو الخيار الصائب والأوحد المتبقي، الذي لم يجرب بعد عمن سواه، منذ تاريخ السيطرة والتفكيك الاستعماري والسلطاني في الجنوب، والإمامي الكهنوتي المغلق في الشمال، والتجزئة وعلاقاته المتوترة والمسدودة بين دولتي الشطرين، ثم الوحدة " الاندماجية المغدورة، مما يتطلب فهماً عميقاً، واستيعاباً كاملاً، وتعاملاً إيجابياً، وتجاوزاً جاداً وصادقاً للوعي الناقص، أو المغلوط عن هذا الخيار، ونماذجه العالمية، والخصوصية الوطنية، والظروف المحلية للواقع في اليمن، خاصة في ظل وجود فهم نخبوي خاطئ متراوح بين "الغموض" العام أو "التشويش" السياسي، أو "المعادي" صراحة من أصحاب المصالح ومركز القوى والنفوذ للسلطة والثروة، وكونه خياراً سيضع حداً للمركزية والأوامرية الشديدين، والهيمنة والسيطرة والإقصاء والاستبداد، وسيحقق بهذا الخيار وعبره تطلعات ومصالح أبناء الشعب في التشارك والمشاركة السياسية والمالية المؤكدة، والمواطنة المتساوية، وتحقيق التنمية المتوازنة، وإنهاء احتكار السلطة السياسية والاستحواذ على الثروة الوطنية.

فحينما كان اليمنيون يريدون الفكك والخروج من مأزق نزاعاتهم واحتراباتهم المتكررة بالأصالة، أو بالوكالة، وحل مشاكل واقعهم المتخلف بالتطلع نحو المستقبل، اكتسبوا تجربة طويلة ومريرة وصعبة في مراحل الحوار المختلفة، قبل الوحدة، واثناؤها، وما بعدها لإيجاد حلول ناجعة للأزمة والقضية الوطنية اليمنية الكامن فيها أيضاً القضية الجنوبية وقضية الوحدة والدولة، وكان المختلفون والمتحاربون في هذه الفترات من مسار التاريخ الحديث، يجلسون في النهاية إلى الطاولة معاً بشكل ثنائي أو مشترك مباشرة أو بوساطة، ليناقشون وليتجاوزون حول قضايا ومصالح الوطن المختلفة وتطوره اللاحق، ويحكمون العقل والمعرفة في النهاية للتوصل إلى حلول نظريه رائدة بأفق مستقبلي قابلة للتطبيق والتنفيذ، وكان أبرزها: وثيقه العهد والاتفاق (1994) ونتائج الحوار الوطني الشامل (2014)، والحوار الوطني الجنوبي في القاهرة (منذ 2011)، إلا أنها في الأخير تفشل عملياً وتصطدم بممانعة وتصلب وحرب القوى التقليدية المسيطرة، وداعميها من الدول المجاورة والإقليمية والعالمية، المعادية لاستقلال وحرية وتقدم اليمن، والطامعة بموقعه وثرواته والمكرسة للتبعية، وكانت الحلول المتخذة لا تبعد ولا تخرج في مضمونها عن خيار الدولة الاتحادية (الفيدرالية) الديمقراطية، بأسسها العادلة والمنصفة لتوزيع السلطة والثروة والفرص كجوهر للمشكلة اليمنية.

ففي عام 2014م كاد اليمنيون قاب قوسين أو أدنى من "عبور المضيق" حسب د. ياسين سعيد نعمان، وحسم خيارهم التاريخي ضمن أهم نتائج أو مخرجات الحوار الوطني الشامل باختيار "شكل الدولة الاتحادية" (7) القائمة على الوحدات المكونة بالأقاليم المتعددة، (بغض النظر عن عدد الأقاليم: إقليمين: جنوب، وشمال، أو ثلاثة بإضافة إقليم الوسط إليهما)، إلا أن الانقلاب والحرب على ذلك التوافق السياسي قد بددا وأضاعوا هذا الاختيار.

وبطبيعة الحال، إن خيار الوحدة والدولة الاتحادية، ليس سهلاً في قبوله وبنائه، لأنه لدى اليمنيون تجربة مريرة في خذلان وامتهان النماذج والنظريات من النخب والقوى التقليدية: العصبوية المتنفذة والمتصلحة، فهي حاربت وتأمرت وأفرغت مراراً أحلام، وتضحيات الشعب اليمني في الجمهورية منذ فجرها الأول (26 سبتمبر 1962 في الشمال، و14 أكتوبر 1963 في الجنوب)، والاستقلال (30 نوفمبر 1967) والوحدة والديمقراطية (22 مايو 1990)، وحولتها إلى مجرد شعارات جوفاء دون مضمون، أو معنى يمس حياة وكرامة المواطنين عامة، ويرتبط بسيادة الوطن وتقدمه، فهذه القوى بداعميها ومموليها الخارجيين (السعودية وبعض دول الخليج العربي وإيران وأمريكا وبريطانيا)، تمناع الدولة الاتحادية الحديثة/الجديدة بجوهرها المدني العادل والضامن، وبأساسها الاقتصادي التنموي الإنتاجي، ولديها مقياس في قبولها، وهو أن تكون هي الحاكمة والمتحكمة، والمستفيدة من السلطة والثروة، وهذا ما يبرر محاولتهم وحربهم المستميتين والبأسين بالتمسك بوحدة انتهت وأفشلتها بالحرب والموت، أو الارتداد إلى ماضي "التفكيك والتجزئة" الاستعمارية والسلطانية، والإمامة السلالية، والشطرية دوناً عن تحقيق الدولة الاتحادية.

فعبر المراحل الماضية من التاريخ الحديث لليمن عانى الشعب كله في اليمن المرارات الجمة والطويلة، وكابد وجرب لنحو قرن إلا ربع من الزمن، ما أوصلتنا إليه القوى المسيطرة: القبلية والعسكرية والعصبوية والدينية المذهبية، من حالة الحروب والضم والإلحاق، والإقصاء والتهميش، يبلغ مكانة "الاستعمار الداخلي" - بحسب قول د. أبو بكر السقاف، وتكريس التخلف والحرمان من عائدات الثروة، وعدم الاستقرار، والارتهاق والتبعية وانتقاص وتآكل السيادة، وبالتالي انهاء وفشل الوحدة "بالقوة والحرب" منذ حرب 1994م وحتى الانقلاب والحرب عام 2014م إلى الآن، على الشرعية التوافقية السياسية ونتائج الحوار الوطني، رغم كل المأخذ عليها، وصولاً لحالة لا حرب ولا سلم "الهدن" المسكنة، بل والانزلاق نحو التفكك،.....

وبغض النظر عن الجغرافية السياسية الطارئة والعبارة والمتغيرة لأنظمة الحكم والنخب السياسية المغذية لتلك النزعات الماضوية والتابعة، والتي تتجاوز وتجاو

الحقائق الوجودية الواحدة للوطن اليمني: جغرافياً (الأرض) وديمغرافياً (السكان) وثقافياً (اللغة والدين والهوية) وتاريخياً (النضالات المشتركة ومرارتها)، والمتلازمة والمتراصة حاضراً ومستقبلاً، فلا آفق لها بغير القبول والتحول لخيار الوحدة والدولة الاتحادية الفيدرالية بأساسها وأسسها: السيادية - السياسية والاقتصادية - المالية والاجتماعية - الثقافية.

إن الاختيار الصعب والخيار الصواب: الدولة الاتحادية الجديدة في اليمن هو الخيار المتبقي الوحيد للنجاة، إذا ما تجاوزنا الكونفدرالية، لم يكن من فراغ، بل جاء من ضرورة الحل التاريخي الوطني الجامع، للإشكاليات الراهنة القائمة موضوعياً، والعويصة حلها حاضراً ومستقبلاً:

_ سياسياً: الحروب المتكررة، وعدم تحقيق الاستقرار والأمن، وانعدام السلام العادل والشامل، وعجز مراكز القوى والنفوذ ونخبها من القوى العصبوية التقليدية عن بناء دولة مركزية وطنية حديثة قائمة على النظام والقانون والمؤسسات الضامنة والمحايدة، وارتتهان السيادة للخارج الإقليمي والدولي، وإفراغ الوحدة اليمنية من مضمونها ودولتها التشاركية، وتفكيك الدولة والوحدة والهوية الوطنية الجامعة، وتحويل الديمقراطية إلى أداة لسط سيطرتها، واستبدالها ليس إلا.

_ اقتصادياً: إساءة استغلال الثروة الوطنية ونهبها، والاستحواذ على عائداتها لصالح القلة المهيمنة، وانتشار الفساد، وتزايد معاناة الفقر والبطالة والحالات الإنسانية للناس، وتقلص فرص تحقيق التحديث والتنمية -المنتجة والاستقرار الاقتصادي- الخدمي والمعيشي لعامة السكان، وتكريس حالة التخلف والتبعية.

_ اجتماعياً وثقافياً: تكريس الدور السياسي السلبي للقبيلة والعشيرة على حساب دولة المواطنة المتساوية، والهوية الوطنية الجامعة، والاستخدام السياسي للدين، وتوسيع نطاق الطائفية السياسية والمذهبية على حساب الوطنية في التعليم والمعرفة، وإعلاء العسكرة والعنف والإرهاب والكرهية في الحياة الثقافية العامة، وإهمال وإقصاء التنوع والتعايش الثقافي المشترك.

إن الفترة الزمنية لحل القضية الوطنية والتحول نحو خيار الاتحاد الفيدرالي، وبناء الدولة الاتحادية، هي مرحلة صعبة البداية، وغير طبيعية وغير مستقرة المسار، كونها مرحلة انتقالية طويلة يحتاجها اليمن، وكما شدد عليها قرار مجلس الأمن الدولي رقم 2140 (2014م)، والذي تضمن عدة تأكيدات واضحة، بوصفها:

*عملية انتقال سياسي سلمية وشاملة للجميع ومنظمة، ليتولى اليمن زمامها لتلي مطالب الشعب اليمني وتطلعاته المشروعة لتغيير سلمي، وإصلاح سياسي واقتصادي واجتماعي ذا مغزى، كما تنص عليه مبادرة مجلس التعاون الخليجي وآلية تنفيذها

ونتائج مؤتمر الحوار الوطني الشامل.

*عملية انتقال ديمقراطي مستمرة بقيادة يمنية، تقوم على الالتزام بالديمقراطية والحكم الرشيد وسيادة القانون والمصالحة الوطنية واحترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية لأفراد الشعب اليمني قاطبة.

*إصلاح بنية الدولة لإعداد اليمن للانتقال من دولة وحدوية إلى دولة اتحادية (8).

خاصة وأن هناك تحديات حقيقية أمام تأسيس وبناء الدولة الاتحادية: حاضراً ومستقبلاً، ولعملية التحول والانتقال من احتكار السلطة والاستحواذ على الثروة وعائداتها إلى تحقيق التقاسم والشراكة الحقيقية والعدالة فيها، أهمها:

1- تحدي مسار تحقيق السلام والاستقرار العادل والشامل والدائم، ومعالجة آثار وأضرار الحرب.

2- تحدي معرفي لفهم الفرق والتغيير الجوهرى المنشود للانتقال إلى الدولة الاتحادية المركبة، كبديل للدولة البسيطة والوحدة "الاندماجية"، والذي يظهر في "التشويش" والتحريض والعراقيل المختلفة القائمة ضد هذا الخيار، بفعل:

_أ، الممانعة والعرقلة الواضحة من مراكز القوى والنفوذ العصبوي (السياسي، العسكري، المالي والديني والمذهبي).

_ب، المورث التاريخي في الفكر والممارسة السياسية، والضبابية والكيدية للقوى الاستبدادية والنافذة والمتعيشين الفاسدين من مصالحها جراء ممارستها التاريخية، ومصالحها في الدولة البسيطة، ومنظومة حكمها الفاسد.

_ج، رفض حذر بالقبول من المحيط الإقليمي والدولي لخيار بناء وإدارة الدولة الاتحادية الجديدة المحققة للاستقرار والسلام، والتنمية، والاستقلال والسيادة، والاتحاد في اليمن.

3- تحدي عقدي وطني لصياغة الدستور والاستفتاء عليه، وصياغة القوانين التشريعية الرئيسة للدولة الاتحادية (الأقاليم، المال، الإدارة، الموارد.. الخ) الخاصة بهندسة النموذج الاتحادي في الواقع اليمني وفقاً للخصوصية الوطنية على أسس بناء الدولة الاتحادية لتحقيق التوزيع والشراكة في السلطة السياسية والمال الثروة الوطنية، بما ينعكس على حاجة ومصالح وخدمات المواطنين.

_أ، تحقيق التوافق بين سلطة ومسئولية جباية (تحصيل) الأموال من المصادر المختلفة، مع مسئولية إنفاقها، وإيجاد التوازن بينهما عبر الترتيبات والليات التعديلية والتحويلية لإعادة التوزيع الرأسي والأفقى للموارد وإنفاقها.

_ب، الصعوبات التي قد تفرضها تحديد حصص العائدات من الثروة الوطنية، وأوجه إنفاقها على المستويات العمودية والأفقية، كالهجرة الداخلية، حدة تفاوت

الحاجات والخدمات بين المناطق، الفساد المالي والإداري والخدمي في جانبي الإيرادات والإنفاق، والتأثيرات البيئية، والتوترات والصراعات المختلفة، ومعوقات وتخريب الموارد والمصالح الوطنية.

إن خيار بناء الوحدة والدولة الاتحادية الفيدرالية الجديدة في اليمن، وفقاً للتجربة التاريخية اليمنية، ولخصوصية وظروف الواقع الحاضر، التي أكدت عليها عدد هام من نتائج الحوارات الوطنية، يمكن بهما التغلب على التحديات الشاخصة للمسار الصعب حاضراً، وتحقيق الخيار الصواب في يمن اتحادي فيدرالي، كمشروع وطني مستقبلي قابل للحياة والتطور عمن سواه من الخيارات الماضية - الارتدادية والكارثية القزمة، وهي سيحفظ لشعب اليمن شماله وجنوبه ووسطه وغربه وشرقه: أمنه واستقراره، وسيادته واستقلاله، وكرامته وعزته، ووحدته وديمقراطيته، وتنميته وتقدمه، عبر تكتل تاريخي اتحادي وطني عريض، لتحقيق السلام الدائم والشامل، والحوار السلمي الوطني الاتحادي الجاد حول الخيار الصواب والأفضل وهو تلازم مشترك للوحدة والدولة الاتحادية الفيدرالية "كحل تاريخي للمشاكل المتراكمة والممتدة إلى الوقت الحاضر كتحديات مستقبلية لليمن" (10).

الخاتمة (النتائج والتوصيات)

أولاً: على أساس المنهجية المتبعة في موضوع البحث حول: أسس التوزيع لعائدات الثروة الوطنية في الدولة الاتحادية (صعوبة المسار وصواب الخيار في اليمن)، وفي نتاج المقاربة البحثية فيه يمكننا التأكيد على خلاصة هامة، مفادها: أن الأسس المبدئية والمعيارية للتوزيع العادل والمنصف للعائدات والإيرادات المالية والدخل من الثروة والخيرات الوطنية الطبيعية-المادية، والتي هندستها، وتبناها، وأكدها تجارب الدول الاتحادية القائمة على الفيدرالية المالية، لا يمكن تحقيقها إلا عبر وجود مسار وخيار سياسي دستوري حقيقي للفيدرالية السياسية، كضامن تشريعي، وإداري- مؤسسي، وقضائي، وبالتالي العمل الفني التخصصي وفقاً لآليات وترتيبات محددة وواضحة، ومرنة لمعالجات وتعديل الاختلالات اللاتوازنية، التي تفرضها واقع متغيرات الزمن والظروف والحاجات الحياتية المستويات لحكم الرأسية: الاتحادية (الوطني)، والإقليمي، والولايات (المحلية)، ومكونات أفقية لها في جغرافية الدولة الاتحادية، ولن يكون هذا أساساً وقاعدةً مؤكدين لواقع اليمن دون تحقيق خيار الصوب المستقبلي كتوجهات تشريعية معتبرة، وهذا ما تؤكد أيضاً محاولة استقراء حالة الإشكاليات الراهنة في اليمن، واستلهاهم تحقيق خيار الدولة الاتحادية الفيدرالية في ضوء نتائج الحوارات الوطنية،

كخيار قابل للتطبيق والاستدامة والتطور إذا ما تم تجارز تحدياته. ثانياً: مما سبق دراسته وبحثه حول أسس التوزيع العادل لعائدات الثروة الوطنية في الدولة الاتحادية، وما يربط بها من إشكاليات معرفية، وتطبيقية، ومصالح مختلفة في الواقع اليمني، يمكن أن نخلص إلى النتائج التالية: -

الأفكار المدروسة والمستنبطة حول المبادئ والمعايير والمعادلات للتوزيع العادل والتشاركي للعائدات المالية من الموارد المختلفة، ومنها الطبيعية، على المستويات الرأسية للحكم وللوحدات المكونة الأفقية في الدولة الفيدرالية الاتحادية، وأوجه استخدام إنفاقها، وحل الاختلالات اللاتوزيعية الناجمة عنها، جديرة بالاستيعاب والاستفادة، لنجاحها في أغلب التجارب العالمية للدول الفيدرالية، وهي هنا تمثل مقترحات معتبرة جدير الأخذ بها عملياً عند التطبيق في هندسة، وبناء خيار الدولة الاتحادية الجديدة في اليمن، وفقاً لخصوصية وظروف الواقع، والتي أكدت على عدد هام منها مخرجات الحوارات الوطنية المتعددة.

المبادئ والمعايير والمعادلات، التي تسري على عائدات الموارد النفطية والغازية تسري الأنواع المختلفة لمصادر العائد من الموارد الطبيعية، مع المرونة، والخصوصية للعائدات الأخرى الضريبة المباشرة، وغير المباشرة من حيث كيفية جمعها، وتوزيعها على أوجه الإنفاق بنسب مخصصة على المستوى العمودي والأفقي، بما ينسجم مع التوزيع للسلطات الحصرية والمشاركة والمتبقية، السياسية (التشريعية والإدارية) والمالية (الإيرادات والنفقات) لكل مستوى من مستويات الحكم كما هو الخيار المستقبلي الأقرب لبلادنا.

عدم التحديد والتخصيص المؤسسي والتشريعي بشكل واضح، ومنصف، ومتوازن للعائدات للموارد، وأوجه اتفاقها، قد يؤدي إلى تباينات، وفوارق هيكلية، وبنوية، وتنموية بين الوحدات المكونة للدولة، وأفراد المجتمع، وبالتالي نشؤ التوترات والصراعات المختلفة بين المكونات (الإقليم/الولايات)، وبين المستويات أيضاً، بسبب تولد وفر الموارد في الوحدات المنتجة للموارد الطبيعية، أو لتمييزها بقدرات مالية أكثر، وأغنى مقارنة بالوحدات غير المنتجة، أو الفقيرة، مما يستدعي امتصاصها (تحويلها) لصالح حاجيات وخدمات الوحدات الأشد فقراً، وتخلفاً.

الأسس المحددة كمبادئ ومعايير وقواعد (معادلات) للتوزيع العادل والمنصف لعائدات الثروة الوطنية رأسياً وأفقياً، وكما توضيحها الملامح الرئيسة لجوانب الفيدرالية المالية في الدولة الاتحادية، والمحقة أساساً للعدالة والشراكة الوطنية الاتحادية، ينبغي أن تحدد بالدستور وتفصيلاً في القوانين الاتحادية: الأقاليم، الموارد الطبيعية، والمالي، والعمل والجهد المالي المستمر والحديث والمرن في صنع السياسات والقرارات المالية

كترتبيات مشتركة بين مستويات الحكم التشريعية والإدارية (التنفيذية).
 ثالثاً: تبرز الحاجة إلى الاستفادة من نتائج البحث العلمي التخصصي والسياسي،
 لما من شأنه تبني توصيات مقترحة محددة وكموجهات للجهات المختصة المسؤولة
 والعلمية للتغلب على التحديات الشاخصة للاتحاد الفيدرالي:
 الدراسة المتواصلة والمتكاملة للقضايا المعرفية والعملية التي يتضمنها البحث،
 والتشبيث للأسس، والمبادئ، والمعايير المرتبطة بالتوزيع المنصف والعاقل والتشاركي
 للسلطة والثروة في إطار الدستور الاتحادي الجديد، والقوانين المنبثقة عنه، وبالذات
 قانون الموارد النفطية والمالية.
 البحث المستمر، والمعالجة للمشكلات الناشئة في الواقع، الناجمة عن التطبيق
 للمبادئ، والمعايير، والمعادلات الخاصة بتوزيع السلطة والثروة رأسياً وأفقياً، وقيماً،
 واعتمادها على عوامل، ومكونات متغيرة مع مرور الزمن، وتغير الظروف عبر توصيف
 وظيفي تخصصي (فني - إداري - مالي) يقوم على ترتيبات مستمرة لتحقيق مبادئ
 ومعايير ومعادلات التوزيع، وإعادة التوزيع العادل.
 العمل المستمر لحل مشكلات تباين واختلاف توزيع الثروة وعائداتها، وامتصاصها
 بالتحويلات المالية كمنح، ودعم مشروط، وبالتحويلات التعادلية (التضامنية) بين
 وحدات المكونة الأفقية للدولة الاتحادية من خلال:
 خلق مصالح وفوائد معيشية، وخدمية لسكان مناطق الثروة، وإشراكهم في الإدارة،
 والخدمات المحلية، وتخصيص نسبة عادلة من عوائد الموارد في إدارة وخدمات
 مناطقهم المحلية، وتخصص نسبة عادلة من عوائد الموارد الثروة لصالح احتياجاتهم،
 وخدماتهم.
 فرض ضرائب تعويض للحرمان، والتأثيرات البيئية الناجمة عن استخراج وإنتاج
 الموارد الطبيعية على المناطق المنتجة، والمجاورة لها عبر صناديق الاستقرار، والادخار
 والتنمية.
 إعمال المساءلة، والمحاسبة الدائمة عن مسئولية وسلطة مصادر وقيم الإيرادات،
 وأوجه استخدامها وفقاً لقواعد، وأسس الحكم الرشيد.
 تشجيع الاستكشافات والاستثمارات للموارد، واستخدامها الكفاء.
 إدراج مفاهيم وأسس بناء الدولة الاتحادية بجوانبها السياسية (التشريعية والإدارية
 - التنفيذية) والمالية كمادة تخصصية في العلوم الإنسانية والاقتصادية والسياسية
 والإدارية في الجامعات، ومراكز، ومؤسسات البحث المختلفة في اليمن.
 التوعية والتثوير المستمرين بالقضايا الدولة الاتحادية المدنية الجديدة في اليمن
 للعامة والنخب.

المراجع والمصادر:

(*) أجزاء من هذا البحث هي تحديث وتطوير لورقة عمل بعنوان "التحديات الاقتصادية أمام تنفيذ مخرجات الحوار الوطني" مقدمة للندوة العلمية حول: التحديات الماثلة أمام تنفيذ مخرجات الحوار الوطني الشامل، منتدى الحوار الفكري وتنمية الحريات، صنعاء منتصف 9/2014م.

أندرسون، جورج: الفيدرالية المالية مقدمة مقارنة، منتدى الاتحادات الفيدرالية، مؤسسة فريد ريش، بيروت، صنعاء 2013م، ص: V.

جبر، حافظ غانم: الفيدرالية المالية وآثرها على قسمة وتخصيص الموارد بين مستويات (من منظور التجربة السودانية وبعض التجارب العالمية الأخرى) (-1991 2009م)، ص: 43-30، وموقع إلكتروني رابطته:

http://www.iua.edu.sd/iua_magazine/africa_studies45/45index

أندرسون، جورج: مقدمة عن الفيدرالية، منتدى الاتحادات الفيدرالية، 2008م، ص: 30.

جبر، حافظ غانم: الفيدرالية المالية وآثرها على قسمة وتخصيص الموارد بين مستويات (من منظور التجربة السودانية وبعض التجارب العالمية الأخرى)، مرجع سابق، ص: 234-230.

سعيد، عبد الجبار عبد الله، الفيدرالية المالية كآلية لتوزيع الموارد الاقتصادية (مارس 2013 مرجع سابق، ص: 16، ربط الإلكتروني:

https://www.ycsr.org/fies/nadwa_lamarkazia_abduljabar_saeed.doc
=<https://slmerja.net/reading.php?idm>

واتس، رونالد: الأنظمة الفيدرالية، منتدى الاتحادات الفيدرالية، 2006م، ص: 64. الأمانة العامة لمؤتمر الحوار الوطني الشامل: وثيقة الحوار الوطني الشامل ND- CYE-2014م: 93. ولجنة تحديد الأقاليم (11/2/2014) التقرير النهائي، صحيفة الثورة العدد (17981).

مجلس الأمن الدولي (27/2/2014م): قرار مجلس الأمن الدولي رقم (2140) صحيفة الثورة العدد (17997)، ص: 4.

الصلوي، عبد الجبار عبد الله، كتابات معاصرة حول بعض ال. قضايا الراهنة في اليمن (2013م)، العصر للطباعة والنشر صنعاء، ص: 156-149.

مسارات إرساء سلام عادل وشامل ومستدام في اليمن

“تقرير منتدى اليمن الدولي 2023م”
مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية
22 نوفمبر 2023م(*)

المحتويات:

1. رسالة من مدير منتدى اليمن الدولي.
2. عن منتدى اليمن الدولي.
3. مسارات إرساء سلام عادل وشامل ومستدام.
4. مُلخص لأبرز مخرجات المنتدى.
- 4_1 حوار عن السلام من قصر السلام.
- 4_2 تضامن وحوار حول الملف الجنوبي.
- 4_3 الهدنة الاقتصادية: ضرورة ملحة.
- 4_4 لا سلام بدون عدالة، ولا عدالة بدون مساءلة.
- 4_5 إصلاح القطاع الأمني وإدماج آليات الوساطة.
- 4_6 مجابهة العنف القائم على النوع الاجتماعي وتهميش النساء.
- 4_7 تعزيز القدرة على الصمود في مواجهة آثار تغير المناخ.
- 4_8 بناء سيناريوهات مستقبلية للمساعدة في تصوّر آفاق الأحداث الجارية.
5. آفاق المستقبل: ثلاث رسائل لمنتدى اليمن الدولي 2023م.

.....

1 . رسالة من مدير منتدى اليمن الدولي

وليد الحريري

تبلورت فكرة منتدى اليمن الدولي من رؤية طموحة بدت بادئ الأمر صعبة المنال. تتمثل الهدف الجوهري في تنظيم منتدى يقوده اليمنيون وإتاحة منبر مؤثر يجمع أكبر عدد ممكن من أطراف المجتمع اليمني، جنباً إلى جنب مع الجهات الفاعلة الدولية، من أجل مناقشة التحديات والقضايا المتشعبة التي تشهدها البلاد. انطلقت الفكرة من الإيمان بأن السعي لبناء رؤية مشتركة بين مختلف الأطراف -

رؤية تتجاوز المسارات الرسمية لعمليات السلام - قد يخلق الفرص لإحراز تقدّم ولو بسيط، وبأن وجود منظمة محلية تقود زمام مبادرة للسلام والحوار على هذا المستوى من شأنه أن يُساعد في تمكين اليمنيين ويكفل طرح حلول محلية على الطاولة بقيادة أطراف محلية.

أخذت فكرة تبني نهج محلي لبناء السلام عامين كاملين قبل أن تُؤتي أكلها. فقد أتاح منتدى اليمن الدولي منبرا محايدا لإجراء نقاشات صريحة ومفتوحة بما يضمن تعزيز الفرص الناشئة وخلق زخم للحلول التي تطرحها شريحة عريضة من اليمنيين، بهدف إثراء جهود صناعة السلام. صُمم منتدى اليمن الدولي آخذاً بعين الاعتبار أهمية النهوض بالملكية المحلية لمبادرات السلام وتسليط الضوء على الأولويات المحلية من خلال تعزيز التعاون والشعور بالملكية والمسؤولية المشتركة لمثل هذه المبادرات.

يُشجع منتدى اليمن الدولي المشاركين على التفكير بشكل جماعي وتصور مستقبل يتعايش فيه اليمنيين بأطيافهم كافة. حقّقنا هذا العام بعض الإنجازات الهامة، حيث شهدنا مشاركة أوسع من مختلف الأحزاب السياسية، وأتحتنا مساحة أكبر للأقليات وضحايا الحرب للتعبير عن آرائهم، واتخذنا خطوات أكثر جرأة لتناول مفهوم العدالة الانتقالية وتهيئة الأجواء لحوار بناء حول كيفية تهدئة الحرب الاقتصادية.

واستكمالاً لهذه الانجازات، سنواصل مستقبلاً - بدعم من فريقنا المتفاني وشركائنا الملتزمين - سعيًا لتوسيع دائرة المشاركة في عملية السلام وضمان تمثيل أكبر عدد ممكن من الأطياف الاجتماعية والسياسية، وإتاحة فرصة لليمنيين للتجمّع في منبر واحد وتولي زمام المبادرة للتخطيط لمستقبل بلدنا. حان الوقت لإعادة رسم المشهد المعاصر وعدم الاكتفاء فقط بتحليل محركات النزاع أو الأسباب التي أوصلتنا لهذه المرحلة. علينا استيعاب ما تعلّمناه والتحرّك لتطبيقه من أجل بناء وطن أفضل لأبنائنا وأحفادنا.

وليد الحريري

مدير منتدى اليمن الدولي

2. عن منتدى اليمن الدولي

يُعَدُّ منتدى اليمن الدولي أكبر حدث دولي يُعقد سنوياً بين الأطراف اليمنية الفاعلة (المدينة والسياسية)، حيث يتيح منبراً محايداً للجهات الفاعلة اليمنية بأطيافها كافة للتجمّع والانخراط في حوار بناء حول مسار مستقبل اليمن وصياغة حلول جماعية لتحقيق سلام مستدام. صُمِّمَ المنتدى كجزء من مبادرة واسعة تتضمن عقد مشاورات مع خبراء وجهات يمنية فاعلة، وإنتاج البحوث بناء على مخرجات جلسات المنتدى، ورغد الدبلوماسية الجارية على مدار العام على الصعيد الإقليمي والدولي. من جهة أخرى. يهدف هذا المنبر المُستضيف لحوارات بين الأطراف اليمنية إلى رفد عملية السلام الرسمية التي ترعاها الأمم المتحدة، وضمان خلق منبر يتسم بالشمول ويجمع الجهات اليمنية لاستنباط رؤية مشتركة لمستقبل يَمَن ما بعد الحرب.

منبر يحتضن تطلعات اليمنيين:

انحصرت مفاوضات السلام في اليمن إلى حد كبير في شكل من أشكال الحوار بين الأطراف المتحاربة، حيث وجدت الجهات الفاعلة المحلية الأخرى نفسها مُهمشة في مسارات السلام. لكن، لا بُدَّ من إدراك أن مستقبل اليمن يعتمد على مشاركة مختلف الشرائح المجتمعية اليمنية في جهود السلام ورسم مستقبل البلاد ونطاق هذا الانخراط. يقوم منتدى اليمن الدولي على هذا المبدأ، حيث يسعى إلى تمثيل أصوات مختلف اليمنيين بما في ذلك الفئات التي سَلَبَت الحرب أصواتهم وقدرتهم على التعبير عن آرائهم. يَجْمَعُ المنتدى مشاركين من مختلف الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية (من كلا الجنسين) بما في ذلك ممثلين عن الأحزاب السياسية، والشباب، ومنظمات المجتمع المدني، والنقابات العمالية، والقبائل، والقطاع الخاص، وخبراء، وصحفيين، وفنانين، ونشطاء، وأكاديميين وغيرهم من الأطراف الفاعلة المهمة. يحرص المنتدى على توفير بيئة آمنة للحوار وبالتالي صُمِّمَت جلساته على هذا المبدأ، حيث تُعقد جلسات نقاشية عامة ومفتوحة، فضلاً عن اجتماعات جانبية تتناول محاور أكثر عمقاً وتخصّصاً وتخضع لقواعد (تشاتام هاوس) بُعِيَّة تشجيع المشاركين على الانخراط في حوار صريح يتجاوز الخلافات ويَبْنِي رؤية مشتركة لمستقبل اليمن. ولضمان بقاء نافذة اليمن مفتوحة أمام أعين العالم، يحرص منتدى اليمن الدولي على دعوة أبرز الجهات الفاعلة الإقليمية والدولية، بما في ذلك الأمم المتحدة والأوساط الدبلوماسية ومختلف الخبراء

الدوليين إلى جانب منظمات حقوق الإنسان العاملة في مجال دعم الوساطة وحل النزاعات.

3. مسارات إرساء سلام عادل وشامل ومستدام

عُقدت النسخة الثانية من منتدى اليمن الدولي في مدينة لاهاي بهولندا، خلال الفترة من 12 إلى 15 يونيو/حزيران 2023، بحضور أكثر من 200 مشارك قَدِّموا من اليمن ومناطق أخرى من العالم، للنقاش بصورة جماعية واستنباط رؤى مشتركة لإرساء سلام عادل وشامل ومستدام في اليمن.

شَّهدت الساحة اليمنية تحولات هامة منذ انعقاد النسخة الأولى من منتدى اليمن الدولي في العاصمة السويدية ستوكهولم، في يونيو/حزيران 2022، تضمنت انتهاء الهدنة التي رعتها الأمم المتحدة في أبريل/نيسان 2022 بين الأطراف المتحاربة، عقب فشل جهود تمديدتها. برغم انهيارها، عاشت اليمن فترة هدوء نسبي اقترن بجهود دبلوماسية مكثفة لإحياء الهدنة وإطلاق محادثات سلام بين الأطراف، إلا أن إرساء السلام بمفهومه السليم يبقى هدفاً بعيد المنال في ظل الافتقار للخدمات الأساسية، وتأخر دفع الرواتب المستحقة منذ سنوات، واقتصاد على شفى الانهيار، وتداعي قطاع الرعاية الصحية والمنظومة التعليمية، واستقطاب الشباب اليمني إلى التطرف. تُضاف إلى جملة هذه التحديات الانتهاكات والاعتداءات الجسيمة على حقوق اليمنيين، بما في ذلك العنف القائم على النوع الاجتماعي، وجرائم القتل والاعتقال التعسفي، والاختفاء القسري لنشطاء وأفراد من المجتمع المدني، واستهداف الأقليات، وتقييد حرية المدنيين في التنقل، وتضييق الخناق على الحيز المدني، إلى جانب تقويض حقوق المرأة بصورة مقلقة بهدف تقييد مشاركتها في الحياة العامة.

على ضوء ما سَلَف واستكمالاً لجهود النسخة الأولى من منتدى اليمن الدولي (ستوكهولم 2022)، ركز منتدى 2023 على المسارات الكفيلة بتحقيق سلام عادل وشامل ومستدام، انطلاقاً من ثلاثة محاور أطَّرت مختلف الجلسات العامة والجانبية والحلقات النقاشية التي عُقدت على مدار الأيام الأربعة للمنتدى. ركزت نقاشات نسخة هذا العام على ثلاثة محاور رئيسة:

المسارات السياسية لإرساء السلام:

إرساء سلام شامل عبر تعزيز الحوار بين الأطراف اليمنية المنقسمة سياسياً، وضمن المشاركة الهادفة للنساء والشباب وفئة الأقليات والجهات المدنية الفاعلة.

التعافي الاقتصادي:

تعزيز القدرة على الصمود والتعافي المبكر، مع التركيز على القطاع المصرفي ومسارات تنشيط القطاعات الاقتصادية الرئيسة.

العدالة والمصالحة:

إرساء سلام ينطوي على آليات عدالة تُنصف الضحايا وتكفل احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية وإعادة بناء التماسك الاجتماعي. كما تناولت الجلسات العامة والجانبية للمنتدى محاور أخرى، كقضية مشاركة المرأة والمساواة بين الجنسين، وإصلاح القطاع الأمني، وقضايا البيئة والمياه.

4. ملخص لأبرز مخرجات المنتدى

خارطة طريق لإرساء العدالة الانتقالية

تمثلت إحدى الرسائل الواضحة لمنتدى اليمن الدولي 2023 في التأكيد على أهمية مبدأ العدالة الانتقالية لمنع نشوب واستمرار دورات العنف مستقبلاً. بناءً على ذلك، تم تبني إعلان للعدالة والمصالحة في اليوم الختامي للمنتدى، من قبل أكثر من 30 منظمة من منظمات المجتمع المدني، تمهيداً لاعتماد خارطة طريق أكثر شمولاً لتطبيق العدالة الانتقالية والتي يعمل عليها حالياً فريق المنتدى بالتعاون مع منظمات المجتمع المدني في اليمن، وتنسيق مع المجتمع الدولي. ستركز خارطة الطريق المشار إليها على خطوات أساسية تشمل تحسين عملية توثيق الانتهاكات وعقد مشاورات واسعة بين الجهات الفاعلة حول الصيغة التي يجب أن تتخذها عملية العدالة الانتقالية في اليمن.

نهج يتمحور حول مركزية الضحايا:

شهدت نسخة المنتدى هذا العام تمثيلاً كبيراً لضحايا حرب اليمن، بما في ذلك ضحايا غارات التحالف الجوية وضحايا الألغام الأرضية وضحايا العنف القائم على النوع الاجتماعي وضحايا القمع والاضطهاد وضحايا الاعتقال التعسفي إلى جانب ضحايا التعذيب. وبرغم أن المنتدى أتاح منبراً مهماً تشتد حاجة هذه الفئات إليه لإسماع أصواتها، يتعين بذل جهود إضافية لتمكين رابطات الضحايا ومساعدتهم على التنظيم بشكل أفضل. واستكمالاً لهذه الجهود، سيتم على المدى القصير

مسح مختلف جمعيات ورابطات الضحايا لتحديد احتياجاتها وأولوياتها.

تعهدات مُتجددة بالتصدي للإقصاء المُمنهج لدور المرأة:

يتعيّن على المجتمع الدولي - وتحديدًا الأمم المتحدة - تعزيز جهودها واستخدام نفوذها للتصدي للإقصاء المُمنهج لدور المرأة في ظل الانتكاسة المقلقة في حقوق المرأة وتنامي ظاهرة العنف القائم على النوع الاجتماعي منذ اندلاع الحرب. من هذا المنطلق، حثّ منتدى اليمن الدولي 2023 المنظمات متعددة الأطراف العاملة في اليمن على جمع بيانات وأفية عن العنف القائم على النوع الاجتماعي واتخاذ موقف علني وصريح ضد القيود المفروضة على حركة وتنقل المرأة ومشاركتها في الحياة العامة.

حماية الأقليات:

تعيش الأقليات المُهمشة في اليمن في بيئة تتزايد فيها التهديدات والمخاطر، حيث أدى النزاع الجاري إلى تفاقم أوجه ضعف هذه الفئات وتآكل حقوقهم القانونية المحدودة أساساً. يتطلب الأمر اعتماد آليات واضحة لضمان إدماج الأقليات في عملية السلام وحمايتهم في بيئة ما بعد تسوية الصراع، وتحقيقاً لهذه الغاية، من المهم إجراء محادثات منتظمة تتناول أهمية الإصلاحات القانونية لحماية الأقليات وتسليط الضوء على محتتهم ومعاناتهم، وتبني حملات مناصرة لتوفير التعليم والرعاية الصحية والأمن لهم.

ردع الجماعات المسلحة:

في ظل ما يشهده اليمن من تزايد مُقلق في أعداد المقاتلين المسلحين، ناقش المنتدى خيارات إصلاح القطاع الأمني بدءاً من تعزيز دور المجتمع المدني والقادة القبليين في المراقبة المجتمعية لعمل الأجهزة الأمنية على المستوى المحلي - بما في ذلك الإشراف على هدنة محلية لوقف إطلاق النار- وصولاً إلى تبني آلية تنسيق مركزية عبر المحافظات ومناطق سيطرة الأطراف المتحاربة. كما استكشفت جلسات المنتدى المُخصصة لهذا الملف إمكانية إنشاء قطاع أمني لامركزي تتولى فيه السلطات المحلية جهود تسريح المقاتلين، ولاستكمال هذه النقاشات، تم تشكيل مجموعة فنية تضم عدد من الخبراء في مجال الأمن القومي - بعد انتهاء فعاليات

المنتدى - لاستكشاف الحلول العمليّة للتعامل مع العدد المتنامي للجماعات المسلحة في البلاد.

دمج آليات الوساطة المحلية:

يلعب الوسطاء المحليون دوراً كبيراً في جهود بناء السلام داخل مجتمعاتهم، وغالباً ما تكون آلياتهم أسرع وأكثر كفاءة من القنوات الرسمية المعهودة التي تعمل على نزع فتيل التوترات. انطلاقاً من هذا، من المهم أن تسترشد جهود الوساطة الوطنية بأعراف وتقاليد وآليات الوساطة المحلية الناجعة في اليمن، وأن يعمل المجتمع الدولي - لا سيما مكتب المبعوث الأممي الخاص - على تعزيز أوجه التضافر مع الوسطاء المحليين واستنباط قنوات لتكثيف التواصل والتنسيق معهم على أساس مُنتظم.

هدنة اقتصادية:

اليمنيون بحاجة إلى هدنة اقتصادية فورية بالتوازي مع أي مسار للتوصل إلى تسوية سياسية، على أن يضطلع مكتب المبعوث الأممي الخاص بالتوسط بين الأطراف حول هذه المسألة وأن يتخذ خطوات لمعالجة القضايا الجوهرية كتحديد القطاع المصرفي عن الصراع الدائر، وتهدئة السياسات الاقتصادية التصعيدية والسياسات المضادة التي اتخذتها الأطراف المتحاربة بشكل استباقي. انطلاقاً من هذه الضرورة، وضعت مجموعة من الخبراء الاقتصاديين والمصرفيين والاقتصاديين المشاركين في المنتدى مصفوفة اقتصادية شاملة، تبنى على مخرجات النسخة الأولى من المنتدى المنعقد في ستوكهولم 2022، حيث طُرحت المصفوفة المشار إليها خطوات وإجراءات عمليّة تُساعد على تجاوز ومعالجة التحديات في الملف الاقتصادي، وتُخدم كنقطة انطلاق للتأثير على السياسات ذات الصلة ولجمع مختلف الأطراف المعنية معاً لوضع حلول اقتصادية.

تعزيز دور القطاع الخاص في التعافي الاقتصادي:

يؤدي القطاع الخاص دوراً حيوياً في التخفيف من تداعيات الصراع المستمر وفي سدّ الفراغ الذي خلفه انهيار المؤسسات العامة في البلاد. وفي ظل التركيز والدعوة إلى تبني نهج للتحوّل من الاعتماد على الإغاثة الإنسانية إلى التعافي الاقتصادي،

تبرز أهمية التنسيق مع القطاع الخاص كخطوة أساسية حيث سٌساهم التعاون بين الجهات الفاعلة الدولية والحكومة والشركات بالقطاع الخاص إلى دعم عملية إعادة إعمار البنية التحتية وتوفير الخدمات العامة وتنشيط القطاعات الاقتصادية الاستراتيجية كَالقطاعين الزراعي والسمكي.

معالجة أزمة المياه وتعزيز القدرة على الصمود في مواجهة آثار تغير المناخ:

مع تحوُّل الأولويات صوب التعامل مع تداعيات الصراع، تراجع التركيز على آثار تغير المناخ وأزمة المياه المستمرة. يُشكّل الوضع البيئي غير المستقر في اليمن خطراً وجودياً على مستقبل البلاد، حيث يبرز عامل سُح ونُدرة المياه كأحد الدوافع الرئيسية للصراع. من هذا المنطلق، حدّد متندى اليمن الدولي 2023 أولويات للتعامل مع هذا التهديد كالأستثمار في أنظمة الإنذار المبكر، ووضع البيئة في صميم مشاريع إعادة الإعمار، وتسهيل وصول المؤسسات المحلية ذات الصلة إلى الصناديق العالمية لمكافحة آثار تغير المناخ. كما سلّط المتندى الضوء على الأهمية المُلحة لدعم اليمن بحلول تقنية للحدّ من اعتماد القطاع الزراعي على أساليب الريّ الحالية المُستنزفة للمياه الجوفية. كما طرّح المتندى توصيات من أجل إعداد موجزات سياسية حول إدارة الموارد المائية، والتكيّف مع آثار تغير المناخ من أجل تشجيع الدعم الدولي لهذه الجهود وتسهيل الاستفادة من صناديق المناخ العالمية.

1_4. حوار عن السلام من قصر السلام

من قلب قصر السلام في لاهاي، ألقى ماجد المذحجي- رئيس مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية والشريك المؤسس فيه - كلمته الافتتاحية أمام المشاركين مؤكداً أن انعقاد المتندى "لا يعني وعداً بالسلام في اليوم التالي، لكن كما أكدنا العام الماضي، إن هذه التظاهرة السياسية الكبرى تسعى بالحد الأدنى إلى إصلاح المعادلة اليمنية المختلة: إذ يتقاتل اليمنيون لسنوات وبالكاد يستطيعون اللقاء والحوار لأيام. بعبارة أدق؛ هذا المتندى يمثّل منصة نقاش جماعي مهمتها الأساسية، تقديم أفكار خلاقية لحل النزاع، وهو مركز إنذار مبكر لاكتشاف وتحديد التهديدات التي تحيق مستقبلاً بعملية السلام، والتي قد تنتقص من عدالتها واستدامتها". وفي هذا الصدد، قال المذحجي لن نكل أبداً عن إحياء فرص الحوار؛ مهما بدت

للبعض أنها غير مجدية، ونحن نؤمن أن الحديث وتطوير الأفكار هو بداية الطريق نحو التغيير.

من جانبه، نوّه سعادة السيد بول هويتس، الأمين العام لوزارة الخارجية الهولندية، إلى الرمزية التاريخية لقصر السلام الذي يحتضن محكمة العدل الدولية، مذكراً الحضور بتجربة أوروبا التي تعلّمت بالطريقة الصعبة كيف يُمكن أن تتحوّل المظالم المتروكة دون حلّ إلى أرضية خصبة لنشوب الصراعات في المستقبل. وأكد هويتس أن أي سلام لا يتسم بالشمول لن يكون مستداماً، ولا يُمكن أن يتحقق سلام دون استيعاب أوجه العدالة والمساءلة. وانطلاقاً من أهمية النقاشات الجماعية بين مختلف الأطراف الفاعلة، تطرّق هويتس إلى ضرورة تحويل بوصلة التركيز وتجاوز السرديات المعهودة من أجل الخروج بتصورٍ لمجتمع سلمي في اليمن، قائلاً: "لا يمكنكم بناء مستقبل أفضل إن لم تكن لديكم رؤية لما يجب أن يبدو عليه هذا المستقبل، وكيف سيختلف عن الماضي".

2_4. تضامن وحوار حول الملف الجنوبي

برزت مسألة المظالم التي لم تُحلّ على نقاشات المشاركين بشكل عام في منتدى اليمن الدولي هذا العام، لا سيما في الجلسات التي جمّعت مكونات جنوبية عدة، علماً أن نسخة هذا العام شهدت مشاركة واسعة ونقاشات ثرية بين ممثلي القوى الجنوبية، بما في ذلك مشاركة وفد رسمي رفيع المستوى من المجلس الانتقالي الجنوبي، وممثلين عن لجنة اعتصام المهرة، ومؤتمر حضرموت الجامع، والحراك الثوري الجنوبي، والحراك الجنوبي، إلى جانب نشطاء مستقلين وشخصيات سياسية جنوبية بارزة. عُقدت مناقشات المنتدى في حُضم عام عصيب يمرّ على مجلس القيادة الرئاسي منذ تشكيله في أبريل/ نيسان 2022 مع تعمّق الانقسامات بين أعضائه، وبعد أسابيع فقط من اللقاء التشاوري الجنوبي الذي نظّمه المجلس الانتقالي الجنوبي في 4 مايو/ أيار 2023 والذي جمّع طائفة من المكونات الجنوبية الفاعلة وانتهى بالإعلان عن الميثاق الوطني الجنوبي.

وفي هذا السياق، شدّد عدد من المشاركين في جلسات المنتدى على ضرورة توسّع دائرة المشاورات التي يقودها المجلس الانتقالي الجنوبي لتشمل عدد أكبر من المكونات الجنوبية، وردّاً على ذلك، أشار ممثلو المجلس الانتقالي الجنوبي إلى أن الميثاق الوطني الجنوبي وُضع كوثيقة قابلة للتعديل والتنقيح. أتاحَت مشاركة

المجلس الانتقالي الجنوبي الأول في المنتدى فرصة للتواصل مع طيف من الجهات الفاعلة اليمنية والأوساط الدبلوماسية المشاركة، حيث أكد ممثلوه على التزام المجلس بالوحدة بين المكونات الجنوبية ودعمه لمجلس القيادة الرئاسي، وهو تصريح لقي ترحيب من الدبلوماسيين الدوليين الحاضرين في المنتدى ممن شددوا على أن مجلس القيادة الرئاسي هو الكيان الحاكم الوحيد في اليمن المعترف به دولياً. وزُعم تباین وجهات النظر حول مساعي المجلس الانتقالي الجنوبي لجمع الفصائل الجنوبية المختلفة، والنقاشات المتباينة حول مشروع فك الارتباط مقابل بقاء الوحدة، أجمع الحاضرون على الحاجة الملحة لجهة جنوبية مُتحدة، وأن الإخفاق في ذلك سيُعني التعامل مع تداعيات استمرار مظاهر التسلّح والعسكرة في الجنوب.

3_4. الهدنة الاقتصادية: ضرورة ملحة:

تبَيّ المشاركون في المنتدى رسالة عامة خلال الجلسات المُندرجة تحت محور التعافي الاقتصادي (أحد المحاور الرئيسة الثلاثة لنقاشات المنتدى)، مفادها أن اليمنيين لا يملكون رفاهية الوقت لانتظار اتفاق سلام يُعالج الاقتصاد المتداعي. وفي هذا الصدد، قال علي الحبشي، وهو رجل أعمال والمدير التنفيذي لشركة بروم للأسماك وموقع بازازي للتجارة الإلكترونية، وأحد المتحدثين في جلسة المنتدى المُعنونة بـ (رسم مستقبل اليمن) إن "المعاناة الناجمة عن الاقتصاد المتداعي أكثر إيلافاً من أي قضايا عسكرية أو سياسية"، مشيراً إلى أن اليمن بحاجة ماسة إلى هدنة اقتصادية تتزامن مع التهدئة السياسية. وأضاف الحبشي، أن "التحديات الاقتصادية أثرت على كل أسرة في بلدنا"، مشيراً إلى فقدان الوظائف، وانقسام السياسات النقدية، والتخلف عن دفع الرواتب المستحقة، وارتفاع الأسعار، وتعثر النمو الاقتصادي، وقطاع مصرفي على شفى الانهيار. انطلاقاً من هذا، حثّ المشاركون على أهمية التوسط في هدنة اقتصادية للتخفيف من تداعيات الحرب واحتواء التصعيد المستمر بين الأطراف المتحاربة على جبهة القطاع المصرفي، وضرورة أن تُركز عملية الوساطة (برعاية مكتب المبعوث الأممي الخاص في اليمن) في المقام الأول على الأوجه الفنية التي تتقاسم فيها أطراف النزاع المصالح والإجراءات التي يُمكنها تنفيذها على صعيد منفصل (كل على حده)، مثل فرض ضوابط رقابية على شركات الصرافة ودعم الخدمات المالية الرقمية.

من جانبہ، أوضح ديفيد غريسلي، المنسق المقيم للأمم المتحدة ومنسق الشؤون الإنسانية في اليمن، وجهة نظره إزاء دعوات المشاركين للجهات المانحة والمجتمع الدولي بدعم مزيد من البرامج والمشاريع طويلة الأجل وضرورة التحوّل من الاعتماد على الإغاثة الإنسانية إلى التعافي الاقتصادي، قائلاً في كلمته الافتتاحية إن مثل هذا التحوّل ينطوي على مخاطر حتى "لو بات السلام في الأفق، نحن بحاجة إلى كبح هذا الاندفاع للتحوّل مباشرة إلى التنمية وإلغاء المساعدات الإنسانية" مشدداً بأن "هذا ليس سباق تتابع، بل مرحلة انتقالية ستستغرق وقتاً، وستتخللها حاجة إلى المساعدات الإنسانية لسنوات قادمة بما يُمكننا من تحقيق تعافٍ حقيقي في الاقتصاد".

هذا لم يمنع الخبراء اليمنيين من تكرار دعواتهم للتحوّل من الاعتماد على المساعدات الإنسانية إلى التنمية والتركيز بشكل كبير على بناء الدولة. في هذا الصدد، قال رأفت الأحملي، الزميل الزائر بقسم المشاريع الاستراتيجية في كلية (بلافاتييك) للإدارة الحكومية بجامعة أكسفورد: "ما يحتاجه اليمن هو الانتقال من مرحلة الاعتماد على الإغاثة إلى مرحلة التنمية وذلك عبر تبني نهج يقوم على ثلاث ركائز: القطاع الخاص والسلطات المحلية والمجتمع المدني بجميع مكوناته بما في ذلك النقابات والأحزاب السياسية".

من جانبها، قالت تانيا ماير، المديرية القطرية لمكاتب البنك الدولي في اليمن والشرق الأوسط وشمال أفريقيا، في إطار مشاركتها كمتحدثة في الجلسة العامة المعنونة بـ (رؤى مشتركة لاقتصاد اليمن والتعافي المبكر) إن "التوجّه لا ينبغي أن يكون إنسانياً أو إنمائياً بالضرورة"، مضيفاً أن تبني مثل هذا الإطار الشائ قد يضرّ باليمن. وشدّدت على أن جهود التعافي وإعادة الإعمار ستحتاج في نهاية المطاف إلى أن تكون بقيادة يمنية، مؤكدة على أن دور المجتمع الدولي هو "تقديم الدعم ثم الدعم ثم الدعم" مع التركيز بشكل خاص على تدخلات تُدار بقيادة محلية والاستثمار في الشباب اليمني ودعم القطاع الخاص الذي ساهم في سد فراغ غياب دولة فاعلة عبر المشاريع والأعمال الحرة.

وخلال جلسة جانبية عن دور القطاع الخاص في التعافي الاقتصادي وإعادة إعمار اليمن، حثّ خبراء اقتصاديون ورجال أعمال الحكومة على التنسيق مع القطاع الخاص، مشيرين إلى الدور الحيوي الذي يلعبه القطاع الخاص في مجال العمل الإنساني والتخفيف من تداعيات انهيار المؤسسات العامة. وشدّد المشاركون على

أهمية بناء الشراكات والنهوض بالتعاون الاستراتيجي بين القطاعين العام والخاص، لا سيما في مجال تطوير البنية التحتية وتوفير الخدمات العامة، والعمل على ضمان حماية القطاع الخاص وبقائه محايداً وبعيداً عن الصراع. في جلسة جانبية أخرى حول تنشيط القطاعات الاستراتيجية في الاقتصاد اليمني، انخرط خبراء من شتى الخلفيات في نقاشات حول كيفية تنشيط قطاعين اقتصاديين جوهريين؛ القطاع الزراعي والقطاع السمكي، وأهمية مشاريع الحصاد المائي، ونقل المعارف والخبرات، واعتماد تقنيات حديثة لمساعدة المزارعين في اعتماد أساليب ريّ حديثة، إلى جانب تبني آليات مبتكرة لتطوير القطاع السمكي في اليمن، وتعزيز قدرة القطاعين على التكيف مع آثار تغير المناخ.

4/4: لا سلام بدون عدالة، ولا عدالة بدون مساءلة

برز ملف العدالة الانتقالية كموضوع جوهري باعتباره أحد المحاور الرئيسة الثلاثة لنقاشات منتدى هذا العام. وعلى خلاف تردد وتحفظ بعض الجهات الفاعلة المحلية والدولية في تناول هذه المسألة خلال النسخة الأولى من المنتدى العام الماضي - تخوفاً من أن تخرج هذه القضية الخلافية عملية السلام عن مسارها - حظي ملف العدالة الانتقالية بتأييد ودعم واسع من المشاركين في نسخة هذا العام ممن رأوا ضرورة مناقشة هذه القضية انطلاقاً من أهمية السعي لتحقيق العدالة وجبر الضرر لعددٍ لا يحصى من ضحايا حرب اليمن كمبدأ أساس تنهض عليه عملية السلام.

برزت بعض الأسئلة الحساسة خلال الجلسات التي جمعت عدداً من الضحايا والناجين لسرد قصصهم وتجاربهم وتبادل الأفكار حول أوجه العدالة وبأي شكل يمكن أن تُطبق، مثل: ما الذي يعنيه مفهوم العدالة الانتقالية بالنسبة لليمنيين؟ هل ينبغي البدء بتطبيقه الآن أم بعد التوصل إلى تسوية سلام؟ وهل سيترتب على ذلك جبر الضرر والتعويض لضحايا حرب اليمن، وبأي صيغة سيتم ذلك؟ وهل ستنتوي العملية على إجراءات عقابية أم تصالحية؟ وهل ستضمن العملية المساءلة الجنائية؟.

خلال مشاركتها كأحد المتحدثين في الجلسة الافتتاحية لأعمال المنتدى، قالت أمة السلام الحاج، رئيسة رابطة أمهات المختطفين التي أُسست عام 2015 وتُعنى بقضايا المعتقلين تعسفياً والمختطفين في السجون: "من هذا المكان الرمزي، مكان

السلام، نطالب بأن يكون هناك سلام شامل. لا يمكن أن يكون هناك سلام بدون عدالة. ولا يمكن أن تكون هناك عدالة بدون مساءلة". وحذرت أمة السلام الحاج المشاركين من استمرار دورات العنف والثأر في حال التقاعس عن تحقيق المساءلة والمصالحة، مضيفة: "هؤلاء الضحايا قبله موقوتة".

وقد ضمّ ممثل رفيع المستوى من المجتمع الدولي صوته إلى صوت أمة السلام الحاج مستخدماً نفس النبرة التحذيرية في إحدى الجلسات الجانبية، قائلاً: "ما يجب ألا نفعله أبداً هو قبول عملية سلام تمنح عفواً عاماً (للمتورطين في الانتهاكات)"، ومضيفاً، إن التحوّط من الحرب الأهلية وتداعياتها دفعت اليمنيين إلى قبول اتفاقيات سلام ناقصة في الماضي عاد شبحها ليُطاردهم لاحقاً. وسرد الممثل رفيع المستوى تجربته الخاصة في مفاوضات السلام اليمنية عام 1994 وفشل الجهود المبذولة لتطبيق مفهوم المصالحة أو العدالة الانتقالية، مشيراً إلى أن الوضع الحالي ما هو إلا الثمن المدفوع للفشل بالماضي في معالجة القضايا الشائكة. واستطرد الممثل بالقول "فشل الأمم المتحدة عام 1994 هو أحد العوامل التي أوصلتنا لهذه المرحلة اليوم، كما أن فشل مؤتمر الحوار الوطني هو أيضاً سبب آخر لما نشهده اليوم" مشيراً إلى ما وصفه بـ "القرار الكارثي" المتمثل في منح الرئيس السابق علي عبد الله صالح الحصانة من الملاحقة القضائية، والإبقاء بشكل عام على سلطة النخبة القديمة بموجب المبادرة الخليجية عام 2012.

رغم المطالب الواضحة والصريحة بتحقيق العدالة، اتفق المشاركون على أن تبلور ذلك في السياق اليمني يحتاج إلى توافق في الآراء على نطاق واسع. لكن بالمُجمل، رأوا أهمية تمكين رابطات الضحايا، والتنسيق بين المنظمات غير الحكومية، والنهوض بجهود توثيق الجرائم باعتبارها خطوات أساسية تمهد الطريق أمام إرساء العدالة الانتقالية. بدا الاهتمام واضحاً في نقاشات الحاضرين حول مسألة توثيق الانتهاكات ليس فقط كآلية لتحقيق المساءلة الجنائية، بل أيضاً لكتابة التاريخ وحفظ الذاكرة. كما تباحث المشاركون حول إضفاء الطابع الرسمي على العملية وإنشاء قاعدة بيانات مركزية تُوثق انتهاكات حقوق الإنسان، وما إذا كان ضرراً أكثر من نفعها في ظل حساسية القضايا التي يتم التعامل معها. وفي سياق النقاشات، شدّد معتقل سابق وأحد ضحايا التعذيب على أهمية

استعادة الضحايا كرامتهم بغض النظر عن المساعي لتحقيق المساءلة الجنائية للمتورطين. وفي معرض وصف تجربته الشخصية في إطلاق سراحه من السجن والطريقة اللاإنسانية التي تم التواصل بها معه للإدلاء بشهادته عن تجربته في المعتقل، أشار المشارك إلى أن نصف هذه الحالات (حسب تقديره) مؤثقة بطريقة سيئة لأن كثيراً من المعتقلين، شأنهم شأنه، يرفضون تقديم الأدلة بسبب قلة خبرة الأفراد المسؤولين عن عملية التوثيق. وحثَّ المشارك المشار إليه ممثلي منظمات المجتمع المدني ومندوبي المجتمع الدولي الحاضرين في الجلسة على النظر في كيفية تقديم توجيه وإرشاد ودعم أفضل في مجال توثيق انتهاكات حقوق الإنسان من أجل استعادة الضحايا لكرامتهم والحفاظ عليها.

من جهة أخرى، حثَّ المشاركون ممثلي المجتمع الدولي على تهيئة الظروف المواتية لإرساء العدالة الانتقالية، حيث أشارت خبيرة في العدالة الانتقالية إلى افتقار معظم قرارات مجلس الأمن الدولي والقرارات الأممية الأخرى للغة تدعو إلى إرساء العدالة الانتقالية، وحثَّت في هذا الصدد الممثلين الدوليين الحاضرين على اتخاذ إجراءات حيال ذلك قائلة: "عليكم أن تذكروا ذلك - أي العدالة الانتقالية - في إحاطاتكم. بعدم تضمينكم ذلك، أنتم تُصعِّبون إحراز أي تقدم"، كما حثَّت على التحلي بالجرأة والضغط لتحقيق العدالة الانتقالية حتى مع غياب الرغبة الدولية لذلك. هذا وتكلَّلت النقاشات الدائرة لاستنباط خارطة طريق تُرسي العدالة الانتقالية في اليمن بإعلان مشترك لتعزيز العدالة والمصالحة في اليمن جرى قراءته في الجلسة الختامية لأعمال المنتدى، حيث صيغت مسودة الإعلان بالتعاون مع أكثر من 30 منظمة يمنية من منظمات المجتمع المدني وخبراء يمينيين ودوليين، ووُزعت المسودة على الحاضرين.

نداء مشترك من أجل العدالة: إعلان من أعضاء المجتمع المدني اليمني:

"نُعرب عن رفضنا لأي عملية سياسية تتجاهل دعوتنا للعدالة، أو تسعى إلى المساومة على مطالبنا مقابل ما يسمَّى بالاستقرار السياسي، إذ لا يمكن تحقيق السلام المستدام والدائم إلا بالترحيب بالمصالحة من خلال العدالة."

إعلان اليمن للعدالة والمصالحة:

تقوم الفرضية التي استندت إليها مسودة إعلان اليمن للعدالة والمصالحة على أن السعي وراء تحقيق العدالة ينبع من مبدأ أساس لدعم السلام والاستقرار، ولا ينبع من آمال غير واقعية. صيغ الإعلان المطروح في منتدى اليمن الدولي 2023 بشكل تشاركي، بناءً على مداخلات قامت بها أكثر من 30 منظمة يمنية من منظمات المجتمع المدني. لطالما أثبتت منظمات المجتمع المدني دورها المحوري خلال فترة الحرب التي عاثت الفوضى في اليمن، حيث اضطلعت بتقديم خدمات أساسية للمحتاجين وسلّطت الضوء على انتهاكات حقوق الإنسان، ودافعت عن القضايا المحلية، وسعت إلى محاسبة الأطراف المسؤولة. لم يقتصر عمل منظمات المجتمع المدني على العمل الإنساني فحسب، بل اضطلعت بعض تلك المنظمات بأنشطة كتنظيم رابطات الضحايا، وتوثيق الانتهاكات، والدفاع عن المختطفين، ويعمل أعضاؤها في بيئة متقلبة محفوفة بالمخاطر وبقليل من الدعم الخارجي وبإمكانية محدودة للتنسيق مع أقرانهم. على ضوء هذا، قد يساهم تنسيق الجهود في نمو المنظمات المحلية وتعزيز قدرتها على التأثير فيما يتعلق بمبادرات العدالة الانتقالية.

انطلاقاً من هذا، يهدف الإعلان إلى تحفيز تنسيق الجهود وتعزيز التعاون لتمهيد الطريق أمام إرساء العدالة الانتقالية، وسيُتيح منبرا مشتركا لمنظمات المجتمع المدني اليمنية للتعبير عن مبادئها ومطالبها وتوحيد مواقفها لاستنباط رؤية مشتركة، وبناء الزخم اللازم لتحقيق العدالة الانتقالية وتهيئة بيئة مواتية للتعاون والتنسيق تُتيح لمنظمات المجتمع المدني الانخراط بفعالية في مسارات ومبادرات السلام. هذا ونُفّح الإعلان بعد اختتام المنتدى وأُطلق بشكل رسمي في 26 يوليو/ تموز 2023 حيث أقرته وصادقت عليه العديد من منظمات المجتمع المدني اليمنية.

تبني نهج يُركز على معاناة الضحايا من الأقليات في اليمن:

في جلسة عامة حول استكشاف الخيارات المتاحة لتطبيق العدالة الانتقالية في اليمن، حيث نادر السقاف، ممثل مكتب الشؤون العامة للأقليات البهائية في اليمن على ضرورة التواصل مع الضحايا قائلا: "تحدثوا مع الضحايا أعطوهم الحق في إخباركم عن تجربتهم". ودافع السقاف - الذي سبق أن اعتقل مرتين تعسفياً وهُجّر

من دياره أربع مرات وأُجبر في نهاية المطاف على العيش في المنفى - عن حقوق البهائيين، علماً إن الأقليات الدينية والعرقية في اليمن تعرضت للاضطهاد والقمع والتمييز تاريخياً من قبل الدولة والمجتمع على حدٍ سواء. تُواجه الأقليات اليوم وضعاً أشد خطورة حيث يتعرّض أتباعها لدرجات متفاوتة من العنف وانتهاكات في حقوقهم الإنسانية من قبل الأطراف المتحاربة والجماعات المسلحة، تشمل: النفي والاعتقال والتعذيب وحتى القتل على أساس اختلاف خلفياتهم أو عقيدتهم أو لون بشرتهم. كان مُلفتاً التمثيل الكبير للأقليات والضحايا في نقاشات المنتدى المتمحورة حول آليات بناء السلام هذا العام، وهو ما يعكس أهمية تبني نهج يتمحور حول مركزية الضحايا الذي يُعدُّ أحد الالتزامات الأساسية للمنتدى. هذا وحثّ المشاركون المجتمع الدولي على دعم منظمات المجتمع المدني المدافعة عن حقوق الضحايا ومساعدتها في بناء قدراتها على التنسيق والعمل بشكل جماعي. وتحقيقاً لهذه الغاية، سيبدأ منظمو منتدى اليمن الدولي في مسح رابطات الضحايا العاملة في اليمن وتحديد احتياجاتها وأولوياتها، ومواصلة استكشاف كيفية تطبيق منهج مركزية الضحايا بطريقة تتلائم مع السياق اليمني من خلال الإنتاج المعرفي من قبل فريق المنتدى.

4/5: إصلاح القطاع الأمني وإدماج آليات الوساطة

شهدت النسخة الأولى للمنتدى العام الماضي، مناقشات مستفيضة حول عملية نزع سلاح المقاتلين وتسريحهم وإعادة إدماجهم، واستكمالاً لذلك، أعادت جلسات النسخة الثانية لعام 2023 التباحث حول جدوى مبادرات نزع سلاح سُكان يعتبر حمل السلاح بالنسبة لهم إرثاً متجذراً. في هذا السياق، قال أحد الخبراء المشاركين في الجلسة المُعنونة بـ (إصلاح قطاع الأمن وتحقيق الاستقرار): "كان لدينا جيش شبه مُنظم ... اليوم لدينا جماعات مسلحة غير مُنظمة ولا تخضع لسيطرة أحد"، مُقدراً العدد الراهن للمقاتلين في اليمن بحوالي 2 مليون مقاتل، لجأ كثير منهم إلى الانضمام للجماعات المسلحة لتأمين مصدر دخل في ظل الوضع الاقتصادي المتردي في البلاد. أضاف الخبير المشار إليه إن المبادرات التقليدية لنزع السلاح والتسريح وإعادة الإدماج غير مُجدية في السياق اليمني، بل ستخلق أعباء مالية من شأنها أن تُثبط التنمية الاقتصادية نظراً لأن سكان بعض مناطق اليمن يعتمدون

تقليدياً على الوظائف المتاحة في القطاع الأمني كمصدر دخل. هذا وجرت مناقشة مفهوم إنشاء قطاع أمني لامركزي على مستوى المحافظات - وهو مُقترح طُرح خلال النسخة الأولى من المنتدى العام الماضي - سعياً لإيجاد حلول "خارج الصندوق" لهذه المعضلة. كما بحث الخبراء كيفية التعامل مع الأعداد الهائلة من المقاتلين بأقل تكلفة ممكنة ودون خلق وضع مريب، وناقشوا إمكانية تشكيل قوة دفاع مدني احتياطية في كل محافظة - وهو مُقترح حظي بتأييد بعض المشاركين، بينما رأى آخرون أنه غير قابل للتطبيق وينطوي على مجازفة كبيرة.

وفي جميع الأحوال، فقد أجمع المشاركون على أن إصلاح قطاع الأمن وفق نهج تصاعدي ينطلق من القاعدة الى القمة سيستغرق وقتاً ولا يُتوقع حدوثه في المستقبل المنظور. فمع غياب دور الدولة، تدخل المجتمع المدني والمحلي في اليمن لسد الفراغ الموجود في الرقابة المجتمعية على الأجهزة الأمنية، ولتعزيز سيادة القانون، والحد من الانتهاكات، والتوسط لفض النزاعات. وفي هذا السياق، طُرح وسطاء محليون مشاركون في المنتدى أمثلة كثيرة عن المبادرات المدنية للقبائل وأعضاء المجتمع المدني، بدءاً من مبادرات ساعدت على إعادة فتح الطرق والمطارات، والتوسط في تبادل الأسرى، وإذكاء الوعي لدى قوات الشرطة بحقوق الإنسان، وإطلاق سراح المعتقلين، وإغلاق السجون السرية، وصولاً إلى وضع مدونات سلوك لقوات الأمن في تعز وعدن، علماً بأن نساء يمينيات تولين قيادة العديد من هذه المبادرات.

في هذا السياق، أشار أحد المشاركين في الجلسة المُعنونة بـ (تكثيف دور الوساطة المحلية) إلى الدور الهام الذي لعبته ثقافة الوساطة المحلية المُتجذرة في تقاليد المجتمع في الحفاظ على التماسك الاجتماعي وحماية المدنيين من تداعيات الحرب، قائلاً: "اليمنيون بطبيعتهم، يميلون إلى لعب دور الوساطة". وشدّدت جهات فاعلة من المجتمع المدني على الفرص المتاحة لزيادة فعالية ومرونة آليات الوساطة المحلية وقابليتها للتكيف مقارنة بعمليات التفاوض الرسمية، كون الأولى لا تقتدي ببروتوكولات مُعقدة بل تُبني على العادات والأعراف والتقاليد. وأكدوا أن وجود تنسيق أكبر ومباشر بين آليات الوساطة المحلية ومسارات السلام الرسمية التي ترعاها الأمم المتحدة قد تُساعد في تحوّل بوصلة التركيز صوب الاعتماد على النماذج المحلية لحلّ النزاعات، ومن هذا المنطلق، يُمكن لمكتب المبعوث الاممي الخاص في اليمن لعب دور إيجابي

من خلال البناء على إنجازات الوسطاء المحليين والاستفادة من خبراتهم وآرائهم.

4/6: مجابهة العنف القائم على النوع الاجتماعي وتهميش النساء

ركز منتدى هذا العام على قضية تهमيش النساء اليمنيات بوصفه واحدة القضايا الجوهرية في ظل التنامي المقلق لانتهاكات حقوق المرأة منذ اندلاع الحرب. وخلال مشاركتها كمتحدثة في جلسة نقاشية حول الفرص المهددة في التعامل مع إقصاء النساء ومواجهة الأوجه المتعددة للعنف القائم على النوع الاجتماعي، قالت وداد البدوي، رئيسة مركز الإعلام الثقافي ومقدمة برامج تلفزيونية وصحفية معروفة: "تعرضت كرامة المرأة اليمنية لاعتداء مباشر"، ساردة التحديات التي واجهتها في رحلة سفرها من صنعاء لحضور المنتدى مع فرض سلطات الحوثيين سياسة المحرم وضرورة موافقة ولي الأمر على تنقل المرأة في المناطق الخاضعة لسيطرتها. وأشارت البدوي إلى إنها شعرت بخذلان المجتمع الدولي لهذه القضية مناشدة بتقديم الدعم اللازم حتى لا يفهم صمت المرأة على أنه رضا عن الوضع السائد، مشددة بالقول "علينا أن نناشدهم لأن الأحزاب السياسية لا تستمع إلينا. في الواقع هم يستمعون إلى المجتمع الدولي".

كما تناولت الجلسة توجهات مثيرة للقلق في اليمن كتنامي العنف القائم على النوع الاجتماعي، حيث دعت سوسن الرفاعي، مستشارة إنمائية وخبيرة في السياسة العامة والمناصرة وقضايا الإنصاف، الحاضرين إلى ضمان وضع آليات للتبليغ عن أي ممارسات عنف قائمة على النوع الاجتماعي وإعطاء أولوية للتصدي لها، مشددة على أن الإخفاق في ذلك سيُعني "أن تُمحي قضايا العنف من الذاكرة الدولية، لا يتكلم الفاعلون الدوليون عن قضايا النساء إلا خارج اليمن وداخل اليمن يتكلمون عنها باستحياء". وضمت شيرين طرابلسي-مكارثي، مديرة المركز الوطني للبحوث الاجتماعية في المملكة المتحدة (NatCen)، صوتها إلى صوت الرفاعي وباقي المتحدثات والمتحدثين بالقول: "نحتاج إلى فهم حقيقي للأولويات ولواقع الإخفاقات"، مشيرة إلى أوجه القصور الواضحة في نهج المجتمع الدولي في تقديم المساعدات في اليمن حيث لم يُشهد تغيير يُذكر كَوْن المشاريع الدولية تتسم "بنوع من السذاجة ولا تبني نهجاً طويل المدى" وتفتقر إلى الوضوح ولا تراعي السياق المحلي مع تركيزها بشكل مبالغ على بناء القدرات. تطرقت جلسات جانبية أخرى لهذه القضية، حيث نوّه مشاركون إلى أن إرث المرأة الجنوبية والحركة النسوية التي كانت قبل الوحدة قد تم تهميشها من قبل القوى

السياسية الجنوبية التي باتت تضم عددا قليلا من النساء بل وقُلص دور المرأة غالباً في مكاتب ومناصب خاصة تُعنى بـ "شؤون المرأة". وفي هذا السياق، قالت محامية حقوقية وناشطة جنوبية: "نحن لا نعيش أفضل أيامنا"، مُتهمة الأحزاب السياسية بـ "نسيان تاريخ المرأة الجنوبية". في جلسة أخرى حول الوساطة المحلية، تساءلت إحدى المشاركات (وهي قائدة مُجتمعية): "من الذي يُضرم النار، ومن يُطفئها؟" مشيرة إلى أن النساء كُنَّ في صميم مبادرات تعزيز التماسك الاجتماعي داخل مجتمعاتهن.

4/7: تعزيز القدرة على الصمود في مواجهة آثار تغير المناخ

بدون مياه .. "لن يبقى هناك يَمَن":

ناقش عدد من الخبراء أزمة المياه الحادة التي يُعاني منها اليمن خلال الجلسة المُعنونة بـ (الإصلاحات المطلوبة لحوكمة الموارد المائية كمنطلق لمعالجة أزمة المياه)، حيث استكشفوا أوجه التنسيق الفني في قطاع المياه. وأشارت إحدى الخبرات الدولية إلى أن نصيب الفرد السنوي من الموارد المائية المتاحة في اليمن بلغ 74 متراً مكعباً وهو يتعدى من مؤشر شُح المياه، قائلة: "إن لم تُتخذ إجراءات لمعالجة أزمة المياه في اليمن، فلن يعود لجميع القضايا الأخرى التي يتم مناقشتها خلال المنتدى أي أهمية على الإطلاق". من جهته، قال خبير بيئي يمني: "اعتمد سكان صنعاء قبل ستين عاماً على المياه السطحية كمصدر لمياه الشرب. أما اليوم، بات لزماً حفر بئر بعمق 800-1000 متر للحصول على المياه"، وذلك في سياق حديث المشاركين عن الاستخدام المفرط لمضخات الري من الآبار العميقة في اليمن وهو ما يُضائل حجم الموارد المائية المتاحة للمجتمعات الفقيرة.

فضلاً عن ذلك، أشار خبراء ومهندسون زراعيون إلى أن معظم المياه المستخدمة في الزراعة - وهو القطاع المستحوذ على 80 إلى 90 في المائة من إجمالي حجم استهلاك المياه - تُهدر بسبب ممارسات الري غير المُتصفة بالكفاءة. وفي هذا السياق، قال أحد الخبراء إن الحل يكمن في تغيير استراتيجية التنمية الزراعية وأساليب الري، والتحوّل إلى الزراعة البعلية (المعتمدة على الأمطار) وتحسين أساليب تجميع مياه الأمطار. شدد مشارك آخر على الحاجة إلى تكنولوجيات جديدة ودراسات موثوقة تأخذ في الاعتبار أساليب الري المختلفة الملائمة للمحاصيل

الزراعية بحسب اختلاف المناطق، كما أشار مُشارك ثالث إلى الحاجة إلى مزيد من الدراسات لفهم مُعدل نضوب المياه الجوفية نتيجة استخدام المضخات العاملة بالطاقة الشمسية واستنزافها لأحواض المياه الجوفية. بالمُجمل، أجمع المشاركون على أن معالجة أزمة المياه تتطلب تعزيز قدرات المؤسسات المعنية القائمة وتحسين أوجه التنسيق بين وزارة الزراعة والري ووزارة المياه والبيئة، في ظل تعليق تنفيذ الاستراتيجية الوطنية للمياه منذ اندلاع الصراع

يحتل اليمن المرتبة الـ 22 في قائمة البلدان الأكثر عُرضة لآثار تغير المناخ، والمرتبة 14 من بين البلدان الأقل قدرة واستعداداً للتكيف مع تلك الآثار والتصدي لها - وفق ما ذكرت جيهان عبد الغفار، وهي خبيرة إنمائية وكبيرة المستشارين والمديرة التنفيذية في مجلس إدارة مجموعة البنك الدولي ممثلة لبلدان الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وجنوب آسيا، خلال مشاركتها كمتحدثة في جلسة نقاشية حول تغير المناخ وانعكاساته على سبل العيش وأجندة التعافي الاقتصادي. تُشير التقديرات إلى أن أكثر من 10 بالمائة من السكان النازحين في اليمن (منذ بدء الصراع) تُعزى أسباب نزوحهم إلى آثار تغيّر المناخ، في ظل ارتفاع درجات الحرارة وتواتر السيول المفاجئة والأعاصير المدارية وموجات التصحر والجفاف المطول - وهي بعض الظواهر الجوية المتطرفة التي يشهدها اليمن بصورة متزايدة، وفق ما ذكر أنور نعمان - مستشار في شؤون تغير المناخ وممثل وحدة التغير المناخي بالهيئة العامة لحماية البيئة باليمن.

في هذا السياق، نوّه المتحدثون في الجلسة إلى أن الصراع الجاري في اليمن يُحوّل بوصلة استخدام الموارد بعيداً عن جهود التكيف مع آثار تغير المناخ وتعزيز القدرة على الصمود في مواجهتها، في ظل بروز الحاجة إلى مبادرات تشمل على سبيل المثال لا الحصر: أنظمة الإنذار المبكر، وحملات مناصرة لإذكاء الوعي بهذه القضية على المستوى الوطني، وأهمية تعزيز الزراعة البعلية (أي المعتمدة على مياه الأمطار)، والحدّ من ممارسات إزالة الغابات والأحراش.

وفي هذا الصدد قالت (ليوني نيمو) منسقة مشروع وزميلة أبحاث بمرصد النزاعات والبيئة (CEOBS)، إن إعادة إعمار اليمن يعتمد على النهوض بمشاريع أفضل تراعي البيئة، مضيفة أن أي خطط لتخصيص تمويلات لإعادة الإعمار يجب أن تأخذ الاستقرار البيئي على المدى الطويل بعين الاعتبار. إلا أن التحدي يكمن

في عدم قدرة المؤسسات اليمنية المعنية بمُجابهة آثار تغير المناخ على الاستفادة من صناديق المناخ العالمية والتي تميل عادة إلى تجنب المجازفة في الدول المتأثرة بالزلاعات وبالتالي يتعذر على هذه الدول الوصول إلى التمويلات من هذه الصناديق بسهولة.

من جهة أخرى، أثار تحوّل البلاد إلى الاعتماد على الإغاثة الإنسانية في أعقاب اندلاع الصراع على برامج مكافحة تغيّر المناخ، حيث قلّص المانحون بشكل كبير التمويلات المخصصة لمثل هذه البرامج وهو ما يُشكل تحدٍ آخر، حسب أنور نعمان الذي قال: "خلال الفترة من 2010 إلى 2017، بلغ نصيب الفرد من التمويلات المخصصة لتدابير التكيف مع آثار تغير المناخ في اليمن أقل من دولارين سنوياً". كما تطرق المتحدثون إلى تجارب بلدان أخرى كالمغرب ومصر اللتان نجحتا في الاستفادة من صناديق المناخ العالمية، مشددين على حاجة اليمن إلى استخلاص الدروس من تجارب البلدان النامية الأخرى في تعزيز القدرة على الصمود في مواجهة آثار تغير المناخ. من جانبها، حثت (نيمو) على ضرورة جمع عدد أكبر من البيانات من داخل اليمن لضمان تأمين مزيد من التمويل لهذه البرامج.

عقدة ذنب الناجين لدى المغتربين اليمنيين وجهودهم للمناصرة:

يُقدر عدد المغتربين اليمنيين حالياً بنحو 10 مليون مغترب يتوزعون على 40 دولة في آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا الشمالية. تبلغ التحويلات المالية المُرسلة من المغتربين اليمنيين لذويهم في اليمن مليارات الدولارات الأمريكية رغم القيود المفروضة والرسوم المرتفعة المُرتبة على عمليات التحويل. ظهرت عُقدة ذنب الناجين كقاسم مشترك بين المشاركين في الجلسة المعنونة بـ (دور اليمنيين في المهجر في بناء السلام)، حيث أشار أحدهم إلى أن أبسط الأمور كفتح الصنبور والحصول على مياه نظيفة يُثير لديه شعور بالذنب في ظل أزمة سُح المياه التي يعاني منها سكان اليمن، واضطرار النساء والأطفال إلى السير أميالاً لجلب المياه. يُواصل العديد من المغتربين الانخراط في المبادرات السياسية ومبادرات السلام من أرض المهجر، لكن غالباً ما يُهمشون أو تُقوَّض مساعيهم للعمل من أجل بلدهم حيث يواجهون صعوبات في إيصال أصواتهم نظراً لوجودهم في الخارج. كما يَنتاب بعضهم القلق والإحباط المتزايد نتيجة متابعتهم الأخبار والمنشورات

على وسائل التواصل الاجتماعي حول التطورات في اليمن. في هذا السياق، قال أحد المشاركين: "حين كنا نعيش في اليمن، اعتقدنا أن من في الخارج يتمتعون بظروف أفضل. وجدت نفسي عالقا في الأردن لمدة ستة أشهر واكتشفت بأن الآثار النفسية أسوأ على من هم في الخارج". يتتاب المغتربين أيضاً شعور بالمسؤولية والرغبة في المساعدة، حيث تحدّث المشاركون في الجلسة عن مختلف مبادرات بناء السلام التي يعملون عليها والتي لها تأثير كبير في اليمن وفي البلدان المضيفة لهم. وقالت أحدهن: "نحن جسر لأولئك الذين لا يستطيعون التعبير عن آرائهم في الداخل، حيث نحظى بفرص أكبر لممارسة التوعية، فلا يجب الاستهانة بقيمة الدور الذي يلعبه من هم في الخارج". كما اقترح مشارك آخر إطلاق منتدى مخصص للمغتربين كمُنبر يتيح لهم تسخير وتوظيف تجاربهم في مساعدة السكان داخل اليمن.

دعوة لتوفير مزيد من الدعم للفنانين اليمنيين وعدم حصرهم في خانة معينة:

يُعدّ الفن اليمني، الغني بالأشعار والطرب والرقص والذي يعكس تراث ثقافي يعود إلى آلاف السنين، جزءاً من الحياة اليومية لليمنيين، رغم غياب الأطر المؤسسية التي تساعد مجال الفن على الازدهار. أشارت رسامة مشاركة في جلسة للمنتدى تناولت الفن وإعادة تصور مستقبل اليمن إلى أن معظم الفنانين اليمنيين "عصاميين واعتمدوا على التعليم الذاتي"، بينما تحدّث عدد من الفنانات والفنانين المقيمين داخل اليمن وخارجه عن التحديات التي تُعيقهم عن استخدام الفن كأداة للتعبير عن الذات أو لإيصال رسائل عن السلام والعدالة، واضطرابهم لفرض الرقابة الذاتية أو إخفاء أعمالهم لا سيما في المُدن التي سيطر عليها تنظيم القاعدة لفترة مؤقتة، كمدينة المكلا. وفي هذا السياق، ذكرت ناشطة مشاركة في الجلسة أن البيئة المُقيّدة للفن تفاقمت منذ اندلاع الحرب - حيث واجه الفنانون الذين سعوا إلى استخدام مواهبهم من أجل التوعية ومناصرة العدالة قمع من السلطات، بينما يواجه الفنانون اليمنيون في المهجر أشكالاً مختلفة من التحديات.

كما أشارت شاعرة وكاتبة معروفة إلى أنه برغم الدعم المتزايد من الجهات المانحة للفنانين اليمنيين، إلا أن الفنانين: "عالقون بين المطرقة والسندان، لأن كثير منهم يشعرون أنهم لن يحصلوا على دعم ما لم تُركز أعمالهم على قضايا

محددة“.

في هذا السياق، أعرب بعض الفنانين والفنانات الحاضرين في الجلسة عن تصوّرهم لدورهم في تناول القضايا المرتبطة بالحرب، حيث قالت رسامة مشاركة في النقاش: “يسألني الناس ماذا عن تمثيل المرأة في أعمالك الفنية؟ لكن لماذا يُقولونني في خانة معينة؟ لماذا يُسمح للفنانين الإيطاليين برسم الزهور والأشياء الجميلة، لكن حين يتعلق الأمر بأعمالٍ جُلّ ما تفكرون فيه هو الحرب؟“. هذا ودعا الفنانون إلى استكشاف سُبل وكيفية التواصل مع الجهات المانحة والمؤسسات الإقليمية والدولية للاستفادة بشكل أفضل من الاهتمام الدولي المتنامي بأعمال الفنانين اليمنيين.

8_4. بناء سيناريوهات مستقبلية للمساعدة في تصوّر آفاق الأحداث الجارية:

في نسخة هذا العام، أدرج منتدى اليمن الدولي أسسا منهجية مبتكرة مُعتمدة دولياً تُعرف بـ “السيناريوهات التحوّلية” - وهي منهجية باتت تُكتسب زخماً كوسيلة للتعاطي مع الظروف المعقدة وحالة عدم اليقين في سياقات مُعينة، حيث تُشرك مجموعة متنوعة من الجهات الفاعلة في حوار حول مستقبل بلادهم. في إطار هذه المنهجية، يُطلب من المشاركين كبح اندفاعهم للدعوة من أجل المستقبل المنشود والعمل عوضاً عن ذلك على استكشاف سيناريوهات المستقبل المحتملة.

نظّم منتدى هذا العام سلسلة ورش عمل في إطار منهجية “السيناريوهات التحوّلية”، بهدف مساعدة مختلف الجهات الفاعلة على التخطيط لمستقبل بلادهم في ظل الظروف المتقلّبة وحالة عدم اليقين التي يشهدها اليمن. تُساعد هذه المنهجية على تقليص الحواجز بين الأفراد المُتبنّين لوجهات نظر مختلفة وأحياناً متضاربة ودفعهم إلى التفاعل مع بعضهم، وتُشجع على تحويل بوصلة التركيز بعيداً عن تفاصيل الصراع الحالي والاعتبارات قصيرة الأجل باتجاه تحليل مستقبلي طويل الأجل ينظر في سياق أوسع. هذا بحد ذاته قد يُساعد في توسيع دائرة الحوار لتشمل أشخاص أصواتهم غير مسموعة غالباً في آليات الحوار التقليدية، وقد يُشجع المشاركين على نبذ التفكير بالتميّ، وتشغيل مخيلتهم لاستكشاف سُبل جديدة للمضي قدماً مما يعزز من بناء الثقة.

وانطلاقاً من هذا المبدأ، عُقدت خمس ورش عمل لوضع السيناريوهات

المستقبلية، شارك فيها أكثر من 100 مشارك وتناولت المحاور التالية: دور المرأة في المجتمع ومشاركتها في الحياة العامة؛ الهياكل الأمنية والاستقرار؛ العدالة والمصالحة؛ المنظومة السياسية والحياة المدنية؛ والاقتصاد. ركزت جميع ورش العمل بشكل رئيس على "القوى الدافعة أو المحركات" التي قد تُشكّل مستقبل كل محور من المحاور الخمسة المشار إليها آنفاً، حيث انخرط المشاركون في تمرينين: الأول/ تقييم ذاتي لمستوى أثر المحرك ومستوى عدم القدرة على التنبؤ بكل قوة دافعة/محرك، والثاني/ نقاش جماعي لتحديد مختلف المخرجات المحتملة لكل قوة دافعة وسرد قصص صغيرة مرتبطة بكل مخرج.

وبالتعمّن في نمط تقييم المشاركين للقوى الدافعة (العوامل المؤثرة)، تبين أن القوة الأكثر قدرة على التأثير هي الدور الداعم الذي يمكن أن يضطلع به أبناء المجتمع المدني والمجتمعات المحلية في تحقيق العدالة والمصالحة. برزت عوامل أخرى ذات تأثير كبير لكن بقدرة أقل نسبياً على التنبؤ بها كالصراعات القائمة على الهوية، والظروف الأمنية، والتحريض ضد المرأة في الحياة العامة. هذا وشدّد المشاركون في بعض من ورش العمل هذه على قوى/ عوامل شاملة ذات تأثير كبير ومُشترك في حلّ القضايا السياسية والاقتصادية والأمنية كتنقاسم الثروات وتوزيع الموارد. كما شملت القوى الدافعة (العوامل المؤثرة) الأخرى التي اعتبرها المشاركون غير قابلة نسبياً على التنبؤ بها: استخدام الاقتصاد كسلاح، واستمرار سيطرة المتورطين في انتهاكات حقوق الإنسان على دوائر صنع القرار السياسي، وديناميكيات الصراع ودور الجماعات المسلحة، وميزان القوى بين الجهات الفاعلة المحلية، ودور المجتمع المدني في بلورة العملية السياسية وقطاع الأمن. هذا وقد يُوحى توصيف المشاركين لهذه القوى كعوامل يتعذّر التنبؤ بها بأن الوضع يمضي في اتجاهات غير متوقعة وبالتالي قابل للتأثر والتغيير إما إيجاباً أو سلباً.

5. آفاق المستقبل: ثلاث رسائل لمنتدى اليمن الدولي 2023م:

الأولى: على السلام أن يكون شاملاً:

وجّه منتدى اليمن الدولي 2023 رسالة قوية شدّد فيها على عدم أحقية أي حزب في اليمن بادعاء تمثيل وطن بأكمله، وكان لهذه الرسالة وقع مؤثر بشكل خاص في ظل التطورات السياسية التي تشهدها البلاد. فزُعم أن المحادثات بين السعودية

وجماعة الحوثيين جاءت كانطلاقة مُهمة وفُرصة للدفع باتجاه هدنة شاملة على المستوى الوطني، فأى تسوية تعكس مصالح الأقوياء وتُقضي الغالبية العظمى من اليمنيين مآلها الفشل. ضَمَن نهج "الخيمة الكبيرة" الذي اعتمده منتدى اليمن الدولي -وهو منهجية لا تختلف كثيراً عن منهجية مؤتمر الحوار الوطني - مشاركة واسعة لأبرز الجهات الفاعلة السياسية في نسخة هذا العام، الأمر الذي شجّع على بناء الثقة بين الأطراف وأتاح منبر للفئات المهمشة لممارسة التأثير والتعبير عن رؤاهم لمسار السلام، بما في ذلك: النساء اللواتي يُمثلن نصف المجتمع اليمني وجرى تهميشهنّ وحصر أدوارهن في مضمار الحياة الخاصة؛ والأحزاب السياسية التي يمكن أن تُسخر شرعيتها التاريخية كجسر تواصل بين مختلف الجماعات الفرعية الأخرى؛ والمكونات الجنوبية التي تبرز مطالبهم بحق تقرير المصير كجزء حاسم في أي عملية سلام مستدامة؛ ومنظمات المجتمع المدني والقبائل والوسطاء المحليون الذين تولوا مسؤولية تقديم المساعدة الإنسانية والحفاظ على التماسك الاجتماعي للمجتمعات المحلية في ظل غياب دولة فاعلة؛ وممثلو الأقليات الذين تعرضوا لاضطهاد وعنف من قبل الفصائل المتحاربة؛ وأخيراً وليس آخراً، الشباب الذين يُعدّون أعظم ثروة لليمن والجيل الذي سيتولى في نهاية المطاف مسؤولية إعادة إعمار البلاد.

الثانية: على السلام أن يكون عادلاً:

في 8 أكتوبر/تشرين الأول 2021، رفض مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة قرارًا يقضي بتمديد ولاية فريق الخبراء البارزين المعني بالتحقيق في جرائم الحرب في اليمن، وهي خطوة جاءت كصفعة لآلاف من ضحايا الحرب. على ضوء ذلك، وجّه منتدى اليمن الدولي رسالة قوية وواضحة مفادها عدم قابلية تحقيق السلام في اليمن دون عدالة ومساءلة، وأهمية اتخاذ خطوات لمعالجة مظالم عدد لا يحصى من ضحايا الحرب لأول مرة في تاريخ البلاد. وانطلاقاً من تساؤل أحد ضحايا الحرب المشاركين في المنتدى: "هل نريد رؤية جيل يواصل تكرار نفس الأخطاء؟ أم نهدف إلى اعتناق طريقة تفكير جديدة؟"، تبرز حقيقة لا غبار عليها وهي أن أي مسار لا يأخذ بعين الاعتبار إنصاف الضحايا سيؤدي في نهاية المطاف إلى انكسار الثقة في سيادة القانون والحكم والعلاقة بين الدولة والمجتمع في اليمن، وهو ما

أثبتته اتفاقيات وتسويات سابقة في المنطقة غضت الطرف عن تحقيق المساءلة (كاتفاق الطائف عام 1989 الذي ساهم في إنهاء الحرب الأهلية في لبنان). أقرّ المشاركون في الجلسات المتناولة لهذه القضية بأن الرحلة صوب تحقيق العدالة لن تكون سهلة. بادئ ذي بدء، على اليمنيين التوصل إلى فهم مشترك لما يعنيه مفهوم العدالة، إلا أن المناقشات المكثفة التي جرت في نسخة منتدى اليمن الدولي هذا العام تُمثل خطوة مهمة نحو تطبيع مفهوم وخطاب العدالة الانتقالية في السياق اليمني، وكسر حاجز الصمت المُطبق المحيط بهذا المفهوم في المحافل الدولية. برزت كذلك أهمية توثيق الانتهاكات في حقوق الإنسان ودعم رابطات ضحايا الحرب كأحد أبرز مخرجات نقاشات هذا العام حول ملف العدالة الانتقالية، والتي تكللت بإعلان مشترك للعدالة والمصالحة أقرّته أكثر من 30 منظمة يمنية من منظمات المجتمع المدني -وهو ما يعكس عزيمة على مواصلة النضال من أجل النهوض بالعدالة والمصالحة في اليمن. هذا ويُشكل الإعلان المشار إليه جزءاً من خارطة طريق أوسع نطاقاً لإرساء العدالة الانتقالية تعمل عليها حالياً منظمات المجتمع المدني بتيسير من فريق منتدى اليمن الدولي.

الثالثة: على السلام أن يكون مستداماً:

أثبتت الحرب المستمرة منذ تسع سنوات بأن اليمنيين لا يملكون رفاهية الوقت لانتظار تسوية سياسية تُفضي إلى بدء إعادة إعمار البلاد. هناك أولويات أساسية يجب التعامل معها دون تأخير من أجل إرساء أسس سلام دائم، ومن هنا، برزت مطالب المشاركين بھدنة اقتصادية بين الأطراف المتحاربة، ووضع حدّ التدابير الاقتصادية التصعيدية والتدابير المضادة المتخذة من كل جانب -وهي مطالب حظيت بدعم جميع الحاضرين. ففي كل مرة تقترب فيها الأطراف المتحاربة خطوة نحو تسوية سياسية محتملة، تظهر غالباً نقاط خلافية حول قضايا اقتصادية عالقة، وسط كفاح الأسر اليمنية على الأرض لسدّ الرمي في ظل التداعيات الاقتصادية الوخيمة التي أوجدتها الحرب الجارية. يتتاب الخبراء قلق متزايد إزاء قدرة الاقتصاد المُعتمد شبه كُلي على المساعدات الإنسانية على الصمود، وانطلاقاً من ذلك، سبّداً مجموعة من الخبراء الاقتصاديين في دراسة كيفية التحوّل من الاعتماد على الإغاثة إلى التعافي الاقتصادي والتنمية على المدى الطويل، وسُبل إنقاذ القطاع المصرفي

من الانهيار، وتحسين أوجه التنسيق مع القطاع الخاص، والضغط على مكتب المبعوث الأممي الخاص من أجل إيلاء الوضع الاقتصادي الاهتمام الواجب. من جانب آخر، سلّط منتدى اليمن الدولي الضوء على آثار تغيّر المناخ باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من خطط الاستدامة الاقتصادية، مع التأكيد على أهمية تصميم عملية تعافٍ اقتصادي تدرج منظوراً بيئياً يأخذ في الاعتبار الموارد المائية المُستنزفة في اليمن وتنامي الظواهر الجوية المتطرفة.

واستكمالاً لنقاشات النسخة الأولى من منتدى العام الماضي، برزت الحاجة إلى مواصلة العمل على استنباط وسائل ردع مُتنوعة تتصدى لتجاوزات الجماعات المسلحة في اليمن -وهي مسألة جوهرية حظيت باهتمام كبير في منتدى هذا العام أيضاً. ركّز الخبراء المشاركون في منتدى ستوكهولم 2022 وفي منتدى لاهاي هذا العام على الحلول العملية والتفكير "خارج الصندوق" لكيفية دمج المقاتلين في القطاعين المدني والعسكري، وتوفير حوافز اقتصادية تُشجعهم على نبذ خيار الانضمام إلى صفوف الميليشيات. صاغ بعض من هؤلاء الخبراء رؤية لقطاع أمني لامركزي يُوفر مستوى معقولاً من التوازن بين الجماعات المسلحة والسلطات المحلية بالمحافظات والحكومة المركزية. مرهوناً بدعم الجهات الفاعلة الدولية، يُمكن لمثل هذا التوازن أن يرسّي الأساس المطلوب لتحقيق سلام دائم ومستدام في اليمن.

.....
(*) بقدر محدود من التصرف

حرب تمر على أجساد النساء

ثريا دماج *

مقدمة:

الحرب كفعل هي ضدٌ طبيعيٌّ تدمر كل ما هو مدني داخل المجتمع، حيث تدفع بالاقتصاد إلى شفا الانهيار، وبالأنظمة السياسية إلى حالة من التشطي، وتُلغي حقوق الإنسان بالمجمل، وعلى رأسها حقوق المرأة التي تجد نفسها ضمن الفئة الأكثر تجرداً من تلك الحقوق في الحرب التي يشهدها اليمن.

على مدى عقود، حققت الحركات النسوية في اليمن اختراقات كبيرة، فبعد استقلال جنوب اليمن عام 1967، برزت الرابطة النسوية كواحدة من أوائل حراك المجتمع المدني التي نظمت نفسها، وكان لها تأثير كبير على رسم سياسة الدولة الفتية آنذاك. أسهمت النساء في صياغة تعميمات قانونية ترفع الحد الأدنى لسن الزواج، وتشرط أخذ موافقة المرأة قبل الزواج، وتحمي المرأة من العنف الأسري، وتكفل حقها في طلب الطلاق، وتمنح المرأة المطلقة تلقائياً حضانة أطفالها. بحلول عام 1990 تم دمج برلمان شطري اليمن، ليضم عضوية 11 امرأة، وتنامت فرص التعليم والعمل المتاحة للمرأة في مختلف أنحاء اليمن. لكن رغم ما حققته المرأة اليمنية من إنجازات كبيرة خلال فترات الاستقرار النسبي من ستينيات القرن العشرين وحتى انقلاب الحوثيين في عام 2014، قوَّض الصراع كل التقدم المحرز، وكشف عن هشاشة هذه الإنجازات.

تؤثر الحرب بشكل مباشر وغير مباشر على كل شرائح المجتمع باختلاف الطبقات الاجتماعية والاقتصادية، حيث تنال كل شريحة نصيبها من الضرر حسب موقعها في السلم الاجتماعي والاقتصادي. تعاني النساء أسفل السلم (ذوات الخلفيات الاجتماعية أو الاقتصادية المتواضعة) من أوجه تمييز متعددة، مما يضاعف من معاناتهن خلال الحرب. ورغم أن النساء يشكلن أقل من 50% من سكان اليمن، فإن نسبة 80% من النازحين داخليا هم من النساء والأطفال. على مدى سنوات، تذيّل اليمن قائمة البلدان المراعية لحقوق المرأة، حيث صُنِّف ضمن المراتب الأخيرة في مؤشر الفجوة العالمية بين الجنسين للمنتدى الاقتصادي العالمي.

لكن ما يبعث على القلق هو قلة الاهتمام بتراجع الحقوق المدنية للمرأة والتي تكاد تفوق آفة اللا مساواة بين الجنسين سوءاً، حيث تُقابل عملية تجريف الحيز المدني لصالح عسكرة المجتمع بردود فعل باردة من قبل الجهات الفاعلة المحلية والدولية. تشمل بعض التغيرات الجذرية التي برزت في المشهد اليمني تغييب النساء عن الفضاء العام، واستبعادهن بهدوء عن قطاع العمل، وغياب الصحافة المستقلة، والتضييق على منظمات المجتمع المدني. كل هذه التغيرات تمر مرور الكرام دون أن يقابلها غضب شعبي.

عوضاً عن ذلك، يتلخف الخطاب العام في اليمن بغطاء فضيلة المجتمع عبر التشكيك في النساء وقمعهن علناً، ما يجعل أي عنف قائم على النوع الاجتماعي مبرراً، وأي اعتراضات لنفي المرأة من الحياة الاجتماعية مسكوتاً عنه خوفاً من العار أو الفضيحة، فيما يتم استغلال النساء والفتيات ويتعرضن للابتزاز والعنف الجسدي والنفسي والجنسي من قبل الرجال، في سبيل العيش في بلد تآكلت فيه سبل كسب العيش، بما في ذلك المرتبات وفرص العمل.

تبرز الممارسات القمعية جلياً في المناطق التي تسيطر عليها جماعة الحوثيين (حركة أنصار الله) بقرارات وممارسات رسمية وغير رسمية تهدف إلى إلغاء دور المرأة في الفضاء الثقافي والفكري وقطاع العمل، وفي أقصى الحالات حصر دورها بين جدران المنزل. من جهة أخرى، يتجلى ضعف واضح في قدرة الحكومة المعترف بها دولياً على الالتزام بقوانين ودستور البلاد، ناهيك عن رفع المستوى المعيشي بما يتماشى مع الاتفاقيات والمعايير الدولية لحقوق المرأة. كما يوجد غياب شبه كامل للبرامج المتعلقة بحماية النساء والفتيات في أجناس منظمات الاغاثة الدولية والمحلية.

المرأة... جسد متخاصم مع السياسة:

تتنوع وجهات نظر الجهات الفاعلة السياسية في اليمن حول معظم القضايا، لكنها وللمفارقة تتفق على إهمال حقوق المرأة والتغاضي عن حمايتها، مما عزز من أشكال الإساءة التي تتعرض لها النساء باستمرار. في حين يدعو البعض إلى إصلاحات ويرفعون ظاهرياً راية المساواة بين الجنسين، يغضون الطرف عن انتهاكات حقوق المرأة. حيث تعرضت النساء اليمنيات منذ عام 2014 للقتل والتعذيب والاختفاء

والاعتداء الجسدي والاعتقال التعسفي، وتقييد حركتهن، واستبعادهن من المناصب العامة، في ظل تطبيق سياسات الفصل بين الجنسين على مستوى غير مسبوق، الأمر الذي يعكس تواطؤ جميع الجماعات التي تُمارس السلطة في اليمن في إهمال حمايتهن.

شهدت جميع مناطق اليمن تحوُّلاً في الخطاب الديني، حيث تركز الرسائل الموجهة من منابر المساجد على ضرورة كبح جماح النساء، وأنه في هذا الوقت العصيب، تثير أجساد النساء الرغبات، وبالتالي تمثل النساء غير المنضبطات "تهديداً خطيراً" على المجتمع.

في مناطق سيطرة الحوثيين تحديداً، يرتبط المذهب الديني ارتباطاً وثيقاً بسياسات السلطة، وهو ما دفع مجموعة من الناشطات والقيادات النسائية وموظفات في المؤسسات التي تتخذ من صنعاء مقراً لها إلى التوقيع على عريضة موجهة إلى رئيس حكومة صنعاء التي يديرها الحوثيون، عبد العزيز بن حبتور، يشتكين فيها من "حملة ممنهجة ضد النساء بهدف استبعادهن من الوظائف العامة، وتقييد أنشطتهن وعزلهن بطريقة لا ينبغي التسامح معها".

تضمنت الرسالة جملة من المشكلات التي تتعرض لها النساء، ومنها: "تعميمات تظهر بين فترة وأخرى تقييد وتعيق حركة النساء، إما بطلب وجود محرّم أو إجراءات إدارية تُعَدُّ معرّقة لسفر النساء"، و "رفع بعض الجهات (في صنعاء) رؤى تقضي بإلغاء قطاعات المرأة في بعض الوزارات بذريعة تقليص الهيكلية والتضخم الوظيفي"، وأن "خُطب الجمعة تركز على التحريض على النساء اليمنيات وتخويف الأهالي وتحذيرهم من دراستهن في الجامعة أو التحاقهن بالعمل أو الخوف على حشمتهن"، وبأن "الفصل بين الموظفات والموظفين في بعض المؤسسات والوزارات بذريعة منع الاختلاط والحرب الناعمة أعطى فرصة للكثير لإقصاء المرأة وتحتيتها عن العمل". أغلب أولئك اللائي وقعن على الرسالة يعشن ويعملن في مناطق سيطرة الحوثيين وبعضهن من المقربات للجماعة، ولذلك فقد مورست عليهن ضغوطات لكي يشجن الرسالة أو يغيرن موقفهن؛ غير أن بعضهن كن أكثر شجاعة وجراً، ورفضن التخلي عن موقفهن الصريح من كل ما جاء في الرسالة، بل وطالبن بإيصالها إلى أعلى هيئة سياسية للجماعة، وهي المجلس السياسي الأعلى. ما ورد في

الرسالة ليس جديداً وهي شكاوى قائمة منذ أمد؛ لكن أن توقعها قيادات نسوية محسوبة على جماعة الحوثيين نفسها فذلك ما جعل مراقبين يعتبرونها خطوة جريئة لا رجعة فيها.

من المهم الإشارة إلى أن هذه الممارسات تضاغت بشكل ملحوظ بعد بضعة أشهر على تقديم العريضة، حيث ظهر زعيم جماعة الحوثيين، عبدالملك الحوثي في خطاب بُثَّ على قناة المسيرة الناطقة باسم الجماعة، في تموز/ يوليو الماضي، ركز فيه على رؤية الجماعة لدور المرأة في المجتمع قائلاً: إن "دور المرأة يقتصر في هذه الحياة على الحنان والرقّة والعاطفة، وإذا كان لها من إسهام فيكون بما يتناسب مع خصوصياتها وظروفها"، في إشارة واضحة إلى التشدد في أن طبيعة وظيفة المرأة هي كربة منزل "حنونة" فقط حسب وصف الحوثي.

ولم يمتز على خطابه وقتاً طويلاً حتى عادت الجماعة لممارسة سياسات تنتهك حقوق المرأة. ففي 31 يوليو/ تموز من العام 2023، أقال إدارة جامعة صنعاء الأكاديمية الدكتورة سامية الأغبري، عن منصبها كرئيس لقسم الصحافة في كلية الإعلام واستبدلتها بزميلها الدكتور علي البريهي، على خلفية رفضها الصريح لسياسة جديدة للفصل بين الطالبات والطلاب في بعض الكليات الحكومية. وفي أواخر أغسطس/ آب، اتهمت عمادة كلية الشريعة والقانون إحدى طالباتها المناهضات للجماعة بالمثلثة وتم فصلها نهائياً من الجامعة. لم يمتز وقت طويل حتى أقدمت عمادة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة صنعاء بتاريخ 6 سبتمبر/ أيلول - وبدون تقديم مبررات - على إبعاد الأكاديميتين الدكتورة خديجة الهيصمي، والدكتورة أشواق مغلس وزميل لهن هو الدكتور علي الحاوري، من جدول المحاضرات واستبدالهم بمحاضرين غير مؤهلين من اختيار مسؤولين حوثيين ولا يمتلكون الدرجة الأكاديمية.

للأسف، وضع النساء في مناطق سيطرة الحكومة المعترف بها دولياً لا يختلف كثيراً عن وضعهن في مناطق سيطرة جماعة الحوثيين؛ ففي محافظة تعز الواقعة ضمن نفوذ الحكومة، قاد رجال دين وأكاديميون وسياسيون وناشطون متشددون في يونيو/ حزيران، حملة تحريض واسعة ضد جامعة تعز، على خلفية تبني مجلس الجامعة الحكومية قراراً بإدراج قضايا "تنمية المرأة في إطار النوع الاجتماعي" ضمن برنامج الدراسات العليا لنيل الماجستير. تزعم الحملة ضد جامعة تعز البرلمان

عن حزب الإصلاح ورجل الدين المتشدد عبدالله العديني، الذي دعا إلى إغلاق مركز بحوث ودراسات تنمية المرأة بسبب تبنيه قضايا النوع الاجتماعي المتحررة، وهو ما يشجع -حسب زعمه- على "إباحة اللواط والزنا والشذوذ الجنسي، والانحلال الأخلاقي والتمرد الأسري" وقال إن تصويت مجلس الجامعة لصالح إدراج النوع الاجتماعي هو "جريمة عظمى، بل أبشع جريمة عرفها اليمن عبر تاريخه". لم يتردد أبداً القيادي البارز في جماعة الحوثيين، محمد علي الحوثي، في التعبير عن تضامنه مع العديني - رجل الدين المنضوي في حزب الإصلاح (وظاهرياً العدو الأول لجماعة الحوثيين)، وتأييده للتصدي لما وصفه بالحرب الناعمة لاستهداف المجتمعات الإسلامية.

في ظل توجه الاهتمام إلى سياسة المحارم المفروضة على تنقل المرأة في مناطق سيطرة الحوثيين، تتجلى في المناطق الخاضعة لسيطرة الحكومة قيود وانتهاكات مشابهة إلا إنها لا تثير نفس المستوى من القلق. تقول الصحفية والناشطة وداد البدوي: إنه تم إيقافها في شهر نوفمبر/ تشرين الثاني 2022 عند نقطة أمنية تديرها عناصر تابعة للحكومة في مأرب (في طريق عودتها إلى صنعاء) بذريعة عدم وجود مَحرم، رغم استصدارها تصريحاً وبلاغ دخول من سلطات صنعاء.

وفقاً لمنظمة "مسألة" لحقوق الإنسان، تعرضت إحدى موظفاتهما للاحتجاز التعسفي في نقطة أمنية تابعة للسلطة المحلية الموالية للحكومة بمحافظة مأرب، وتم أخذ هاتفيها وتفتيشها بأسلوب فظٍّ والتهجُّم عليها بألفاظ سيئة. تواجه النساء مخاطر متزايدة من العنف والاحتجاز غير المبرر عند نقاط التفتيش، ويتيح الافتقار لأطر قانونية تحمي المرأة مساحة للسلطات للاستمرار في مثل هذه الممارسات مع الإفلات التام من العقاب. في سبتمبر/ أيلول 2021، داهمت الأجهزة الأمنية في مأرب منزلاً واعتقلت الإعلامية والناشطة الحقوقية أمة الله الحمادي، التي كانت في ضيافة صديقتها؛ دون إصدار مذكرة قضائية. في غضون ذلك، تشترط سلطات الأمن في عدن على النساء النزالات في الفنادق وجود مَحرم أو إبراز رسالة من جهة العمل كشرط للإقامة، إلا أن هذه الممارسة تُعد غير رسمية وليست سياسة حكومية. وبحسب مسؤولين حكوميين، جرت محاولات للحد من هذه القيود حيث تم في أغسطس/ آب، إصدار توجيه رئاسي لمدير عام شرطة عدن بالتعميم لكافة الفنادق بالسماح للنساء بالإقامة بالفنادق دون قيد أو شرط، وتقديم فقط الأوراق الثبوتية.

تراجع جهود منظمات المجتمع المدني:

لطالما أعطت منظمات المجتمع المدني أولوية لقضايا المرأة، ولها سجل طويل وحافل في تسليط الضوء على الواقع. اتحدت مواقف منظمات المجتمع المدني في بداية الحرب لإصدار بيان يحذر من أن النساء والفتيات "يدفعن أفدح ثمن" للحرب في اليمن. حددت هذه المنظمات بادئ الأمر الطرق التي يمكن للمرأة أن تساهم بها في مبادرات بناء السلام، لا سيما في أدوار الوساطة. تستمر منظمات المجتمع المدني في رصد الانتهاكات ضد حقوق المرأة والدعوة إلى تسهيل لجوء المرأة إلى القضاء، وتعزيز أصوات النساء عبر وسائل الإعلام وداخل المجتمع، على المستويين الفردي والجماعي.

لكن مع استمرار الحرب، تزايد التضييق على نشاط منظمات المجتمع المدني، الأمر الذي دفع كثير من النشطاء والموظفين إلى الهروب خارج اليمن. أما الذين بقوا داخل اليمن فلم يكن أمامهم سوى إيقاف نشاطاتهم أو تغيير مجالات عملهم أو الذهاب للعمل في منظمات أخرى أقل عرضة للتهديد. فضلا عن ذلك، تأثرت كثير من برامج وأنشطة منظمات المجتمع المدني بقرارات المانحين تعليق دعمهم التمويلي وتوجيه معظم الدعم المالي نحو الأعمال الإغاثية، على حساب بقية البرامج المتعلقة بحقوق الإنسان.

هذه الظروف المهددة، إلى جانب ما تعرضت له النساء من انتهاكات خطيرة، دفع كثيرا من الناشطات إلى النأي بأنفسهن عن العمل الفردي أو المنظمات الفردية التي قد تكون عرضة للتهديد، وإنشاء عدد من التحالفات والشبكات والحاضنات الاجتماعية والمبادرات النسوية في مجال بناء السلام؛ خصوصا وأن مثل هذه التحالفات قد تمثل عاملا مهما من عوامل الحماية الجماعية وهي بالفعل خطوة في الاتجاه الصحيح. رغم ذلك، لا تتفي الحاجة إلى حماية أكبر للناشطات والنساء بشكل عام.

الأمان في كثرة العدد: استعادة حقوق المرأة:

تُعد منظمات المجتمع المدني في مقدمة الأطراف التي تناهض وتحارب قمع واضطهاد المرأة، وبالتالي يتعين على الجهات الفاعلة الأخرى في اليمن الحذو حذوها من خلال تطبيع إدماج ومشاركة المرأة في الفضاء العام. يتعين على منظمات -

كالأمم المتحدة - إشراك النساء على طاولة المفاوضات وتوظيفهن في مكاتبها المحلية لا سيما في المناطق الريفية، كما يجب على المنظمات الدولية مواصلة الدعم المالي لمنظمات المجتمع المدني - لا سيما تلك المناصرة لحقوق المرأة - وحمايتها عبر تسليط الضوء على التضييق الحاصل ضدها وإدانة ذلك من أعلى مراكز صنع القرار فيها حين يتم استهداف تلك المنظمات. ومهما اتفقت سلطات طرفي الصراع على سياسات تُبقي النساء خاضعات، على المجتمع المدني داخل اليمن وفي جميع أنحاء العالم أن يتحد للنهوض بدور المرأة ومكاتها. أي محاولات لقمع المرأة وإخضاعها من أي سلطة في طرفي النزاع يجب أن يُواجه بجهة متحدة تضم المجتمع المدني داخل اليمن والمنظمات ذات الصلة خارجها للنهوض بها. تحقيق ذلك يتطلب أولاً تكثيف الرقابة الدولية وتنظيم حوارات بناءة لتعزيز التوافق بين جميع الأطراف المعنية؛ مع ضرورة إشراك النساء في كافة هذه الجهود وإعمال حقوقها وتوفير الحماية القانونية الواجبة لها وتعزيز مكاتها المستحقة داخل المجتمع.

.....

”أعدت هذه المقالة كجزء من برنامج زمالة صوت النساء على طاولة القرار (دعم المشاركة السياسية للمرأة العربية)، الجاري تنفيذه من قبل مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية بالشراكة مع مبادرة الإصلاح العربي وبتمويل من الاتحاد الأوروبي“، ونشرت ضمن تقرير ”اليمن“ لمركز صنعاء لشهر نوفمبر-ديسمبر 2023.

.....

(*) صحيفة وناشطة يمنية، ورئيسة تحرير موقع ”يمن فيوتشر“ الإخباري المستقل إلى جانب ترأسها مؤسسة يمن فيوتشر للتنمية الثقافية والإعلامية.

قراءة لدور النساء في تحقيق السلام والأمن المجتمعي على المستوى الوطني والمحلي

عفراء خالد الحريري
محامية ناشطة حقوقية

مقدمة

لقد أصبحت لدى النساء اليمنيات خبرات متراكمة في قضايا حل النزاع والوساطة والإصلاح الأمني ومسارات السلام المختلفة، وكذلك عن مفاوضات السلام والمرحلة الانتقالية لحياة ما بعد الحرب سوى على المستوى المحلي أو الوطني، إلا أنها ماتزال خيرة هامشية وغير معترف بها.

ومن الأمور المحتومة لنشاطات السلام هو البحث والعثور على مساحات للدمج الحقيقي للنساء وتمكين مشاركتهن في صنع السلام والامن المجتمعي وتحقيقهما. فمنذ عام 2015م بدأت مجموعة من المنظمات النسوية والناشطات النسويات في اليمن وبمساعدة من الأمم المتحدة للمرأة UNWOMEN والمنظمات الدولية في العمل على تشكيل ودعم وبناء قدرات وصقل مهارات وتدريب وتأهيل المجموعات والتكتلات والفعاليات النسوية في قضايا ومجالات تحقيق السلام والامن على مستويات مختلفة ومن ضمنها السلام والامن المجتمعي وكذلك لمواجهة عقلية الإقصاء لدى النخب السياسية. أنَّ الدروس الصعبة التي تعلمتها النساء اليمنيات في أثناء الحرب وفترة الهدنة لا بد من تحليلها واستخدامها في بناء استراتيجيات جديدة محسنة لتفعيل المشاركة النشطة والحقيقية للنساء في عمليات السلام. ويمكن المشاركة بهذه المعارف مع النساء الأخريات في جميع أنحاء البلد وفي أوضاع مماثلة لتجنب الوقوع في الأخطاء ذاتها، كما يمكن النظر بالممارسات الجيدة ووضعها في سياقها الصحيح. وفي الوقت نفسه، تُستخدَم الفرصة في إيجاد مسارات إنشاء الحركة النسوية القائمة على مبادئ نسوية في اليمن والتي سوف تتمكن النساء من العمل بها وراء سياسات الانفصال والعنصرية العقائدية والمناطقية والطبقية.

فالإخفاق الذي يحدث دائماً طيلة السنوات الماضية منذ 2015م، ويمكن تتبع معظمه والمتمثل بأمرين اثنين: أولهما إن السلطة السياسية لم تدافع عن استحقاقات النساء السابقة، والأخران الأحزاب السياسية تتعامل مع عضواتها تكملت عدد، وذلك

تجاه التسوية السياسية وفي مجمل قضايا تحقيق السلام والأمن أو حتى تلك التي يكون الغرض منها إنهاء النزاع المسلح. وهذا التغيب للنساء في عملية السلام الرسمية وفي السلطة السياسية أيضاً تبعات ملموسة على المجتمع ككل وكذلك على النساء بصفتهن مجموعة مكوّنة للمجتمع وسيكون أثر التغيب سلبياً على قدرتهن في كسب الاعتراف بهنّ على أنّهن من عوامل التغيير في العمليات اللاحقة.

الموقف الدولي والإقليمي من دور النساء في تحقيق السلام والأمن المجتمعي:

في كل الفترة التي تم بها تعيين مبعوث أممي لليمن، لم تكن طاولة الحوار بينه وبين اطراف النزاع مفتوحة إلا للرجال المدعومين بسطوة قوة السلاح التي وراءهم، وبجدة ضمان الوصول إلى وقف إطلاق النار أو الهدنة أو خطوات تمهيدية للسلام أو التخفيف من انتهاكات حقوق الإنسان، نجحت هذه الصفوة الذكورية في التوافق على طرق تقسيم السلطة وتقسيم البلاد، واليوم، يعاني البلد الشلل بسبب الإخفاق الوظيفي لجهاز الدولة الهشة والسياسات العنصرية والعقائدية والمناطقية والسياسية الوطنية التي تمثّل العوامل المشتركة للكيانات الإقليمية التي أنشأتها الاتفاقيات الإقليمية بين ومع اطراف النزاع من المتولين السلطة أو مسيطرين عليها. وبالمقابل لم يكن هناك أي جهد حقيقي من الصفوة السياسية المحلية في إدراج منظور النساء في قضايا المجتمعات المحلية سواء في النقاشات المتعلقة بالبرامج والمشاريع والإصلاحات أو غيرها على المستوى المحلي، ولم تتمكن النساء من الحصول على الدعم الحقيقي من المجتمع الدولي والإقليمي الذي بإمكانه أن يجعل النساء شريكات في جميع عملية تحقيق السلام والأمن، بل ظل المجتمع الدولي والإقليمي يسوقون في تسويق أفعالهم أعذاراً بأنّ النساء مشمولات بحكم الأمر الواقع من خلال المشاركة في الحياة السياسية والمؤسسية في اليمن على المستوى المحلي والوطني، بما فيها عضوية الأحزاب السياسية، لكنّ الحقيقة مختلفة تماماً، فالنساء لسن شريكات بشكل حقيقي أو ممثلات بما يكفي.

وعلى الرغم من الدعم الذي قدمته الدول والمنظمات غير الحكومية وعلى الرغم من بدأ العمل بألية القرار الاممي الصادر من مجلس الأمن رقم 1325 بشأن المرأة والسلام والأمن تستثى النساء عن محادثات السلام، وليس ذلك تحدٍ للالتزامات الدولية القانونية فحسب، بل هو أيضاً هدر مأساوي. ومع ذلك، عندما طلبت المنظمات النسوية المحلية والدولية اليمنية من المنظمات الدولية والهيئات الدبلوماسية البارزة ومن الأمم المتحدة ومبعوثها ضمان إدماج النساء في مفاوضات السلام وعملية التسوية السياسية والمشاورات بين المملكة العربية السعودية والحوثيين، تلقت المنظمات الرد

بأنَّ "الوضع السياسي معقّد" وكأننا "بالفعل لانعرف ذلك"، لكنَّ الحل ليس في تأييد كل هؤلاء القادة السياسية" كما يطلق عليهم" أوفي الانقسام المتشطي الذي يقودونه للبلاد والذي سيؤدي إلى نزاع مستمرأو نزاع جديد في المقام الأول، إذ أثبتت الوقائع والتجارب بوضوح أنَّ عمليات ومعااهدات السلام الوحيدة التي جلبت سلامًا مستدامًا هي التي صيغت بمشاركة النساء وراعت إدماج تحليل النوع الاجتماعي في رسم الإطار العام لإنهاء النزاع أو المرحلة الانتقالية وتحديد المسار المستقبلي والوساطات المحلية لحل النزاع والمساهمة في مساعدة المجتمعات المحلية.

الوضع الحالي لدور النساء في تحقيق السلام والامن المجتمعي:

في أثناء النزاع واستمراره، تظل النساء مشاركات بفعالية في التصدي لتبعات العنف وفي النشاطات الحيوية المهمة لاستمرار حياة المجتمعات المحلية، ويقدمنَّ المساعدة للنازحين والنازحات ولضحايا النساء اللواتي تعرضن للعنف بمختلف أشكاله بما فيها الجنسي، ويذهبن للعمل على الرغم من الخطر وتعرضن لنيران القناصة والقصف لضمان استمرارية عملهن، وعملت بعضهن على الحوار العابر للمجتمعات المحلية في أثناء النزاع ذاته. ومع ذلك، لم يكن هناك أي آلية لمشاركة هذه الخبرات ونقلها إلى المشاورات الرسمية للسلام. أما قرار مجلس الأمن رقم 1325 الذي نادى بتنشيط المشاركة الحقيقية للنساء في جميع مراحل بناء السلام فلم يُتبنَّ إلا الان وفي العاصمة عدن وتحديدًا في القطاع الأمني.

تستمر النساء في تنظيم أنفسهن، وتطالب بعضهن بمعرفة حقيقة اختفاء أفراد الأسر، في حين تطالب بعضهن بإشراك النساء في السياسة الرسمية. وتقود بعض النسوة عملية صعبة للعودة من الشتات وفقدت كثير منهن أفرادًا من عائلاتهن أو كنَّ ضحايا بأنفسهن، لكنَّ الغاية الأساسية تتمثل في الوصول إلى الحقوق المدنية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والبيئية.

كان من الممكن تفادي كثير من المشكلات التي ظهرت طيلة هذه السنوات إذا كانت المشاركة السياسية أكثر جدية بتضمينها لممثلات عن النساء ومستشارات مؤهلات منهن حول موضوعات النوع الاجتماعي والعنف الأسري والإتجار والرعاية الصحية والتعليم والعمل وغيرها من الموضوعات التي ترتبط بالنوع الاجتماعي وينبغي الأخذ بها في هذه المرحلة الانتقالية، التي يستوجب أن تدخل النساء فيها كشريكات للتخطيط لها منذ البدء بها عند تسليم السلطة. وبدلاً من ذلك، استُخدمت حقوق النساء المعترف بها كأنها حالة خطيرة وصعبة ومعقدة ينبغي التراجع والتنازل عنها. (كالتعليم والعمل

والرعاية الصحية.... وغيرها) لبقاء المواقف السياسية كما هي الآن، إذ قُسمت السلطة السياسية بين أطراف النزاع دون معالجة الجوانب التمييزية أو النوع الاجتماعي وبناء على حقوق وقضايا النساء أيضًا.

ومن ناحية أخرى، أُهملت القضايا المعترف بها على أنها قضايا "خاصة بالنساء حصراً" لأنها ليست ذات أهمية، خاصة لغايات توزيع السلطات أو الموارد، بل تُركت لتعالجها المنظمات النسوية مثل "العنف الأسري" وهو أقل موضوع فيه حساسية سياسية. وفتح للنساء المجال للتعامل مع ذلك، ولم تتدخل أطراف النزاع السياسية الذكورية في ذلك، على اعتبار أن العنف الأسري يصور النساء على أنهن ضحايا وليس على أنهن صاحبات نفوذ أو متخذات للقرار.

*آلية تثبيت دور الشريك لتحقيق السلام والامن المجتمعي:

من هنا، كان على الكيانات والمنظمات النسوية أن تبني خبرات سياسية لا بأس بها عند الحديث عن صنع واتخاذ القرار، في غضون ذلك، لم تفعل تلك الكيانات والمنظمات النسوية شيء قوي يذكر في دخول ذلك المعترك بحجة تحقيق السلام والامن على الأقل. ونتيجة لذلك، لا تحصل النساء اليوم على الدعم إلا من خلال المنظمات النسوية غير الحكومية التي تبقى معتمدة على دعم المانحين الدوليين للاستمرار في أنشطتها المتعلقة بتحقيق السلام والامن المجتمعي.

فهناك علاقة جوهرية بين الطريقة التي "تُستقطب" بها تلك المنح من الخارج لتحقيق العدالة الحقيقية في الداخل، إذ ينبغي أن تنشأ النساء والنسويات قنوات رسمية وغير رسمية للعدالة في صنع واتخاذ القرار، وعليها تقديم إطاراً عاماً لتلك القضية على اعتبار إنها الشريك الوحيد لتحقيق السلام والامن في البلد على المستوى المحلي والوطني، حتى وإن أضطرها الامر إلى تقديم أفراد السلطة والأحزاب والمكونات السياسية للمساءلة الجنائية والمجتمعية.

إلا أن تأسيس هذه الآليات الرسمية للعدالة، يحتاج إلى قوة بتوحيد هذه الكيانات النسوية والنسائية لاستكمال ما قد تم البدء به، بإبداء الانتباه الحقيقي والجاد للحقوق الاجتماعية والاقتصادية والبيئية والمدنية والسياسية، وينبغي أن تحصل على الدعم من عملية الانتقال التحويلي. ولا يمكن تحديد الحاجة المطلوب تلبيتها إلا بوجود عملية دامية، لأنَّ تغييب النساء سيكون مصيره الفشل المحتوم والعودة إلى النزاع، وسيبقى هذا الهدف يمثل تحدياً أكبر في مساحة المشاركة على طاولة المشاورات والمفاوضات لتحقيق السلام والامن المجتمعي على المستوى الوطني والمحلي.

جاء "من أرض بلقيس"، وسار "في طريق الفجر"، حالماً الوصول إلى "مدينة الغد"، كان يغني "لعيني أم بلقيس"، وهو يحاول "السفر إلى الأيام الخضر"، رغم أن "وجوه دخانية في مرايا الليل" وقفت أمامه لتؤكد له أنه في "زمان بلا نوعية"، لكن "كائنات الشوق الآخر" في داخله تغلبت على "رواغ المصاييح" وجعلته قادراً على خلق "ترجمة رملية لأعراس الغبار"، لم يكن يمهّد لـ "رجعة الحكيم ابن زيد" لكنه خلق حتى أصبح "جواب العصور" الذي لا يموت.

البردوني : البصير الذي

إعداد/ فاروق السامعي*
عز الدين العامري **

صار عينا لشعبة _ ملف (1)

يُعدُّ البردوني واحداً من أهم رموز الأدب العربي الحديث، فهو ليس مجرد شاعر فقط، بل شاعر وناقد أدبي ومؤرخ وسياسي، كان ثورياً ورومانسياً وساخراً، وشاعراً عمودياً مغايراً، صنّفه البعض كأخّر شعراء الكلاسيكية بعد رحيل الشاعر العراقي الجواهري، لكنه لم يقبل لباس معاطف سابقه من الشعراء الكلاسيكيين، ولم يركب موجة شعر التفعيلة، كما فعل الكثير من مجاليه، أو قفز لكتابة الشعر الحر، الذي كان يستهوي المتمردين على سلطة القوالب وسياط التفعيلات حينها، بل «تمرد على قوالب الشعر المتوارثة، وانتقل إلى أساليب فنية غير مطروقة» كما وصف في منطوق جائزة العويس التي مُنحها عام 1993م.

كان مجدداً، طوع كل العناصر الأدبية والفنية وثقافته ومعارفه في قصائده، واستفاد من الحكايا الشعبية والتراث والميثولوجيا، كان بارعاً في خلق الصور واستنطاقها، وزراعة التساؤلات في بنية النص، يدهش المتلقين، ويعجز النقاد، كما كانت قصائده صوتاً للقيم الإنسانية، وسوطاً على أعدائها.

لم يُكتب عن شاعر أو كاتب أو أديب يمّني في حياته أو بعد موته كما كُتب عنه، لقد سَغل وسُغِل به الناس حياً وميتاً،



كيف لا وهو الأعمى الذي جعل أعينهم شاخصة له، وتحول رغم فقدانه البصر إلى عين لليمنيين.

اختار البردوني أن يكون لسان شعبه، ومعبراً عن همومهم، وكانت مواقفه لا رمادية، ولا تكثر بنتائج ردت فعل الأنظمة عليه، لذا عانى كثيراً من الاضطهاد السياسي، وأدخل السجن مرات عديدة بسبب ذلك، وشهد عام 1948م أول دخول للبردوني السجن، لعدة أشهر، بسبب تأييده للثورة الدستورية بعد الاطاحة بها وإعدام قادتها. عرف عنه صراحته وسخريته وتساؤلاته التي تعري الواقع، وتفضح حقيقة الأنظمة التي عاصرها، وكان لديه قدرات خاصة تستطيع استنطاق الواقع، وقراءة الأفق، ومن هذه القدرات التي وظفها جيداً في شعره، وصاغ منهما تنبؤاته للمستقبل، وكأنه عاش فيه، وسافر منه عبر الزمن إلينا، ليحدثنا عنه، وكلما تجسد صدق تنبؤاته ازداد إيمان الناس به، حتى أصبح عرباباً لحاضرهم وعرافاً لمستقبلهم.

من المعلمة إلى العلم:

في قرية صغيرة تسمى البردون، شرق مدينة ذمار، عام 1929م، ولد الشاعر عبدالله البردوني، من أسرة فلاحية فقيرة، والده هو عبد الله صالح حسن الشحف، ترك له وباء الجدري متعة البصر خمس سنوات فقط من مولده، قبل أن يعود في موسمه السنوي المعتاد، حينها، ويختطف منه نور بصره، ومع ذلك كان محظوظاً، كون ذلك الوباء لم يحصد روحه، مثل أرواح عشرات الآلاف من الضحايا الذين يحصد أرواحهم كل عام.

لم يسلم البردوني مصيره لعلب (المعلومات) - دورٌ صغيرة لتحفي القرآن - وسيط الفقيه كي يصبح مقرئاً، تماماً مثل معظم العميان في بلاده حينها، الذين لا يتجاوز سقف طموحهم مقعد الفقيه والإمساك بعصاه، لكنه تلقى أبجديات التعليم المتاح حينها في قريته، ثم انتقل إلى قرية أخرى، قبل أن ينتقل لمدينة ذمار في التاسعة من عمره، كي يكمل فيها تعليمه الأولي، وحفظه للقرآن تلاوة وتجويداً، والانتقال بعد ذلك إلى دار العلوم، التي كانت تعرف بالمدرسة الشمسية، ليتعلم فيها القراءات السبع، ثم انتقل إلى صنعاء، وجامعها الكبير، كي يتلقى من مشائخه وعلى أيديهم العلوم والمعارف، وكانت تستهويه قراءة التاريخ والأدب.

قالت عنه لجنة جائزة العويس وهي تذكر سبب منحه الجائزة إنه "علامة في الشعر العمودي الحديث، حيث قدم القصيدة العربية بوجه جديد وبروح عصرية، وآلف بين الإيقاع العريق والتحديث اللغوي، فجمع بذلك بين مزايا العمودية ومكتسبات

الحدث، فهو رمز لهذا النوع من الإنجاز الشعري المعاصر، كما أن إنتاجه الوفير في مجموعات المتنوعة، في امتداده الزمني المتواصل إبداعاً وانتشاراً، وهذا يكسبه حضوراً جماهيرياً عريضاً، إضافة إلى أنه فتح أبواباً في مجالات التذوق الشعري وتوسيع قاعدة الشعر والتفاعل معه، وهو بهذا أهل للجائزة، ويرمز لغاياتها وأهدافها» .

الوظائف والإسهامات:

- عمل كمعلم للقران للطلاب المتأخرين في الحفظ كي ينفق على نفسه، ويسد احتياجاته كطالب.
- نال الإجازة من دار العلوم، وبموجبها تم تعيينه مدرساً للأدب العربي.
- عمل كمحامي (وكيل شريعة) من أجل تغطية مصاريفه، وبسبب أن معظم موكله من النساء سمي حينها محامي الأرامل والمطلقات.
- رئيساً للجنة النصوص في إذاعة صنعاء، ثم مديراً للبرامج فيها حتى العام 1980م، إلى جانب برنامجه الإذاعي الأسبوعي (مجلة الفكر والآداب) الذي استمر حتى وفاته.
- عمل مشرفاً ثقافياً في مجلة الجيش من العام 1969 حتى 1975م
- كان له مقال أسبوعي في صحيفة 26 سبتمبر بعنوان (قضايا الفكر والأدب)، ومقال مماثل في صحيفة الثورة بعنوان (شؤون ثقافية)، والكثير من المقالات في الصحف والمجلات المحلية والعربية.
- أسهم في تأسيس اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، وانتُخب رئيساً للاتحاد في دورته الأولى.

العمل الذي تخلق في ألفية أبي تمام:

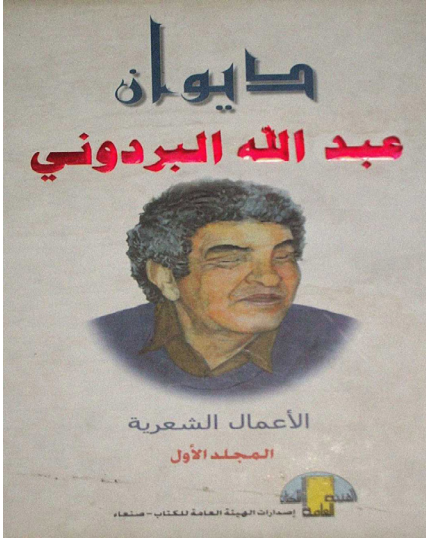
ذات يوم اسكت البردوني أصوات الكراسي التي كانت تستعد لوداع الجالسين عليها، وأقعد الواقفين، وأعاد الخارجين إلى مقاعدهم، والمتواجدين خارج قاعة المهرجان إلى داخلها، وكلهم يحدقون إليه بدهشة، ويتساءلون من أين جاء هذا المارد الشعري، الذي ألقاه عصي قصيدته فتحوّلت أفعى عملاقة تقزمت أمامها أفاعي قصائدهم، وارتجفت خجلاً أمام عظمتها، منتزعاً منهم جائزة المهرجان دون منافس.

كان ذلك أثناء مشاركته في مهرجان الموصل، الذي تفوق فيه على كل كبار الشعراء العرب حينها، رغم أنه لم يكن مدعواً إليه، لولا تدخل إحدى موظفات وزارة الإعلام والثقافة العراقية، عندما وجدت أن كشف المدعويين للمهرجان يخلو من اسم شاعر يمني، فذهبت للمسؤول عن الدعوات، واقتُرحت عليه اسم الشاعر عبدالله البردوني،

الذي أكد من جهته قبوله الدعوة بعد تواصلهم معه للمشاركة في إحياء ذكرى مرور الف سنة على وفاة أبي تمام.

ذهب البردوني إلى المهرجان غريباً لا يعرفه أحد من الشعراء العرب، خاصة الكبار منهم، الذين كانوا محل اهتمام الجمهور والصحافة ووسائل الإعلام المتاحة حينها، وهذا ما جعل اسم شاعرنا يأتي متأخراً ولم يكن بعده إلا الجواهري الذي أعتمر بعد تسجيل حضوره على المنصة عن دوره بعد أن سمع قصيدة البردوني المعنونة (أبو تمام وعروبة اليوم).

أول رئيس وحد الشطرين، وأول رمز موحد لليمنيين:



اختير البردوني كأول رئيس جامع لليمنيين، كان ذلك في التهيئة لتوحيد أول كيان مؤسسي يضم أدباء وكتاب الشطرين عام 1970م، وإشهاره رسمياً بمسمى «اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين» عام 1971م، وافتتح أول مقر له في عدن عام 1972م بحضور نخبة من أهم الأدباء والكتاب اليمنيين، وفي مقدمتهم البردوني وعمر الجاوي وأحمد قاسم دماج.

كما أعاد توحيد شطري اليمن للمرة الثانية عام 1982م عندما اتفقا أن يكون رمزاً وطنياً لهما، وأصدر كل شطر عملة تذكارية تحمل صورة البردوني، جاء ذلك بعد إعلان حصوله على جائزة الأمم

المتحدة (اليونسكو) والتي أصدرت عملةً فضيةً عليها صورته، وجعله رمزاً إنسانياً لتجاوز لقهر وتجاوز الإعاقة.

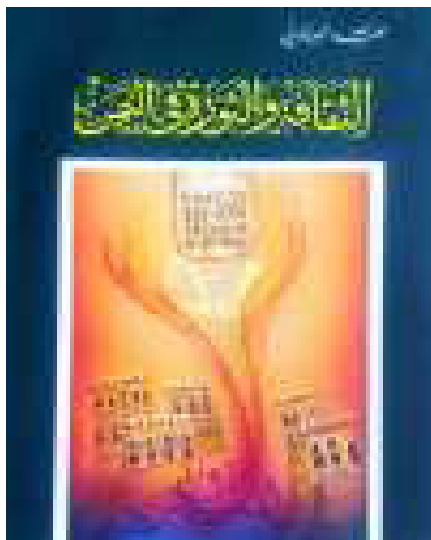
وفاته:

قُيِّلَ ظهيرة 30 أغسطس 1999م توقف قلب البردوني عن الخفقان، لكنه كان قبلها قد صنع لنفسه حياة أبدية لن يستطيع الموت توقيف خفقان حب الناس له، وإيمانهم به ليس فقط مشاعر، ولكن أيضاً كرائي أبصر ببصيرته ما لم تشاهده

أبصارهم، ومتنبي لم تكذب تنبؤاته، أو تخالف سياق سيرورتها التي صدرها لهم في دواوين شعره ومؤلفاته.

الجوائز التي حصل عليها:

- نال البردوني العديد من الجوائز، منها:
- جائزة أبي تمام في الموصل 1971م.
- جائزة أحمد شوقي 1981م.
- جائزة اليونيسكو من الأمم المتحدة 1982م.
- جائزة مهرجان جرش 1984م.
- جائزة العويس 1993م.
- أهم مؤلفاته:

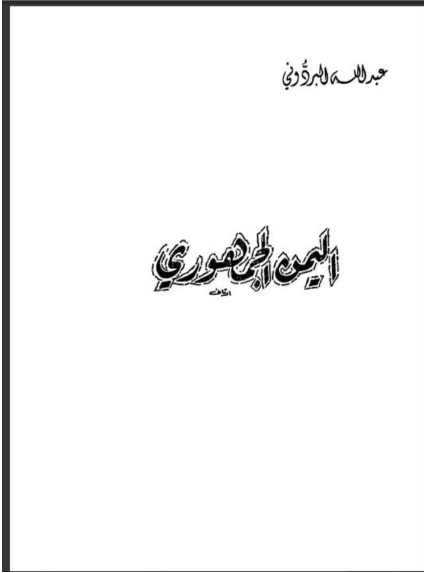


شعر:

- من أرض بلقيس
- في طريق الفجر
- مدينة الغد
- لعيني أم بلقيس
- السفر إلى الأيام الخضراء
- وجوه دخانية في مرايا الليل
- زمان بلا نوعية
- ترجمة رمليّة.. لأعراس الغبار
- كائنات الشوق الآخر
- رواغ المصايح
- جواب العصور
- رجعة الحكيم بن زائد.

دراسات:

- 1- رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه، دار العودة، بيروت، 1982م.
- 2- قضايا يمنية، دار الحداثة، بيروت، ط2، 1988م.
- 3- فنون الأدب الشعبي في اليمن، دار الحداثة، بيروت، ط2، 1988م.



- 4- اليمن الجمهوري، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، 1983م.
- 5- الثقافة الشعبية تجارب وأقاويل يمنية، دار المأمون، القاهرة، 1988م.
- 6- الثقافة والثورة في اليمن، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، 1991م.
- 7- من أول قصيدة إلى آخر طلقة «دراسة في شعر الزبيري وحياته» دار الحداثة، بيروت، 1993م.
- 8- أشات، 1995م.

أعماله المترجمة:

- 1- عشرون قصيدة مختارة مترجمة إلى اللغة الإنجليزية في جامعة انديانا في أمريكا.
- 2- ديوان مدينة الغد، مترجم إلى اللغة الفرنسية.
- 3- الثقافة الشعبية مترجمة إلى اللغة الإنجليزية.
- 4- كتاب اليمن الجمهوري، مترجم إلى اللغة الفرنسية.
- 5- كتاب «الخاص والمشارك في ثقافة الجزيرة والخليج» هو محاضرات باللغة العربية لطلاب الجزيرة والخليج العربي، مترجم إلى اللغة الفرنسية.

كتابات عن البردوني (1) الصورة اللمسية في شعر البردوني

د. عبده منصور المحمودي

أستاذ الأدب والنقد الحديث المساعد،
جامعة عدن

سوى الوعدِ الكذاب
هذهَدْتُ كَفَّاكَ رَأْسِي مثلما *** هذهَدُ
الفجرُ رِياحينَ الروابي
لقد ضَمَّنَ الشاعرُ أبياته - هذه - سلسلةً
من الصور اللمسية، التي نسجتُها الذكرى
وتداعياتها، حيث تمحورت فيها الرؤية
الشعرية - بشكلٍ واضحٍ - من خلال
اثنتين من صور هذه السلسلة، الأولى:
(كم تذكرتُ يديكَ وهما.. في يدي...)،
والثانية (هذهَدْتُ كَفَّاكَ رَأْسِي)؛ إذ جسدت
هاتان الصورتان رؤية الشاعر في تداعيات
الإحساس المتولد من ملامسة يدي الأم
طفلها، وهي تداعياتٌ تشكَّلُ مما تحدُّهُ
هذه الملامسة في وجدان الطفل من
إحساسٍ بالأمانِ المتناغمِ مع إحساسٍ
بمشاركةِ الأم طفلها مشاركةً وجدانيةً في
الإحساس باللامسة المشحونة بحنان
الأمومة ودفء العطف المناسب من
راحتها.

وفي هذا التصوير اللمسي التماسي -
المتكى على توارد الذكرى المتشكلة منه
- يكمن الإيحاء بإحساس الشاعر الحزين
التمثِّل في ألم فقدانه لأمه، وبما تركه

من فضاءات التصوير الفني، التي
استقامت عليها شاعريته عبد الله البردوني،
فضاءاتُ الصورة اللمسية Haptic Image
المنتمية إلى تقنيات التصوير الحسي، وهي
صورة تقوم على استشعار حاسة اللمس:
كالخشونة، والنعومة، والثقَل، والصلابة،
والليونة، والحرارة، والبرودة، والجرح،
وغير ذلك مما له علاقة باللمس[1].
والشاعر يستثمر القرائن اللمسية، بما
يتيح له الانتقال بالمفاهيم والأفكار
المجردة من دائرتها الذهنية، إلى دائرة
المحسوس؛ لخلق لها إحالاتٍ جديدة،
يستمدّها من انصهار دلالاتها بدلالات
المعطيات الحسية[2]. ومما استثمر فيه
الشاعر عبد الله البردوني هذه التقنية
التصويرية، قوله[3]:

آه يا أُمِّي وأشواكُ الأُسَى *** تلهبُ
الأوجاعَ في قلبي المذابِ
كم تذكُرْتُ يديكَ وهما *** في يدي، أو
في طعامي وشرابي

كان يضيئُ نحولي، وإذا *** مسَّني البردُ
فزنادكُ ثيابي
وإذا أبكاني الجوعُ ولم *** تملكي شيئاً

والتماس، في الزمن الذي تداعت منه هذه الذكرى، لتشعل في الحاضر (زمن التذكر) أحزانَ فقدانه والتحسر على غيابه. فضلاً عما يمنحه العمى من كثافة حضورٍ للإحساس اللامي لدى الضير؛ إذ يدرك به الوجود المادي للمحسوس؛ لتعذر إدراكه بالرؤية البصرية التي حُرم منها. كما يبدو الإحساس باللامسة في هذا التصوير، مشحوناً بنسبٍ دلالية لمسية تجسدها صور المعاناة: (الإحساس بلهب الأوجاع/ الإحساس بالبرد/ والإحساس بآلام الجوع)، وفي ذلك، انسجامٌ فني بين تفاصيل النسق التصويري القائم على مركزية فنية لمسية. وهو ما نجده من انسجامٍ فني بين مكونات هذه الصورة، للشاعر وهو يخاطب الليل[5]:

أَسْحَرْتُ في منكبي سهلٌ يساكني ***
عظمي، أَتَصْغِي إلى أَسْمارِ جَدَّاتي
رفقاً بلمس حصاه إنها حُرْقِي *** وتلكَ
أعشابهُ الكحلِ بُنياتي

فهنا تعالقٌ إحساسان لمسيان، كان التماسُ الشاعر من الليل الترفق - بلامسته وتماسه مع حصى سهلٍ متوغلٍ في عظامه - هو العتبة الأولى للتعالق التصويري الذي تكامل في المنحى التعليلي لهذا الالتماس؛ إذ لم تكن تلك الحصى سوى الإحساس بسخونة الاحتراق المتكاثف من عاطفة الشاعر ولوعته.

لقد كان لحرمان الشاعر من نعمة البصر دورٌ في حضور هذه التقنية

هذا الفقدان في حياته من فراغٍ روحي امتلأ بالمعاناة والألم.

وقد توالى المكونات السياقية المتشابكة والمترابطة في هذا التصوير اللامي؛ حيث تبلور هذا التوالي، في نسقين من الامتداد التصويري للامسة كفي الأم طفلها حاضنةً له ومهددةً رأسه، وهو امتدادٌ متوصل في محورية التصوير لإحساس التماس، الذي تشكلت به الصورة الثانية (هَذَهْدَتْ كَفَاكَ)؛ فقد مثلت أبعاد هذا الإحساس ملأداً يقاوم المعاناة الطافحة - التي يتعذب بها الولد (البرد/ الجوع) - بحنان الأم الدافئ المستفيض من كفها؛ لأن «هيمنة حاسة اللمس التي تستجلب تفاصيل الكف وحركتها الحميمة التي تطفئ جذوة الجوع تارمةً وجذوة البرد أخرى، قد أضاعت طوفان الفقد، الذي اجتاحت الذات المُرْمدة بسعير حدث الفقد فلفعها بإحساساتٍ محايثةٍ لإحساسات الطفولة إزاء فتك البرد وضراوة الجوع...»[4].

وفي مجمل هذا التصوير، كان الإحساس باللامسة ذا صفةٍ سياجية؛ كونه معنيًا بالتذكر، الذي مثل تجليات امتدادٍ للذات الشاعرة حدَّ الاتصال بذلك الإحساس مضمون الذكرى، والاتحاد به دون أن يُفَرِّغ من ماهيته وخصائصه. وكان التصوير اللامي وسيلة الشاعر في التعبير عن هذه الذكرى؛ لما في هذه الحاسة من بلورةٍ ليقينية الوجود الحقيقي لمُحْدَثِ اللامسة

[2] وجدان الصائغ، «الصور الاستعارية في الشعر العربي الحديث»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2003م، ص144.

[3] عبد الله البردوني، «الأعمال الشعرية»، إصدارات الهيئة العامة للكتاب، ط1، صنعاء، 1423هـ - 2002م، ج1/ ص109/110.

[4] وجدان الصائغ، «وردة الجمر تشكيلات الحزن في القصيدة المعاصرة»، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، 1427هـ - 2006م، ص43.

[5] عبد الله البردوني، «الأعمال الشعرية»، المصدر السابق، ج2/ ص1513.

التصويرية، القائمة على إحساس الملامسة في شعره، وهو حضور متعدد السياقات، لكن السياقات المرمدة بالألم والحزن والمعاناة هي السياقات المشحونة بطاقة هائلة من الوجدان المتعايش، مع المتغيرات الحياتية، الفاعلة في تمزيق عاطفته، التي كان احتراقها بفقدان الأم واحدًا من التجليات التصويرية المستأنسة بقرائن الملامسة، ومثل ذلك كان استثناس الشاعر بهذه القرائن في تصويره تداعيات ليله الحزين.

الهوامش:

[1] ينظر: نصرت عبد الرحمن، «في النقد الحديث»، مكتبة الأقصى، عمان، 1979م، ص67.

دورة الزمن البردوني وقراءة المستقبل

عبدالقيب الوصابي

٢

الخلاص وهو ما يجعل يوم القصيدة _ عنده _ لاحق بأمسه، وكذلك حال المستقبل ينتمي بجلاء إلى مستقبلياته فيستبصر الشاعر ما هو أبعد. يقول الشاعر من قصيدة «السفر إلى الأيام الخضر»:

يرحل النبع للريف ويفنى
وهو يوصي تسنيلي يا رفاقي
سوف تأتي أيامنا الخضر لكن
كي ترانا نجئها قبل تأتي

وهنا أكاد أجزم أن الشاعر/ عبدالله البردوني ينطلق من حقيقة معينة في تفهم الزمن « تقول إنه إذا كان الماضي مشتركاً بين كل الناس فإن المستقبل - لا محالة - مشترك بينهم كذلك؛ لأنه جاء من الماضي المشترك الجمعي، وإذا كان تاريخ الماضي ميسورا بفضل المدونات والمرويات، فإن تاريخ المستقبل غير عسير بفضل رصد أحداث الحاضر المتطور عن الأمس أو المعاكس لتغيرات الأمس التي ستمتد عكسياً أو طردياً إلى المستقبل، إذ يستدعي كل عصر من الحاجات ما لا

البردوني شاعر مستقبلي من كل الوجوه، لا لأنه غير مفهوم عند معاصريه ولكن لأنه استبطن فترة من العصر امتدت من سابقتها وارتبطت بلواحقها إلى الآن؛ فعصر شعره كل العصر بل هو كل العصور، لأن زمن المبدع لا يتحدد بعمره، وإنما بمسافات رؤيته وبعد سبره للتجربة البشرية وصورتها في الزمان والمكان وانعكاسها على حدس الشعر وحساسية الشاعر.

يقول الشاعر/ البردوني في قصيدة «وحدة الشاعر»:

كيف أنسى الأمس واليوم ابنه
والغد الآتي وليد الحاضر

ويقول كذلك من قصيدته «زوجة البلد»:

تمحص الأمس كي ترى
من ربي اليوم بعد غد

والبردوني شاعر يتقن الإمساك بلعبة الزمن ومن خلال إلمامه بالأزمنة الشتى نراه يبدع أفضل الجديد ويطور خير القديم وعبر تجاوبه العصور يجسد المأساة ويهتك أقنعة الطغيان ويحلم نيابة عن الكادحين والمعدمين بيوم

يستدعي سابقه، وكل ما تحن له الحاجة
يحدده التطور وهكذا تتحرك الأزمان جراً
تحرك التطورات الإنسانية فيها أو للصنع
الزمني في ذلك التحرك.

فالماضي باق بقاء صيغته؛ فهو زمن
التكون والانصهار والانطباعات الأولى
بالتجارب والأحداث وسلطته دائمة
التسلط، حتى وقت التفكير بالخروج
عليها فإن ذلك يكون منا بسبب حضورها
وحتى كراهيتها فإنها بسبب محبتها أو
بسبب الحب العكسي لها يقول الشاعر في
قصيدة « قراءة في كف النهر الزمني »:

هل يبنيني إدراكي
أني من أصلي مهذوم
هل يشفي من أزمني
ترديدي أني مأزوم
....

ما لا يجري مفهوم
الجاري غير المفهوم

فجوهر الماضي سبب في حماية نفسه
وسبب تجاوزه في الآن ذاته يقول الشاعر
من قصيدة «السلطان والثائر الشهيد»:

السطح إلى الماضي ينمو
وإلى الآتي ينمو الأعرق
من ظلمته يأتي أبهى
كي يتكر الأبهى الأعرق

ولعل الاشتراك الجمعي في الماضي
والاحتماء به هو سبب تغذية صراع
الحاضر بقصد تكريس الماضي يقول
الشاعر البردوني في قصيدته «عام بلا

رقم»:

كل مجرى فصوله
حدث يقتفي حدث
زمن القحط إن سخا
عزز الغث بالأغث

وبمقاييسات الشاعر ورد الأشباه على
نظائرها نجد أن الأزمنة الوجودية تكمن
في العصر الحاضر، حاضر بلا رقم قرب
الأبعاد المكانية إلى حد التماس، والتماس
إلى حد الخوف. والمخاوف عصر رديء
وبلا نوعية وزمان عدمي لا تتضح فيه
الفوارق بين الأشياء، عصر تتساوى فيه
قيم السلب والإيجاب يقول البردوني في
قصيدته «عراف المغارتين»:

في الزمان الخلو من معناه، لا
يبغض البغض، ولا الحب يحب
لا تسلي عادة التلفاز، لا

يسكر السكر ولا الطب يطب
وإذا كان الماضي يكون بتشديد الواو
وكسرها الفرق ويعبئها بتجارب المقاومة
والدفاع، والحرب المضمرة فحينئذ يكون
الحاضر وبلا أدنى شك ميدانا للصراع
والتصارع والاقتتال خاصة إذا اختزل الزمن
الحاضر العصور كلها في زمن ثقافة واحدة
وثقافة زمن واحد طويل المسافات متعدد
العصور يقول البردوني:

ما لا يجري مفهوم
الجاري غير المفهوم

ولعل الإيحاء هنا واضح فما لا يجري
هو الماضي المعروف بثباته وثوابته

على الأرض مبطوش به ثم باطش
لأن الزمان اثنان: حرب وهدة
وسر الوفاق اثنان ماح وراقش
حتى يقول:
ويا زاحمين الأرض والجو والقوى
أما للقلوب الآدميات هامش
إن إعمال الفكر ورصد حركة الأحداث
بما يتساق مع الوقوف على الأسباب
وسبر أغوار التفاصيل ومقايسة أحداث
الحاضر بمثيلاتها ونظائرها في كلتا الحالتين
طرديا وعكسيا سيقود الشاعر إلى قراءة
المستقبل والتنبؤ بما هو أبعد كمجيء
علوج الروم وغاياتهم في سلب الأوطان
يقول البردوني في قصيدة «أبو تمام..»
وعروبة اليوم» يقول:
واليوم جاءت علوج الروم فاتحة
وموطن العرب المسلوب والسلب
واستبصار كل الماورائيات كنتائج يهتدي
إليها من يتكرر طرائق للربط الجيد بين
الماضي والحاضر إذانا بقراءة لا تخطئ
للمستقبل لكن اليوم/ الحاضر لن يطول
على حاله هذا فهو ساعات معدودة
تفضي إلى غيرها وهذا التحول في الزمان
هو طريق المستقبل إلى «الأيام الخضر-
مدينة الغد» والطريق إلى الغاية جزء منها
يقول الشاعر البردوني:
اليوم يصبح أمسا بعد أمسية
ما أسأم العمر لو لم تحدث الغير
قبل العصافير يخضل الربيع لمن
أقي، لمن سوف يأتي يطلع الثمر

وركوده وهو مفهوم ومقدور عليه، غير أن
المأساة تكمن في عدم فهم وإدراك الزمن
الجاري والمرواغ وهو الحاضر وما يتسم
به من رداءة توجب العدوات والاقتتال
يقول الشاعر في قصيدة «رواغ المصاييح»:
إن كان من زوروا أنيابهم قبل
يعطون حبا فما هن العدوات
قالوا لكل زمان آية» صدقوا
هذي الشظايا لهذا العصر آيات
وعند هذا التحول يبدو الحاضر
المعيار الأكيد لترجيح النزعات المشتركة
بين كل الناس فيما النمو السطحي باتجاه
الماضي أو النمو الأعرق باتجاه المستقبل
وهوموم الغد وهو ما يجسده البردوني في
قصيدة «السلطان والتائر الشهيد» قائلا:
السطح إلى الماضي ينمو
وإلى الآتي ينمو الأعرق
من ظلمته يأتي أبهى
كي يتكرر الأبهى الأعرق
لكن المأساة حتما تتصاعد وتنمو
بفداحة نحو الاستلاب الكلي حين تغيب
سيادية قرار الحاضر لتطفو سلبية اللحظة
الراهنة وهذا التحول الزمني يفضي إلى
القتل والقصف والطغيان والامتهان يقول
البردوني:
كان عصر الطغاة يعطي ويردي
جاء عصر الغزاة يردي ويسلب
ويقول كذلك من قصيدة «تواييت
الهزيغ الأخير»:
لماذا الأنام اثنان في كل بقعة

الدائم منها وإليها وسير العوالم اللا
مرئية وقراءة المستقبل عبر الخيال
والدهشة الشعرية:
فلا الأمس قبل اليوم، لا اليوم بعده
ولكن جرت بالتسميات العوائد
ربما لا يعادل نزوع شاعرنا/ البردوني
أي نزوع آخر لمحاولة اكتشاف المستقبل
واختزال الزمن للإفادة من فرصه الخضراء
والابتعاد عن تكرار أعتوارات الماضي
والحاضر.
وما أشبه الليلة بالبارحة.

وهموم الغد مرهونة بإرادة الجميع
وهموم المستقبل مشتركة في كل العصور
وكل الطبقات وبمقدورهم صياغة مغايرة
للمستقبل وفصول تاريخه الذي يشترك في
كتابه اليوم والغد والبشر متى هم أردوا
ذلك يقول البردوني من قصيدة « بيت... في
آخر الليل » يقول:
من خارج التقويم جاء الذي
ما شم رياه خيال الخيال
وتجاوز ذلك وأزید لا سيما عند قدرة
الوصول إلى ذروة اعتصار العصور والسفر

بداياتي مع البردوني ... انطباعات قارئ

د/عبدالعزیز علوان

اللقاء الأول:

لعيني أم بليقيس

أول كتاب اشتريته وظللت أخفيه وأتخفى في قراءته مع غيره من الكتب التي كنت أجدها، وقد كان سبب هذا التخفي في القراءة يعود لاعتقادي ان تلك الكتب خاصة بالكبار فقط وأنا لم أتعد الصف الخامس الابتدائي في مدرسة الشرقية في الشيخ عثمان.

لم أدرك حينئذ معنى الشعر وكنت اعتبره محفوظات كتلك المقررة علينا في المدرسة، أمّا كيف اشتريت الديوان ومن أين فتلك هي الحكاية.

المكان: أحد الأرصفة التي يستند عليها (الشوكي) قسم شرطة الشيخ عثمان (عدن)

الزمان: بعيد العصر في يوم وشهر لا أتذكرهما جيداً، أمّا العام فهو 1974م.

ليلة شرائي الكتاب:

بدأت قراءة الكتاب بخوف من أن اكتشف باني أقرأ كتاباً خاصاً بالكبار وفرحاً بأنّي امتلكت كتاباً إلى جانب ما كنت أشتريه من مصروفاتي المدرسية وأفاخر بشرائها من

المجلات القديمة لمجلة (سمير) ومجلة (ميكي ماوس) الخاصة بالصغار من سن 6 سنوات الى سن 66 سنة كما كان يكتب في غلافها.

قرأت الكتاب الذي تعرفت بعدئذ على اسمه بأنه ديوان شعر ولم تكن القراءة صحيحة ولكن استمتاعي بالكلمات كان أكبر من كل ذلك.

*لعيني ام بليقيس كنت إقرأها مفردة دون تشديد للياء واعتبرها عينا واحدة، أمّا أم بليقيس فلم تكن دلالتها حينئذ تهمني فأنا أعرف إنها أم إحدى الفتيات في الشارع الذي أسكنه وأن تعدّت هذه الدلالة فهي تدل على علاقة ما بمدرسة بليقيس للبنات التي كنت أمرّ بها ذهاباً وإياباً من وإلى المدرسة.

استمرت هذه القراءة الى جانب قراءات أخرى للشابي، وكنت أحظى ببعض التشجيع من القائمين بفعاليات الانشطة الثقافية للجان الشعبية في الحي لإلقاء بعض ما أحفظ من الشعر بغض النظر عن جودة الأداء أو اختيار القصائد. في 25/7/1975 عدت من عدن الى

الذي كنت أشاهده أيام حرب أكتوبر. لكنني كنت أسأل نفسي طالما وأنا عربي فلماذا لا تعرفني هذه الدور العربية التي كنت أتخيلها على شكل عمارات.

أمّا فيما يتعلق بالسؤال ما صنعاء ما الحجرية فما زلت أبحث عن إجابة له حتى الآن.

دكتورة الأطفال:

وأنا الطفل الذي لم يذهب إلى دكتورة قط، كانت هذه الأبيات
دكتورة الأطفال إني هنا من يوم ميلادي
بلا مرضعة
عندي عصافير الهوى تجتدي حنان
هذي الكرمة الطيبة
تأخذني من أقرب البكاء وحتى البعيد
من الأسى، دون أن أدري لماذا؟
في نصيحة البردوني السيئة كان اسم
الحاكم لا يتعدى حاكم المحكمة فقط.
أبو تمام وعروبة اليوم:
كانت أكثر محفوظاتي وتفخيري في
حفظها، وكانت صنعاء وعاشقاها السل
والجرب تبعث في نفسي شيء من الزعل
فكيف لصنعاء المليحة أن تحب مثل
هؤلاء.

علاقة الشاعر بقصائده:

سُئلت ذات مرة، ماهي أحب قصائدك؟
أجبت لكل قصيدة من قصائدي علاقة
ما مع قارئها قد تكون حميمة أو عدائية
أو بين بين، إذن فهن كالأبناء في علاقاتهم
بالآخر.

القرية، مصطحبا ديوان البردوني (العيني
أم بليقيس)، ومن حينها بدأت القراءة
بصوت عال وبدأت أيضا أفاخر بشراء أي
كتاب تتوفر قيمته لدي.

القراءة الأولى:

كنت أبحث فيها عن المفردات المألوفة
لدي مثل المفردات القروية والأسماء التي
أعرفها لبعض الأشخاص والأماكن وأسماء
بعض الحيوانات دون التفقه في دلالتها.
فمثلا كنت حين أقرأ

مواطن بلا وطن لأنه من اليمن
تباع أرض شعبه وتشتري بلا ثمن
يبيكي إذا سأله من أين أنت؟.. أنت من؟
لأنه من لا هنا أو من مزائد العلن
أتخيل الضياع الذي يعيش هذا
المواطن لأنه من اليمن فحسب، كما
كنت أتخيل عملية البيع والشراء كتلك
التي تحدث في السوق. أمّا عندما أصل إلى
قوله:

يا إخواني أصلي من صنعاء أمي: (دبعية)
صنعاوي، حجري! ما صنعاء، ما الحجرية؟

وكذا

عربي لا تعرفني... حتى الدور العربية
وأبي-قالوا- يماني أمي-قالوا- يمنية

كانت هذه الكلمات تجد صداها
كمسميات تتردد في مسمعي باستمرار فأنا
من الحجرية، وصنعاء كنت أدرك إنها جزء
من اليمن، وأنا عربي بعد أن انطبعت في
ذاكرتي تلك المسيرات التي خرجت عند
وفاة جمال عبد الناصر والتفاعل المؤثر

وقعوا مشروع تقنين الهوى بالبطاقات،
لكل العاشقين
قررروا بيع الأماني والرؤى في القناني،
رفعوا سعر الحنين
فتحوا بنكين للنوم، بنوا مصنعاً،
يطبخ جوع الكادحين
إنكم أجدر بالسهد الذي يعد الفجر
بوصل الثائرين!

ولم اكتفِ بالقراءة تلك بل عملت على
تسجيلها صوتياً على أشرطة التسجيل، مع
برنامج قضايا الفكر والأدب الذي كنت
أتابعه باستمرار كل أربعاء العاشرة مساءً
من إذاعة صنعاء.

وتأتى (قصيدة مأساة حارس الملك)،
لتجسد في مخيلتي رؤية الجبال صبر،
نقم، يسلح، عيبان، والمناطق موسنة،
بعدان ومقبنة، يتعرضون للاعتداء وهم
يؤدون أعمالهم اليومية:
(صبر) وغد، أنا رقيته كان خبازاً، أحله

معجزة

(نقم) كان حصاناً لابي اطحنوه علفاً
للأحصنة

اقتلوا (يسلح) ألفي مرةٍ إسحبوا
(عيبان) حتى (موسنة)
أقلعوا (بعدان) من أعرقه انقلوا نصف
(بكيل) مقبنة

ومن بعدها أدركت دلالة الأمكنة كبعد
للمز النضالي الذي تميزت به كل منطقة
على حدة، أو شاركت مناطق أخرى في
خضم هذا النضال.

وأكد هنا أجزم بأن لكل القصائد ولأي
كان من الشعراء علاقاتها الخاصة، ولعل
بعضاً من قصائد البردوني لها علاقاتها
المميزة والمشاركة بين أكثر فئات الشعب
اليمني والوطن العربي ولعل أبرز مثال
لذلك قصيدة (ابو تمام وعروبه اليوم).

ديوان وجوه دخانية في مرايا الليل:

ثاني ديوان اشتريه كنت حينها في المرحلة
الإعدادية بالفجر الجديد (بالتربة) حيث
أصبحت مدركاً لمعاني بعض الكلمات التي
كانت تمنحني تذوقاً خاصاً للشعر، وكانت
قصائد هذا الديوان لها وقع خاص،
ولاسيما بعض القصائد التي كنت أجدها
سهلة الإيقاع (لم أكن حينها أدرك مدى
السخرية فيها) مثل:

كان رأسي في يدي مثل اللفافة

وأنا أمشي، كباعات الصحافة

وأنادي: يا ممرات إلى أين تنجر طوابير
السخافة؟

يا براميل القمامات، إلى أين تمضين؟ إلى
دور الثقافة

كل برمبل إلى الدور؟ نعم وإلى المقهى؟
جواسيس الخلافة

وكذا

يا أحزاني .. يا جميع الطيبين هذه
الإخبار ... من دار اليقين

قررروا الليلة ... أن يتجروا بالعشايا
الصفرة ... بالصبح الحزين

فافتحوا أبوابكم، واختزنوا من شعاع
الشمس، ما يكفي سنين

أما مأساة الحارس المزمنة فهي هي
وأن اختلفت في أدواتها، فكما انتقلت من
أكف أبي جهل إلى الأكف المؤمنة، ها هي
قد خرجت من عروش الاستبداد لتهدم
بنيانه، وربما لتبني بنيانا آخر.

حكاية طالب:

كادت هذه القصيدة أن تذهب بي أبعد
من سكن الطلاب الجامعي لجامعة
صنعاء. فقد كنت وزميل لي نخفي بعض
الكتب والأشرطة التسجيلية لبعض الشعراء
والفنانين، حتى لا تتفتح الأعين المزروعة
على مسار توجهنا، وذات ليلة قدم إلينا
أحدهم، وما أن رأى ديوان (كائنات الشوق
الآخر) حتى وجّه إلينا سؤال مكر هل
تقرأون للبردوني، وفتح الديوان على قصيد
(حكاية طالب) وما إن رأيت العنوان حتى
قلت له إنه المعني بهذا الطالب، ظانا
مني إنه لن يقرأ القصيدة، ولكنه قراءها
بصوت مسموع:

مصروفه في كل يومٍ وفير أبوه أمّا
سارق أو أمير
أو عنده أمك (مرجانة) في بيتها كل
مساءً وزير
عليه من تغنيجها مسحة ومن هدايا
زائريها عبير

وعندما أكمل المقطع استشاط غيضا
وكاد يخرج من الغرفة بهذه الحالة،
ولكنني هدأت من غضبه معتذرا بأنني
لم أقصد ما ذهب إليه خياله وانتهت

قصة الزيارات المفاجئة.
يوميات مرقس اليماني:
وهي واحدة من الروائع التي كنا
نشدها جهرا لأن فيها
وطناجي كيف أمسي «اللورد ناجي»
وكان أرث من جوف الشوالة
إضافة إلى غيرها من القصائد

كفنقلة النار والغموض وكائنات الشوق
الآخر، وغيرها
أمّا عن اجتماع طارئ للحشرات؛ فكانت
تسليانا اليومية
أعلنت سلطنة «القمل» اجتماعا
رؤساء «البق» لبوها سراعا*
وإليها أقبل الأقطاب من مملكات
«السل» مثنى ورباعا*

جاء شيخ الدود في حراسه زارداً بحراً،
ومعتماً شراعا*
ملك «الذبان» وافي نافشاً تاجه ي يملأ
الجو التماعا*
طار سلطان «البراغيت» على «نملة»
فازدادت الأرض اتساعا*
(الزنابير) توات مثلما هد مرضاضين،
مرحاض تداعي*
من أقوال البردوني:

في لقائه بالقاهرة على هامش مهرجان
حافظ وشوقي بالأستاذ النعمان، تحدث
النعمان عن علاقة الأدباء السعوديين
بشعر البردوني بأنهم يحفظونه عن ظهر
قلب، وأضاف بان قصيدة (سندباد يماني

أمسياته الشعرية بجمعية المكفوفين
منتصف التسعينيات.

رحلت مع البردوني في رحلته في الشعر
اليمني قديمه وحديثه، قضايا يمنية، وكنت
متابعا لمجلة الفكر والأدب التي يصدرها
البردوني من إذاعة صنعاء، إضافة إلى
الكتب الأخرى، ولهذه الكتب انطباعاتها
الخاصة.

يتبع في العدد القادم.

(*) شاعر وكاتب.

(**) قاص وكاتب..

في مقعد التحقيق) صارت لهم بمثابة
دعاء القنوت، وهنا غير البردوني مجرى
الحديث بقوله: أقسم بالله يا استاذ أنك
لم تصل الفجر قط في الحرم المكي،
لأنهم لا يقتنون.

تلك هي إطلالة سريعة على بعض
قصائد البردوني، ومع إن لكل قصيدة
مذاقها، وتأثيرها الماضي وحيوية أثرها
الحاضر وتأويلها المستقبلي أتوقف هنا،
كبداية تتنفس أشواق الآتي.

ثمة لقاء شخصي مع البردوني في إحدى

الشاعر محمد سعيد جرادة باحثا

أ.د. يحيى قاسم سهل
استاذ القانون العام في جامعتي
عدن وابين



مشاعل الدرب، لليمن حي، وجه صنعاء،
وكتاب الثقافة والأدب في اليمن عبر العصور
عن دار الفارابي في بيروت ولجنة نشر الكتاب
اليمني - عدن كانون الأول 1977م.
وإضافة لما سبق نشر عدة دراسات
نذكر منها الآتي:
- الأنصاري صاحب نفحة اليمن، الحكمة،
15 ديسمبر 1971.
- العيدروس عصره، حياته وشعره،
الحكمة، العدد الثاني، 15 مايو 1971.

يصف الأستاذ عبد الرحيم الأهمل - في
تقديمه للجزء الأول من الأعمال الكاملة
للشاعر محمد سعيد جرادة -، شعر الشاعر
محمد سعيد جرادة بـ (الرسم الصادق
للشعر الأصيل).

ويضيف الأهمل: (والشاعر محمد سعيد
جرادة باحثا طلعة عميق يمتح من الثقافة
العربية)(1)

والجرادة هو الشاعر العالم، والعالم
الشاعر، والجرادة هو الشاعر المؤرخ ..
ونظرة عميقة في تراث الجرادة الشعري
والنثري تثبت ذلك بصورة لا تقبل الجدل(2)
ولد الشاعر محمد سعيد جرادة عام
1927 في مدينة الشيخ عثمان، ودرس اللغة
العربية على يد فضيلة الشيخ أحمد محمد
العبادي، ثم شق طريقه في حياة الأدب
والمعرفة بفضل مجهوده الشخصي في
القراءة والاطلاع.

وبدأ نظم الشعر وهو في سن الثالثة
عشر، واشتغل في سلك التدريس 25 عاما
ثم موجهاً فنيا فمديراً للتوثيق التربوي ثم
مستشاراً ثقافياً في سفارة جمهورية اليمن
الديمقراطية الشعبية بإثيوبيا الاشتراكية.
صدر للشاعر محمد سعيد جرادة



يقول فيها:

أجريت يا عذب دمعتي
وأسهرت بالليل مقلتي
بالبعد الله بك يعيد
والشوق إليك مزعج شديد

واستقبل العيدروس عامر بن عبد الوهاب
عند مقدمه الى عدن بقصيدة حمينية
اقترحها ابن عبد الوهاب عليه اقتراحاً وطلب
إليه فيها تشطير بيت لشاعر آخر ومطلع
هذه الحمينية:

بروق الحمى ابرقي يابروق
عسى الله يسقى بك المجدين

ويواصل الجرادة الحديث عن العيدروس
مشيراً الى ثقافة أبي بكر العيدروس؛ فهي
كما تظهر في شعره ونثره ثقافة فقيه
متصوف من طراز عمر بن الفارض في مصر
وعبدالرحيم البرعي في زيد.

- وضاح اليمن لمحات سريعة عن حياته
وشعره، الحكمة، العدد الحادي عشر، 15
مارس 1972.

- شاعر اليمن أبوبكر العندي، الحكمة،
العدد 24، أغسطس 1973.

- نشوان الحميري، حياته مؤلفاته مواقفه
من الائمة، الحكمة، العدد 26، يناير 1974.
- عرض وتحليل لمسرحية أرض الجنتين
للشاعر اليمني محمد الشرفي، الحكمة،
العدد 27، فبراير -مارس 1974.

وستتناول بعض من هذه الدراسات:

1) العيدروس .. عصره .. حياته وشعره:

عاش أبوبكر العيدروس في منتصف القرن
الثامن للهجرة وبداية القرن التاسع منها،
وفي هذه الفترة بدأ نجم الدولة الطاهرية
في اليمن، وقد قامت هذه الدولة على
أنقاض دولة بني رسول التي عصفت بها
رياح الخلاف والانشقاق بين أمرائها ومن
هنا بدأ الجرادة الحديث عن أبي بكر
العيدروس صاحب عدن.

وبدأ ذكر أبي بكر العيدروس بخبر
بسيط أشار إليه مقدم ديوانه وتلميذه
عبد اللطيف عبدالرحمن باوزير وفحواه أنه
أصلح بين بعض القبائل المعادية لحكم
ابن طاهر، وردهم الى طاعة الدولة، وكان
ذلك في عام 880هـ تقريباً، ويلمع اسم
العيدروس في زمن عامر بن عبد الوهاب،
الذي نظم فيه مجموعة من قصائده في
الشعر الفصيح والحميني، بل أن عامر بن
عبد الوهاب، كان يستصحب العيدروس معه
الى شمال اليمن، ففي رداغ ألقى العيدروس
بين يدي عامر بن عبد الوهاب حمينته التي

وذكر عدة حمينيات يغنيها له الماس
والقعطي التي يقول في مطلعها:

مطوق بات على الخمايل

ترك فؤادي العميد ذاهل

بحسناها جامع الفضائل

يسر صوته ويعلنه من لقاهم تهيم
قلبي وتفتنه

والخال في الخد زينة

ومن حمينياته التي يغنيها أحمد عبيد
القعطي:

يا نسيم السحر هل لك خبر

فارقوني ولم أقض وطر

عن عريب بوادي المنحى

من لقاهم ولا نلت المنى

وختم حديثه عن العيدروس بقوله:
(وأخيراً فإن هذه صورة متواضعة حاولت
بها نفض الغبار عن شخصية يمنية لها
دور في التاريخ السياسي والأدبي، شخصية
عاشت في عصرها محاطة بمظاهر الأبهة
والجلال، وفي رفارف الحياة والزعامة، وهي
اليوم لم تعد سوى قبة في مسجد، يظن
علينا التاريخ بما لها من أخبار وآثار).

(2) قراءة في كتاب القمندان (فصل

الخطاب في إباحة العود والرباب):

الإكيل، العدد الأول، شتاء 1992.

يرى الجريدة في قراءته لكتاب القمندان
(فصل الخطاب في إباحة العود والرباب)
إن القمندان كان على (خصوصية قوية) مع
حكام صنعاء ولا يترك مناسبة تمر دون
أن يمسهم بالهجوم. وكان كتيب (فصل
الخطاب) جزءاً من الحملات الموجهة
للنظام الإمامي في شمال الوطن، ويواصل

وقد أحيط العيدروس في حياته بهالة
من القداسة أسبغها عليه تلاميذه ومريدوه
وشهد له بصفاء الروح وصدق الولاية كثير
من معاصريه، وعلى رأسهم العلامة حسين
صديق الأهدل الولي المعروف في عدن.

ثم ذكر الباحث إن للعيدروس شعراً
فصيحا نظمته في مواضيع المديح، واختص
بمديحه عامر بن عبدالوهاب وبعض رفاقه
من الفقهاء في (تريم) وفي (زبيد) وانتقل
للإشارة إلى شعره الحميني ورواية أحد
تلاميذه أنه حتى وهو في الحج لم ينقطع
عن السماع، وأنه استصحب معه المنشدين
الذين كانوا يغنون بين يديه قصائد
الموشحات والحمينيات.

وكثير من حمينيات العيدروس لا تزال
تُغنى إلى اليوم وكثير من الناس يعجبون
بهذه الأغاني دون أن يعرفوا أن قائلها هو
أبوبكر العيدروس، ومن هذه القصائد
حمينته التي نظمها في موضوع الحكمة التي
يغنيها الشيخ علي أبوبكر ومنها:

كل من ليس يمنع نفسه

كل جرح علاجه ممكن

عن طريق الهوى ذاق الهوان ما خلا يا

فتى جرح اللسان

ومنها قصيدته التي يغنيها الماس:

ذانسيم القرب نسنس ترك ودجى
الديجور عسعس زل يخطر لابس اطللس

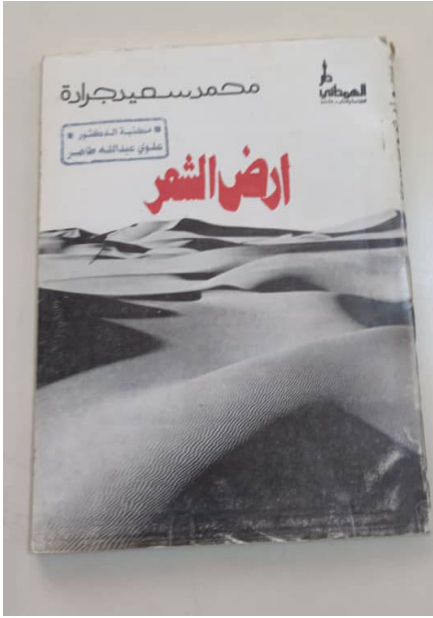
قوس حاجبك المقوس

وشفا سقم المحبين

وغفت عين الشياطين

زركشة من خالص العين

قد رمى قلبي بسهمين



إحدى قصائد القمندان الغنائية المشهورة (حالي يا عنب رازقي) بتضمينه قصيدة على غرارها في نفس الوزن والقافية مطلعها:

لعينيك حي نقي

يا ذا الصارم المبرقي

وقد عاصر كتيب القمندان بداية اشراقات النهضة الثقافية في اليمن بظهور مجلة الحكمة اليمانية في صنعاء، وفتاة الجزيرة في عدن.

وأشار الباحث إلى مُعاصري القمندان وكذلك علاقته بالشيخ العبادي الذي تولى إدارة المدرسة المحسنية، مبيِّنا العلاقة التي كانت تربطهما، وأخيراً ذكر معاناة الشيخ العبادي وآرائه التي استهدفت مهاجمة أصحاب الطرق وزيارة الأولياء ومحاربة الدجل والشعوذة، التي وصلت للضرب بالخنجر بعد فشل البندقية الصدئة.

الإشارة إلى أن حكام صنعاء سكتوا كعادتهم على صدور هذا الكتاب، ولم يوعز أي منهم إلى أحد الفقهاء ليرد على القمندان محرماً فن الغناء. وتولى هذا الأمر كاتب من عدن نشر كتيباً مناقضاً موقعاً باسم الشيخ الهندي ... ويغلب على الظن إن الشيخ محمد علي باحميش هو مؤلف الكتيب لأنه كان يتصدى للرد على أي رأي أو فكر ديني لا يروق له، كما فعل ذلك مع فضيلة الشيخ أحمد العبادي حين رد على منظومة الشيخ العبادي (هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد) التي علق عليها تلميذ الشيخ العبادي الشيخ محمد بن سالم البيحاني، وكان الشيخ باحميش قد رد على تلك المنظومة بكتابه المعروف (درر المعاني في التحذير من منظومة العبادي وتعليق البيحاني).

وذكر الباحث الجرادة مصادر كتيب القمندان قيد التداول وعرض للآراء المتشددة والآراء التي تُبيح للسمع، موضحاً استثناس القمندان بآراء الجانب المبيح للغناء، مضيفاً أن فن الغناء ابتدأ من عصور الإسلام الأولى وأنه فن مستمر إلى عصرنا هذا، ولم تصدر فتوى لا من الأزهر ولا من غيره من الجامعات الإسلامية في الوطن العربي تقضي بتحريمه.

وذكر الجرادة كما أسلفت الرد الكتابي على القمندان من الباحميش، كما أورد الرد على القمندان شعرياً من قبل شاعر معاصر للقمندان هو الشاعر الكبير عبد المجيد الأصنج، كما أضاف الرد على القمندان غنائياً أي الشاعر الأصنج حيث ناقض

- التحقيقات القديمة والمعاصرة
- الشعراء الفرسان
 - شعراء اليمن / القرن الأول للهجرة /
 - القرن الثاني للهجرة / القرن الثالث للهجرة
 - ألوان النثر
 - القرن الرابع للهجرة / القرن الخامس للهجرة
 - الشعراء
 - القرن السادس / القرن السابع
 - شعراء هذا القرن
 - القرن الثامن

من العناوين السابقة يتبين أن الباحث الجريدة تناول مرحلة تاريخية طويلة ولذلك كان عنوان كتابه: (الأدب والثقافة في اليمن عبر العصور) أي ثمانية قرون إلى جانب فترة ما قبل الإسلام.

وحقا فقد كان الكتاب تحفة علمية نادرة، ولا أقول جزافا أو مجانا لكن يظهر ذلك جليا ليس من العناوين التي أسلفت ذكرها، ولكن من خلال كشف المصادر والمراجع المدونة في حاشية الكتاب، بل والكتب التي ذكرت في ثنايا الكتاب. وسوف اقتصر هنا على ذكر المراجع التي وردت في الحاشية فقط:

1. طه حسين، في الأدب الجاهلي.
2. ابن سلام، طبقات الشعراء.
3. أحمد الشامي، قضية الأدب في اليمن.
4. جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام.
5. ولفنستون، تاريخ اللغات السامية.
6. مقدمة ابن خلدون.
7. ناجي زين الدين الصرف، بدائع الخط العربي.

وأختتم قراءته لفصل الخطاب بذكر المساجلات الشعرية بين القمندان والعبادي مشيرا إلى أن القمندان في شعره الفصيح ناظم حسن النظم أكثر منه شاعرا مجنح الخيال.

تلك كانت إطلالة سريعة على دراستي الجريدة عن حياة العيدروس وشعره وقراءته لكتاب القمندان (فصل الخطاب في إباحة العود والرباب).

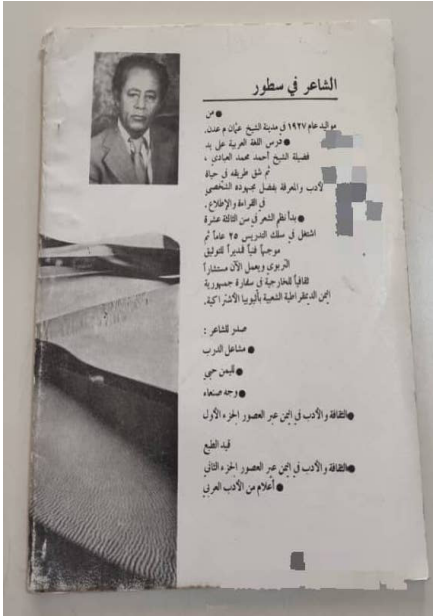
(3) كتاب (الأدب والثقافة في اليمن عبر العصور):

أشار الجريدة في مقدمة هذا الكتاب إلى أهم الصعوبات التي يواجهها الباحث اليمني، المتمثلة (في العزلة التي فرضت على اليمن منذ أقدم عصور التاريخ؛ فضربت بينها وبين غيرها من أقطار الوطن العربي سورا ليس له باب. فالتراث اليمني أغلبه أما أن يكون مفقودا يحتاج البحث عنه إلى الارتحال إلى مكاتب العالم، أو هو مطمور يعيش في زوايا الجوامع والمكتبات، والبيوت الخاصة، وما خرج من كتب التراث اليمني إلى عالم النور لا يكاد يتعدى النزر اليسير الذي يعد بالأصابع).

وبصرف النظر عما سلف، فقد قدم الباحث الجريدة لليمن كتابا لا يضاهيه آخر في عمق البحث والصبر في التنقيب والرصد... إلخ.

وجاء كتاب الجريدة المشار إليه بمقدمة و 18 عنوان تمثلت في الآتي:

- لغة اليمن قبل الإسلام
- قضية النحل والانتحال في الشعر
- نثر اليمن قبل الإسلام



8. السيوطي، شرح شواهد المغني، مجموعة أجزاء.

9. تاريخ ابن إسحاق/ حاشية ابن هشام.

10. ديوان لبيد العامري.

11. الهمداني، الإكليل، أجزاء.

12. الهمداني، الإكليل، صفة جزيرة العرب.

13. الأمالي لابن الغالي، أجزاء.

14. ابن عبدربه، العقد الفريد، أجزاء.

15. ديوان عمرو بن معدي كرب، تحقيق

وجمع مطاع الطرايشي.

16. طبقات ابن سعد.

17. تاريخ الطبري.

18. سيرة ابن هشام.

19. الزركلي، الأعلام، أجزاء.

20. محمد عجاج الخطيب، أبو هريرة،

راوية الإسلام.

21. الأمدي، المؤلف والمؤتلف.

22. أبو فرج الاصفهاني، الأغاني.

23. ابن قتيبة، المعارف.

24. البغدادي الفرق بين الفرق.

25. أحمد حسين شرف الدين، تاريخ

الفكر الإسلامي في اليمن.

26. المسعودي، مروج الذهب.

27. النويري، نهاية الأدب.

28. بامخرمة، ثغر عدن.

29. الخزرجي، العقود اللؤلؤية.

30. عبد المنعم شلبي، تحقيق ديوان

عنتر، تقديم إبراهيم الإياري.

31. ديوان ابن هتيمل.

32. الشيخ أحمد العبادي، هدية المريد

إلى سبيل الحق والتوحيد.

33. تاريخ الخزرجي، الجزء الأول.

34. السراجي، طبقات الخواص.

35. محمد يحيى الحداد، تاريخ اليمن

السياسي.

36. الحسن بن سابق الدين بن يعيش،

البدر الطالع.

37. عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،

تح/ محمد رشيد رضا.

38. عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة،

ت/ محمد رشيد رضا.

39. يحيى بن حمزة، كتاب الطراز.

40. عمارة اليمني، المفيد في أخبار صنعاء

وزيد.

41. ابن شاکر، فوات الوفيات، أجزاء.

42. عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين.

43. إسماعيل باشا البغدادي، هدية

العارفين في أسماء المؤلفين وأثار المصنفين.

الله الشاعر الأصيل والباحث الأكثر عمقا
وأصاله محمد سعيد جرادة ...

الهوامش:

- (1) محمد سعيد جرادة، الأعمال الكاملة،
الجزء الأول، دار الهمداني للطباعة والنشر،
عدن، 1988م، ص3.
(2) د. أحمد علي الهمداني، قراءة في شعر
الجرادة وحياته، الحكمة، العدد 192، يونيو
1992م، ص41.

المراجع:

- محمد سعيد جرادة، الأدب والثقافة في
اليمن عبر العصور، دار الفارابي، بيروت،
لجنة نشر الكتاب اليمني، عدن، كانون
الأولى، 1977م.
محمد سعيد جرادة، الأعمال الكاملة،
الجزء الأول، دار الهمداني للطباعة والنشر،
عدن، 1988م.
الحكمة، العدد الثاني، 15 مايو 1971م.
الحكمة، 24 أغسطس 1973م.
الحكمة، العدد 26، يناير 1974م.
الحكمة، العدد 27، فبراير - مارس
1974م.
الحكمة، العدد 192، يونيو 1992م.
الإكليل، شتاء 1993م.

44. حاجي خليفة، كشف الظنون عن
أسماء الكتب والفنون.
45. القاضي أبي عبد الله بن يوسف بن
يعقوب المعروف بالبهاء الجندي، السلوك
في طبقات العلماء والملوك.
46. ابن سمرة عمر بن علي الجعدي،
طبقات فقهاء اليمن.
47. أحمد بن عبد الله الرازي الصنعاني،
تاريخ مدينة صنعاء.
48. عبد الله بن أسعد اليافعي، مرآة
الجنان، أجزاء.

خاتمة:

وأختم هذه الورقة عن الباحث الشاعر
محمد سعيد جرادة بما أورده في ختام
المقدمة لكتابه موضوع هذا العرض، حيث
قال: (وكنت أود أن يخرج هذا الكتاب
مشمّتلا على معجم وفهرس لمفردات اللغة
وأسماء المواقع والبلدان ولكنني أحسست أن
هذا يحتاج إلى شيء من الوقت قد يعوقني
عن المضي في جمع وترتيب وتبويب وصياغة
المادة الخاصة بالجزء الثاني لهذا الكتاب
ورأيت أن من الأصوب تأجيل ذلك حتى
يتم تأليف الجزء الثاني الذي سيشتمل -
إن شاء الله - على معجم وفهرس للجزئين
كليهما).
وللأسف لم يصدر الجزء الثاني، رحم

شعرية السخرية في ديوان: "محاولة للخروج من منفضة السجائر" لعمرو الإرياني

د. سعيد بايونس

استاذ الأدب العربي كلية التربية جامعة أبين

الديوان:

عقلي يُمكنه من الفوز على العاطفة في النظر إلى الواقع، وتدعو "إلى قدر وافر من التجرد والنقد" (المازي: 2012م: 252). فالسخرية بنية عميقة تتوسل في ظهورها بنى سطحية لمعرفتها في النص. والسخرية السياسية بالذات تمثيل للواقع الراهن؛ حيث توثق صوراً واضحة عن قضاياها. ولا تتجسد السخرية ولا يكتمل مفهومها إلا من خلال ثنائية (القصدية والتأويل)، فالأولى تقع على المرسل، والأخرى من نصيب المرسل إليه.

احتوى الديوان على (17) نصاً من شعر النثر، ومجموع أسطر الديوان بلغ (468) سطراً، وسُمي الديوان (محاولة للخروج من منفضة السجائر) وهو النص الأخير في الديوان واسمه في الديوان (المحاولة العاشرة للخروج من منفضة السجائر)، ويتكون من خمسة أسطر شعرية أطولها السطر الأول يتكون من ثمان كلمات، وأقصرها السطر الرابع يتكون من كلمة (ثم). وعدد صفحات الديوان (77) صفحة، من القطع الصغير.

المطلب الأول: السخرية عبر المفارقة

السخرية بنية أسلوبية موضوعها الأساس تسجيل التناقض بين ظاهرتين، ووظيفتها الرئيسة هي تحقيق الدهشة لدى المتلقي من خلال كسر توقعاته، وإن التفريق هو أبرز ما يتخذ صفة المفارقة، وهي "جوهر الحداثة والانفتاح؛ لأنها وحدها قادرة على إقامة عالم جديد مخيل على أنقاض عالم الواقع المعاش، وهذا الانهدام لعالم الواقع والبناء في

السخرية:

تقنية بلاغية وجدت في المنجز الأدبي العربي القديم، وهي سلاح هجومي لا يخرق الأعراف ولا يتحدى القوانين، وبالمقابل هي مخرج انتقادي للكبت (تطهير عبر الملهاة)، الذي تحدثه السياسة، وللسعة التي يحملها مفهوم السخرية يمكن القول إن أي موضوع يصلح أن يكون للسخرية. فالسخرية استعداد

لأن الأحمر هو السائد
الجميع متوقف (الإرياني: 2006م: 35).
وتتحقق المفارقة من خلال النوم:
عندما لا أصحو
تسير الأمور على ما يرام (الإرياني:
2006م: 37).

والمفارقة بادية من خلال تغيير وظيفة
التصفيق:
رجاء صفقوا صفقوا
لو

من باب الأمن (الإرياني: 2006م: 52).
وتتحقق المفارقة عبر نصين، فيكون
النص الثاني مفارقة للنص الأول من
خلال اختزال الزمن وكشف الحدث الذي
لا يتطلب كل ذلك الاستنفار:
النص الأول: يحمل عنوان "خبر عاجل":
أسقط الحرس الخاص للبيت الأبيض
طائرة تجسسية كانت تحلق
بالقرب من نافذة غرفة نوم بوش الابن
(الإرياني: 2006م: 52).
النص الآخر: يحمل عنوان "بعد عشرين
عاماً":

الطائرة التجسسية التي أسقطها
الحرس الخاص للبيت الأبيض
والتي كانت تحلق بالقرب من نافذة
غرفة نوم بوش الابن
كانت حمامة (الإرياني: 2006م: 53).
فالنص الأول يبدأ بالفعل الماضي
(أسقط) ويتراءى فيه يقظة "الحرس
الخاص للبيت الأبيض"، في إسقاط "طائرة

عالم الخيال هو خطوة ضرورية ودقيقة
في طرق التغيير". (اليوسفي: 1985م: 29).
ومن ذلك التناقض هذه الصورة التي
رسمها الشاعر لقارئة الكف التي تدعي
معرفة الغيب، ولم تعرف مصيرها، حيث
يقول:

قارئة الكف قالت:
خط عمري قصير

وماتت (الإرياني: 2006م: 35).

إشارة شعرية ضمن نص "إشارات"
الذي بلغ (11) إشارة، وخلق التركيب
الإضافي (عمري) استلزاماً حوارياً؛ لتبيان
دلالة السخرية التي يكتنزهها، فجملة
القول وعلامة التقييم الخاصة بالقول
(قارئة الكف قالت:): تؤكد إن الضمير في
"عمري" يفترض أن يكون "كاف الخطاب
للمذكر" فيكون التركيب كالآتي:

قارئة الكف قالت:
خط عمرك قصير

وهنا تتحقق السخرية من خلال
المفارقة المتمثلة في الجملة (وماتت)،
ولكن المعنى الذي يدل عليه النص
المكتوب من خلال "ياء المتكلم":

قارئة الكف قالت:
خط عمري قصير

لا يحقق المفارقة في (وماتت)؛ لأنه يؤكد
إحساسها بالموت. ولعل خطأ مطبعي قد
أربك التحليل، أو أنه انزياح قصيدة النثر
وتلاعبها بالتركيب. وتتحقق المفارقة من
خلال دلالة اللون:

رائحة الصانونة، رائحة صيد مقلي، رائحة بخار الحليب)، وهنا تتجلى بساطة الطبخ ومعرفته بالحواس المعروفة، وتأني المفارقة بمقابلة الحالة الأولى (الطبخ الحسي)، بحالة أخرى (الطبخ المعنوي) من خلال دخول مهنة الطبخ في أروقة السياسة (وصار السياسي طباًخاً)، فلم يعد ذلك الطفل - الذي كبر - يستطيع التمييز بحواسه كلها معرفة الطبخ السياسي، وهذا يتضح من خلال الكناية (أضعت ثوب أُمي).

المطلب الثاني: السخرية عبر الصورة

تؤدي الصورة الشعرية دوراً بارزاً في تمرير دلالات السخرية من الواقع المعيش، الذي يتنافى وأحلام المرسل بل يتنافى وماضيه الجميل، فكانت الصورة الشعرية بوتقة إبداع يركب فيها المرسل كل ما يجد في نفسه:

الشفاه نصف غروب

والحديث بحر

وأنا الشط (الإرياني: 2006م: 30).

هذه لوحة شعرية عمادها التشبيه البليغ، وتكّء من الناحية التركيبية على الجملة الاسمية، فتكون اللوحة من "غروب وبحر وشط"، هذه الطبيعة تقع بين شخصين (الحبيب والحبيرة)، فالشفاه ترسل الحديث بحرًا تجد أمواجه انكسارها على شط المرسل. ومن الصور الأخرى قوله:

جففت قلقي

تجسسية" تحلق في أقرب نقطة لمكان الرئيس "نافذة غرفة نوم بوش الابن". وتحقق المفارقة الدالة على السخرية في النص الآخر الذي ابتداءً باسم (الطائرة) وجاءت معرفة بال التعريف والصفة (التجسسية)، وتدخل الأخبار نفسها التي وردت في النص الأول بين المبتدأ (الطائرة التجسسية) وخبره الجملة كان ومعموليه (كانت حمامة) وهنا تتفجر المفارقة الساخرة في قتل رمز السلام (الحمامة) وخيبة أداء الحرس الذي استهلك من الزمن (عشرين عامًا)؛ لكشف الحقيقة. وتأني المفارقة من خلال استغلال مهمة "الطبخ" الاجتماعية وتوظيفها سياسيًا:

عندما أعود من مدرستي ظهرًا

كنت أعرف وجبة الغذاء من ثوب أُمي

ففي هدبه رائحة (صانونة)

وفي كمه رائحة صيد مقلي

وبخار حليب أخي الأصغر

والآن

وقد كبرت

وصار السياسي طباًخاً

أضعت ثوب أُمي

واكتفيت بلعق الخنجر (الإرياني:

2006م: 54).

يجعل المرسل الدفقة الشعرية السابقة فلتين خطها الفاصل ظرف الزمان (الآن)؛ لتكون جسراً بين الطفولة والزمن الحاضر (وقد كبرت)، وتشتغل حاسة الشم في الفلقة الأولى (رائحة الغذاء،

الغضب يكتب في عقل الماء فكرة (الإيراني: 2006م: 9).
تترأى الاستعارة الدالة على السخرية،
ومحرقها الأول إعطاء الفعل الإنساني
(الكتابة) للحالة النفسية (الغضب)،
ومحرقها الآخر آلة الكتابة (عقل الماء)
بدلاً عن الورق وهنا ينتفي المعقول
ويغيب عن المقولة اللغوية؛ ليحل محله
النقيض، ويمكن تمثيل هذه الصورة على
وفق الآتي:

- الغضب - الإنسان
- يكتب - يكتب
- عقل الماء - الورق
- فكرة - فكرة

فاختفاء العنصر الأول (الإنسان) وإحلال
الغضب محله، نقطة تحول في انزياح
الصورة الاستعارية، ثم اختفاء العنصر
الثاني (الورق)، وإحلال الماء محله نقطة
تحول أخرى، مما أدخل الصورة في الغرابة
والدهشة التي هي من سمات السخرية.
وتنداح الصور الساخرة في الديوان؛
لتشكل ملمحاً يستحق الدراسة، فخذ مثلاً
شارداً:

أوتارنا بغير يد
نعزف حشجة الريح
وتثأب الورد
في المنتصف

تناسى العشاق العشق (الإيراني:
2006م: 28).

فالعزف صوت والحشجة صوت لكنهما

قلق منديلي (الإيراني: 2006م: 19).
هذه الصورة وردت في نص "موعد"
الذي يمثل سخرية القلق المسترسل على
سطوره، القلق نابع من انعدام النظام،
وسيادة نظام الغاب، فحين لاح الأمل
على شكل ضوء وحيد اتنابه القلق،
وعندها انساحت الصورة القلق لتدخلنا
في الغرابة فالصورة (جفت قلقي) منزاحة
فالقلق صار عرق يجفف؛ لطغيان القلق
الذي هو سبب القلق، فحل محل سببه
فتبادل المادي (العرق) مع المعنوي
(القلق) الأدوار، وتبشق منه العبارة (قلق
منديلي) لتزيد الموقف سخرية من خلال
آلية التشخيص حين حولت الجماد
(المنديل) إلى إنسان (قلق).

وتطالعنا الصورة الومضة ذات الدلالات
الكثيفة في قوله:

والثواني نائمة بي (الإيراني: 2006م: 8).
جاءت ضمن التركيب الاسمي (المبتدأ
والخبر)، متمثلة بعدها الفلسفي، ساخرة
من حركة الزمن (والثواني نائمة بي)، فإذا
كان النوم كف عن الحركة فإن الزمن
واقف في حساب المرسل، فهذا التشخيص
للزمن من خلال تحويله إلى كائن حي يدل
على فقدان قيمة الزمن، فسكونه وحركته
واحدة بالنسبة للمرسل، فلا يأتي بالجديد
الذي يشعر الذات بالحياة وهنا مكمّن
السخرية.

وتتشابك الصورة الساخرة على مستوى
الشطر الواحد:

السخرية عن طريق التناص (الغذامي: 1987م: 80). يعد تابو السياسة من الموضوعات التي تشغل فيها السخرية عبر آلياتها المراوغة؛ لتجنب الاصطدام بها. وعبر البنية السطحية (التناص) يتم المراوحة بين الواقع والمخيل في دائرة الشعر، فيتم استدعاء صورة الطاغية (الحجاج) من مرقد في الزمن الماضي لتمرير معارضة طغيان الحاضر في غالب ساخر لا يعدم وظيفته التأثيرية على المرسل إليه:

حذار أن تمسك بحفنة تراب
أو تكسر البيضة بحجر
وإلا فأنت المعتزلي الذي عارض
جبرية السلطة

فصلبه الحجاج بفتوى . . (الإرياني: 2006م: 22).

تبدأ الدفقة الشعرية بأسلوب التحذير (حذار)، وفاعله مستتر (أنت) يشير للمخاطب دومًا، والتحذير جاء لتجنب شيئين: الأول (تمسك حفنة تراب) ورمزية التراب تشير إلى الوطن ولها تجليات معنوية تتمثل في الانتماء، والأخرى (تكسر البيضة بحجر) تعريف البيضة يشير إلى السلطة الهشة التي تحمي هشاشتها بالقمع، الذي يتمثل في التهم الجاهزة (المعتزلي الذي عارض جبرية السلطة)، ونلاحظ عند العقاب ظهور ضمير المخاطب بعد التستر (وإلا فأنت ...). وتم السخرية عبر موضوع "الصمت"،

نقيضان من ناحية الجمال والقبح، فالعزف الحامل للنقيض هو مثار السخرية التي ترسمها الصورة، وسنخرج الصورة من هذه السخرية بتسمية المعزوفة بـ "حشرة الريح"، كتسمية سائر السمفونيات العالمية. ولكن لا نستطيع إخراج الصورة الأخرى من دائرة السخرية فهي استعارة محكومة ببناء بلاغي لا يغادر بنيته، فإضافة الثاؤب للورد قد أوحى بالخلود للنوم مما يعني السكون، أو الملل، أو أرق السهر لمظهر جمالي (الورد) الذي يبعث الانسراح والحب والأمل، مما يعكس سخرية تجاه الواقع. وتستمر السخرية تجاه الوجود لتسحب على كل شيء:

ما يؤرقني حقا

سعال حذائي (الإرياني: 2006م: 36).

فالمرسل يعاني الأرق (ما يؤرقني حقا)، وغالبًا يكون الأرق بسبب معاناة نفسية تمثل انعكاس للواقع المعيش، لكن خيبة التوقع تتحقق للقارئ حين يتبين سبب أرقه، الذي يعبر عنه التركيب "سعال حذائي"، فتترأى الاستعارة الساخرة بإضافة أفعال الحي للجماد، فالسعال ظاهرة يختص بها الكائن الحي لكنها تخلع على الجماد (الحذاء) لتأدية دلالة السخرية في بنيتها العميقة.

المطلب الثالث: السخرية عبر التناص

يجعل الغذامي دراسته التطبيقية أساساً تنطلق منه؛ لتشكّل

لها. وتتمدد بنية التناص، في عمقها الساخر من خلال استدعاء "المثل الشعبي":
سوى الجنون
لا شيء يحررني من التفاصيل (الإرياني:
2006م: 32).

وفي هذه الدفقة الشعرية والشعورية رؤية فلسفية للمثل الشعبي (جنان يخارجك ولا عقل يحبك)، وهي فلسفة مزاحة يلجأ إليها المبدعون للتغلب على الواقع المتصلب الظالم، بوصف الجنون حالة نفسية ترفع عندها أقلام الله عن الكتابة، ويتوسم من خلالها المبدع أن ترفع أقلام السلطة كذلك.

في نص "جزء من نص البهلوان (2)، والشاعر هنا لم يؤرخ نصوصه وهو معذور في ذلك فآلة القمع كانت لا ترعوي في الظن والتفسير وربط تواريخ النص بالتاريخ الفاصل 1994م، لا يهمنا ذلك إلا في حالة أردنا إبراز دور الشاعر النضالي، علماً أن دوره يتكشف من المواقف الساخرة القوية تجاه الدوائر الموضوعية المحيطة به (من أصغر دائرة إلى أكبر دائرة)، فالنص شاهد لا يزايد ولا يقصر. في هذا النص يستهل المرسل بصورة كاريكاتورية كلية ساخرة تتكون من صور صغرى تكون في مجموعها الصورة الكلية:

سيشق صدرك البهلوان
ويستبدل قلبك بحرباء
ستشعر برغبة عارمة للقيء
فتقياً كرات قيح

وهو موضوع أساس في شعر السياسة، فثنائية (الكلام والصمت) معادلة صعبة، في ظل سلطة جبرية ظالمة، لا تريد الصمت المطلق الذي يؤرقها، ولا تريد الكلام المطلق الذي يزعجها، فتصنع من وحي ظلمها منظومة كلامية محددة تلزم الناس بها، وهذا ما يتنافى مع الشعراء الذين يتمرّدون على تلك المنظومة الظالمة بسبب قيم الحق التي ينشدونها، لكن القمع والعذاب والألم يميل بهم إلى اختراع حيل دفاعية تحقق لهم الرضا الفني من خلال قول ما يريدون دون الاصطدام، فيكون التغني بالصمت بوصفه مستفزاً للسلطة ولكن بطريقة أسلوبية يتم التناص مع ما يوافق وما يمرر رؤاهم:

لكني صمّت

لا بد أن تبقى سرّاً كي تتحقق

وألقيت حجراً ... (الإرياني: 2006م: 16).

الجملة (لكني صمت) تثير قمع السلطة تجاه المرسل، لكنه يحتال على هذا القمع باستدعاء موروث شعبي يبدد قمع السلطة ويرفع يدها، وذلك في قوله (لا بد أن تبقى سرّاً كي تتحقق)، التي تحقق التراث الشعبي القائل بعدم الحديث عن الأعلام التي تريدها لكي يحققها الله لك، ولعله يتواشج مع الحديث الشريف (أقضوا حوائجكم بالكتمان). وهنا ينقذ الاستدعاء المرسل من الاصطدام بالمنظومة القمعية بل ويبرر معارضته

ولفظه "كادح" تتحول إلى علامة سيميائية لنظام الكادحين الذي تم تحطيمه. والثاني: نهب الأراضي من قبل ثلة متسلطة وحرمان أبناء الجنوب منها: وتحمل (بصائر) موثقة عند قاض من النوع الثالث وكما وقفت مشعوذة المرأة سيقف ابن الشيخ يا بصيرة .. يا بصيرة

لفظة بصائر استعمال ذكي من المرسل؛ لأنها ألصق بالنظام القبلي الهمجى، قابل "الوثيقة" التي تمثل المدنية والحضارة، وتكرارها في المقطع يشير إلى هذا العبث، كما وثق هذا النهب السلافي من خلال التركيب (ابن الشيخ)، بوصفه المستحق الأبرز بعد سقوط الاستحقاقات الوطنية القائمة على المساواة، وقد شبهه بصورة ساخرة (كما وقفت مشعوذة المرأة). وتتوغل سخرية المرسل حد الإضحاك المؤلم من هستيريا نهب الأراضي: وقد تخلط بين صلعة أحدهم وأرض يتنازع عليها لص كبير ولص صغير مسعور ومسعور بين هبل واللات والعزى (الإرياني: 2006م: 66).

المطلب الرابع: السخرية عبر الرمزية
يسلك الشاعر "من خلال ذلك مسلًا شعريًا له دلالاته في عالم الشعر الحر

تفقس شيوخًا ومرافقيهم على صوالين تدهس وجهك الكادح (الإرياني: 2006م: 59). وتحمل (بصائر) موثقة عند قاض من النوع الثالث وكما وقفت مشعوذة المرأة سيقف ابن الشيخ يا بصيرة .. يا بصيرة (الإرياني: 2006م: 60).

هذه إحدى الصور الصغرى التي نقف عليها ونترك بقية الصور يتلمسها القارئ في الديوان، هذه الصورة الساخرة كانت ترجمة فنية لحال الجنوبيين بعد حرب عام 1994م، وقد بُليتْ عدن خاصة والجنوب عامة من نظام صنعاء بفعلين هما: الأول: اسقاط المدنية واحلال محلها النظام القبلي وهذا فحوى الجزء الأول من الصورة:

سيشق صدرك البهلوان
ويستبدل قلبك بحرباء
ستشعر برغبة عارمة للقيء
فتقيأ كرات قيح
تفقس شيوخًا ومرافقيهم
على صوالين تدهس وجهك الكادح
فالشق مستمر لزرع المخالف للطبيعة الإنسانية (ويستبدل قلبك بحرباء)، وتصل الصورة الساخرة ذروتها حين يبين أصل وجود الشيوخ العتاة، فقد جاءوا من كرات قيح (فتقيأ كرات قيح)، وهذه الكرات (تفقس شيوخًا ومرافقيهم)،

أفعى عانس)؛ فشبّه الجملة (في بلعوم) كانت العتبة الأولى للسخرية والمضاف إليه (بلعوم أفعى) كانت العتبة الثانية للسخرية، والصفة (أفعى عانس) كانت قمة السخرية.

المظان:

- محاولة للخروج من منفضة السجائر، عمرو الإرياني، مركز عبادي، ط1، 2006م.
- بنية الشعر العربي المعاصر، محمد لطفي اليوسفي، دار سراس، تونس، 1985م.
- تشريح النص، مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة، عبد الله محمد الغدامي، دار الطليعة، بيروت، 1987م.
- حصاد الهشيم، المازني، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2012م.
- عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر، كمال أحمد غنيم، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998م.

المعاصر الذي يطغى عليه النكوص إلى الغموض والإيجاز في محيطات الرمز" (غنيم: 1998م: 7).

أنا بخير
أعمل أجيراً في بلعوم أفعى عانس
أعد الموائد للقادمين من عظامي ليأكلوا
لحماً

ليشربوا خجل البُن (الإرياني: 2006م: 14).

فالرمزية قناع يتستر به المرسل؛ ليتجنب شر الآخر في الثنائية الأبدية (الظلم والعدل)، فيحتال من خلال الشعر ليمرر رؤاه بطريقة تَقِيهِ مصارع السوء، وتكشف تسلط القمع على الحريات، وحين تجتمع الرمزية مع السخرية يزداد قوة شعرية الرسالة على حساب الوظائف الأخرى. فالتكيب "أعمل أجيراً" يكشف حالة التعاسة التي يعاني منها المرسل، ولكنها في إطار الواقع ولم تقفز للمفارقة المدهشة التي تستدعي السخرية، وتبدأ السخرية الرمزية من التركيب (في بلعوم

انتماء

أ. أحمد قاسم دماج

أديب - ترأس اتحاد الأدباء

والكتاب اليمنيين لعدة دورات

عُدُّ لي
يصير الضوء مُهري
والزنايق كل أصحابي
وغصن الآس والزيتون أسيافي
وعُدُّ لي
نعتنق
ونراقص الأنداء والأضواء والطرب
الغشوم.
(4)
طارت بنا الذكرى
أفي تشرين تكمن روعة الذكرى؟!
أمر النسومات تختزن الأريج من البنفسج
ثم تأتي عنوة في موسم الذكرى؟!
أرى فيما أرى
الأشجار مُطَرِّقَةً
ووجه مدينتي جهماً
وأبصر في تجاعيد الجبال توثَّبَ الحنق
المقدس
ليت أن الفجر لم يكبْ
وأن الساح لم يخلْ
وأنني لم أشب ولم تجلني التجاعيدُ
الكثارا!

لا عَلَّمْ على "نقم"
و"صنعاء" نهب هذا الليل
لا نجم يلوح ولا جداول
أه من ليل يصادر توقها والروح!
وأه من شغفي ومني!
كلما ذهبت إلى أوجار هذا الليل
زاد تعلقي
وضممتُ عشقي
أه من "صنعاء"
ومني!
(3)
أيلول أبهى لحظة في العمر
من أين النفاذ إلى بهاءٍ سرمدٍ لا يزول؟!
كان الندى أعلامَ قافلة الرحيل إلى
الشروق
وملاعب الفتيان كانت مترعات بالغناء
وتقافز الصبيان من فرحٍ هناك زنابقُ
الروض المسيَّج بالزنود
يا فرح أيلول الذي لا ينتهي
عُدُّ لي
أصبُّك في حنايا الروح أنغاماً وحباً
والتياعا

سراب

عادل الصياد

شاعر يماني

هل	تَقَرُّ من أصابعي
وكيف لو	فلا أرى سوى الرّدى
ت ن ا ث ر ت	تقودني غمامة
ألملمُ الهواء	من الضجر
وأرتجي المطر	تطوف حيث لا أحد هناك،
تنز من وريدي الدموع	آخر المدى البعيد
يا حبيبتى،	والنهاية ..
ولم أر أخضرارها	تَقَرُّ من أصابعي
تَقَرُّ من صغارها	حمامة
ومن دوائر الخليل	ماردٌ يُبعثرُ السحابة
وهاجس عليل	التي ترتب الفصول
هذه السّهر	هنا انكسار العمر
تَمُرُّ من أمامه	يا حبيبتى
فيرتجف .	ومن هنا
أخاف ..	تُعادرُ الطيور
كم أخاف	وتُقرعُ الطبول بيتي العتيق
لو ،	ألف مرة تهدم
دواتنا تجف !	تَقَرُّ من أصابعي
((... وجدت أن الباء	تَقَرُّ من مخاليبي
لا يقوى على حمل الحقيقة	فأندم
والحروف جميعها عوجاء	أطارد السراب
وأن وقف الألف)) (1)	نحو بلدة بلا قمر
تَقَرُّ من أصابعي	وحقلها المعفر الدميم
ولن تطالها	يطارد الشجر
* إذا زلزلت الأرض	تفر
زلزالها *	من
اثبت وقف.	الى
(1) من قصيد للشاعر عبدالحكيم الفقيه.	متى وأين

حديث الشوق

محمد عبده أفلح *

وتَهْتَزُّ الفلاة	سَكَنُ اللَّيْلِ
.....	وَهَا تَأْمُرُ الوِشَاءُ
ما الذي جاء به الآن هنا؟	وَعَيُونُ الصَّبِّ
قاده العشق	يجفوها
وخاتته	السببُ
الجهاتُ	
.....	حركَ العودَ
تعزُّفُ الريحُ	وغني للهوى
له لحن صبا	وحديثُ الشوقِ
ورويداً عاد في	يرويه الثقاتُ
الصَّبِّ الحياهُ	
.....	ساري البرقِ
ليت شعري	إذا لآخَ له
هل له من زورة؟	خَرَّ مَعْشِياً
كله وجد وآه	وتعلو همهماتُ
والتفاتُ	
.....	وحدهُ والليلُ
أسقِهْ إكسِير	داجٍ حوله
عشقي خالدٍ	وبناتِ الجن في
من شفاه	الرقص حفاةُ
ريقها	
عذب فراثُ	راعهنَّ الخطبُ فاحتطن بهِ
.....	دعواتُ ..
بلسمُ الأرواح	صلواتُ ..
يا (ليلي) هما	أُمْنِيَاتُ ..
هكذا في الحب	
قد قال الرواةُ	يشهقُ الوادي
.....	وتهذي غيمهُ
(*) شاعر يميني	تذرف المزن

على ناصية الدهشة *

عبد الكريم الشميري *

(3)

كبرنا
ياامي
شاعت هزائنا
صرنا بعمرين
وقصيدة.

(4)

"ادهاش" (**)
مذهل تتراشقني العبارات.
تستكين على جذوة مقليل
في انتظار الفجر الاخير.

..

.....

(*) من ديوان الشاعر "على ناصية

الدهشة".

(**) من ديوان الشاعر "فيض وسناء"

(*) شاعر يماني

.....

(1)

ولي... حكايات
واقاصيص
من نزيه
ففي كل مرة
من يقرأها يراني
بعين حس أليم
ترى متى تقفلي اياها
الحكايات والاقاصيص
من لسده بقادر
ذياك الزيف..؟

(2)

من أين لك رونق القصيد
واتساع هاتين العينين
وبارق شهيقك ينير
الافاق شدوا
جميل من أين..؟

تين شوكي

سهير السمان *

إلى الطريق الترابية وحقيتي المدرسية
المصنوعة من القماش على ظهري، لم
أشعر بشيء بعد أن اخترقتها رصاصة
لتستقر في وسط صدري، وأنا ما أزال
ممسكا بأكياس التين.

يبدو أن وجهتي لم تتغير فقط إلى
المدرسة، بل تغيرت لأنتقل إلى مكان
مختلف تماما. يا له من صباح لم أردد
فيه النشيد الوطني ونجوت من حل
مسائل الرياضيات، ومن عقاب كان
ينتظرنني. فكان صوت الطلقة هو آخر
صوت سمعته هذا الصباح.

كان شيئا مفاجئا، لم أتعرف على
قاتلي، وظللت مرميا على الطريق، كأنه
يرفض مغادرتي، فهل ستعرف الملائكة
أنني لست المقصود بتلك الرصاصة؟
هل سيعيدونني إلى فصلي الدراسي؟
لم يأخذوا رأيي في الموت، كما لم
يؤخذ حين أتيت إلى هذا العالم. ولم
يسألني أحد بماذا كنت أحلم، كأسئلة
الدروس التاريخية التي تلقى علينا
دائما، والآن وبعد أن تهربت من حل
أسئلة الرياضيات، يبقى عليّ الإجابة
عن أسئلة أخرى.

أقطع الطريق المعتادة من منزلنا
إلى المدرسة، طريق ترابية ترتفع كلما
تقدمت خطواتي، ينتشر على جانبيها
التين الشوكي، أسير بقدمين شبه
حافيتين، وبزيّ مدرسي لا يختلف لونه
عن لون نبات التين الشوكي، فحين
أسير كل يوم إلى المدرسة بين هذا
النبات، أشعر وكأني صبير تين معلق
يوشك أن يقع ذات يوم، ولكني اليوم
وقعت في فخ المسائل الحسابية التي
لم أستطع حلها يوم أمس، وأعتقد أنني
سأنال حصة لا بأس بها من العقاب.
أفكر ألا أكمل طريقي إلى المدرسة،
فالعصا في انتظاري وستُلهب كفيّ
الباردتين، وقد تتورمان ولن أستطيع
الإمساك بالقلم طوال اليوم، قررت أن
أتجول بين هذا النبات الشوكي، وأجمع
بعضا منه، فأخذت بعض الأكياس
البلاستيكية المنتشرة على الأرض،
وغطيت كفيّ بأحدها لكي لا يلتصق
بها الشوك وأنا أجمع الصبير، وعندما
امتلاء الكيس فكرت أن أبيعته أمام بوابة
المدرسة بعد خروج الطلاب، كتعويض
لي عن يومي المدرسي الضائع، وعدت

الخطأ، وما علمناه الآن أن شخصا آخر
يجب أن يكون في مكانك.
فقلت لهما:

- وما يبدو لي أنكما لا تعرفان غير
إجابة واحدة في هذا المكان، حفظتماها
منذ الأزل، ولكن يجب أن تتقبلا الإجابة
المختلفة الآن.. وهي أن الموت كثير ما
يخطئ هنا.

(*) كاتبة وقاصة، اليمن.

هنا في قبري الصغير الذي وضعت
فيه بالقرب من شجرة التين، لن أرفض
الإجابة على أسئلة الملكين!

- ما اسمك؟
على أية حال أتمتع تعرفون اسمي.
- وعمرك، فيما أفنيته؟
- أي عمر؟ ... ها... تذكرت ... عشر
سنوات فقط، فُنيت فجأة.
كان الملكان يهمسان بشيء لم
أستوعبه، ولكنهما قالا لي أخيرا:
- يبدو أنك جئت إلى هنا عن طريق

ما تيسر لحلم

سمير عبد الفتاح *

تقسيم الخبز إلى قطع صغيرة وغمسها في كأس الشاي، وتعود الصورة للحركة مع تأكيد اليدان من فراغ ورقة الجرائد من الخبز ومن وضعية الجزء الأكبر من قرص الخبز في الجيب؛ فينهض الجسد وتتضح قامة الجسد القصيرة، يميل العنق للأسفل دافعاً العينين للاكتفاء بتحديد بضعة أمتار فقط أمام القدمين ليتحرك الجسد خارجاً من المقهى.

اليدان المتهذبتان تعبران الزقاق المقفل من أحد طرفيه، القدمان تأخذان مسارهما بخطوات هادئة رتيبة كأنهما تنطبقان على مكان خطوات الأيام السابقة.. أمام المقهى تنعطف القدمان يميناً وتدخلان في كوة المقهى، وبدون حوار يُوضع أمام صاحب الجسد الضئيل -على الطاولة المقابلة لأواني صنع الشاي- كأس الشاي فتتمد اليدان المتهذبتان وتحملان الكأس الممتلئ بالشاي الممزوج بالحليب، أصابع اليد اليمنى تحمل الكأس من الأعلى وراحة اليد اليسرى تسند الكأس من الأسفل.. القدمان تختاران طاولة الزاوية البعيدة

اليدان المتفرعتان من الجسد الضئيل تنسكبان بصمت في الفراغ وتحطان على أحد قرصي خبز موضوعان على الطاولة وتقسمانه إلى جزأين غير متساويين، وبعد أن تلف يد الجزء الأكبر من قطعة الخبز بورقة جرائد وتضعها في جيب السترة تقسم اليد الأخرى قطعة من الخبز من الجزء الصغير ثم تغمسها في كأس الشاي، وتقطع اليد المسافة بين الكأس والفم بهدوء، وتعاود اليدان أخذ قطع صغيرة من الخبز وغمسها بالشاي.

العينان المحدقتان في الأمام بدون تحديد تُدخل الخبز وكأس الشاي والطاولة الحديدية القصيرة ضمن الصورة، الجزء الأكبر من الصورة -أمام العينين- احتلتها أرضية المقهى الواقع في زقاق مقفل من أحد طرفيه وتحتل جانبيه مطاعم شعبية. العينان تهتمان بالخبز والشاي بمقدار إرشاد اليدين إلى مكانيهما وتحدران للأسفل بحثاً عن تفاصيل غارت في الذاكرة منذ زمن بعيد.

تتجسر الصورة واليدان تعاودان

بالتجاعيد يدخل عبر فتحة الزقاق بخطوات هادئة رتيبة، وبعد أن يمر -صاحب الجسد المتهدل- من أمامه يتبعه بعينيه وهو يدخل كوة المقهى، وينتظر حتى يخرج ومعه كأس الشاي ويجلس على الطاولة البعيدة فيحمل قرصين من الخبز ويضعهما أمامه. اليد تضع الجزء الأكبر من أحد القرصين في الجيب ليكون وجبة للعشاء، بينما بقية القرص والقرص الثاني مع الشاي يشكلان وجبة الغداء.

الحركة داخل الزقاق المقفل من أحد طرفيه تبدأ بالانحسار مع اقتراب الظهيرة من الانتهاء. أقدام شخصين تقطع المسافة بين أحد المطاعم والمقهى لشرب الشاي.. صوت إغلاق أبواب المطاعم تتوالى. الشمس تحدر عن المقهى، صاحب الجسد الضئيل يظهر عند بداية الزقاق.

البرد القادم على عجل يحيط بالجسد الضئيل.. البرد الذي غطى الجو برداء أبيض يردد بأنه لا مكان اليوم لاقطاع جزء من قرص الخبز للعشاء وصاحب الجسد الضئيل يعبر الشارع باتجاه الزقاق المقفل من أحد طرفيه.

.....

(*) قاص، وروائي يمني.

الواقعة في مدى عين بائع الخبز الذي يتناول من الطبق أمامه قرصين من الخبز ويضعهما على الطاولة الحديدية أمام صاحب الجسد الضئيل ونفس اللغة الصامتة تحكمهما؛ فيمد صاحب الجسد الضئيل يديه ويقسم أحد قرصي الخبز إلى جزأين غير متساويين، يضع الجزء الأكبر في جيبه بعد أن يلف قطعة الخبز بورقة، والقرص الثاني والجزء الصغير من القرص تقطعهما اليدان وتغمسان القطع في كأس الشاي، والصور التي تتأملها العينان محصورة في الطاولة الصغيرة، وأرضية المقهى، وتفاصيل الذاكرة القديمة.

الشمس تتخلص من قيظ الظهيرة.. بائع الخبز يرتب أقراص الخبز على طاولة كبيرة أمام المقهى في الزقاق المغلق من أحد طرفيه.. عامل المقهى يحمل الأكواب الفارغة إلى داخل كوة المقهى، ثم يمسح الطاولات الحديدية من بقايا الشاي الذي انسكب من بعض الأكواب. المطاعم الصغيرة التي تجاور المقهى تغلق أبوابها بعد انتهاء موعد وجبة الغداء. زبائن المقهى يتغيرون باستمرار باستثناء حوار طويل بين شخصين.

عينا بائع الخبز تنكسران قليلاً مع لمحاه للجسد الضئيل والوجه المليء

تعز

عوالم جمال .. ومعالم دهشة

إعداد:

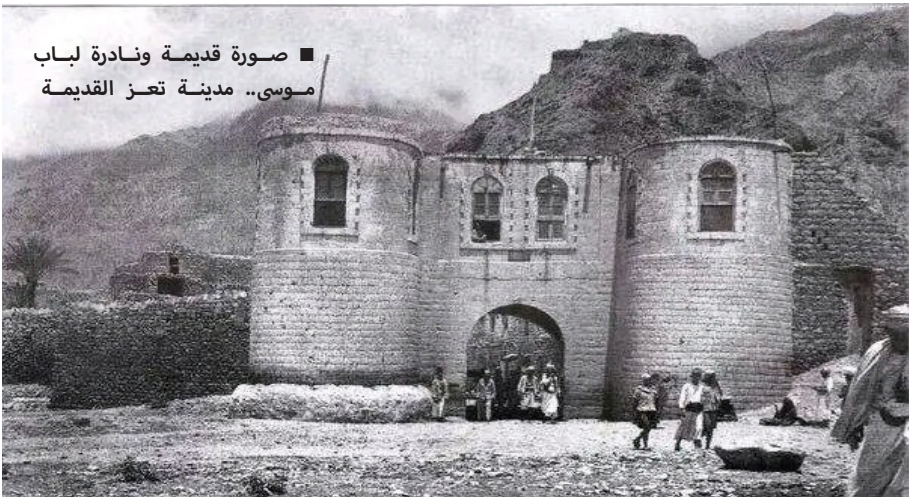
عبد الواحد السامعي *

■ صورة لجانب من مدينة تعز،
وتظهر فيها قلعة القاهرة - كشاهد
حي على حضارة مرت هنا

تسمية مُلتبسة:

تباين المرويات التاريخية في تحديد سبب تسميتها، فبعضها أشارت إلى أن "عَزَّ" بفتح التاء، وخفض العين، وتشديد الزاي مع الضم، يعود للجذر اللغوي "عَزَّ"، وتعني العلو، ويكثر استعمال الاسم في لغة المعافر خصوصاً في المضارع، ودلت المرويات على ذلك بوجود قمم جبال كثيرة سُميت "عزان" مثل: جبل عزان في قدس، وجبل عزان في صبر، ورأت مرويات أخرى إنها مأخوذة من لفظ العِزَّ "عز العز"، لكن أغلب المصادر أشارت، بوضوح، إلى أن "ذي عُدنة" هي التسمية السابقة المعروفة لمدينة تعز الحالية، وإنها تصغير لكلمة عدن، وأرجعت السبب إلى أن التجار العدنيين كانوا يتخذونها منتجاً سياحياً لهم، في الجانب الآخر تُرجع إحدى الروايات التسمية إلى حادثة

نهاراً وأنت تُحدِّق فيها من أعلى قمة بجبل صبر، ستبدو إليك أشبه بعقدٍ نفيس، تناثرت حَبائهُ بامتداد الأفق، وتوزعت في مختلف الأرجاء "شوارع، حارات، أزقة، بيوت بمشريات ونوافذ متعبة" في تناغمٍ آسرٍ، استطاع- يادهاش عجيب- دمج حاضِرٍ، يكتوي بتناقضاته، مع تركة ثرية لحضاراتٍ متعاقبة طويث، ولم يبقَ منها سوى ذاكرة ممثلة بإرثٍ ناصع ومعالَم خالدة، تضوع منها رائحة عتيقة لمكان ظلَّ لقرونٍ عديدة منارة إشعاعٍ حضاري في شتى مجالات العلوم والمعرفة، يأبى أن يشيخ، أو يصير هامشاً في جغرافيا رحيبة لبلدٍ تتعدّد مَخالفه ومُدنه، و تنزوي بين دفتي تاريخه دولٌ وممالكٌ وسلطناتٌ مرّت، وتركّت فضاءاتٍ رحبة من الألق والكمال، ونقيضهما رُبّما.



■ صورة قديمة ونادرة لباب موسى.. مدينة تعز القديمة

أن أول إشارة إلى تعز يدُلُّ على مسمى مكاني كانت في النصف الأول من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي عندما بادر السلطان عبدالله بن محمد الصليحي - شقيق الملك ومؤسس الدولة الصليحية - ببناء قلعة القاهرة، و كان بعض الاختصاصيين قد وجدوا نقوشاً حميرية بجدران صاج البخور بأسفل القلعة تثبت أن المكان بين جبل صبر والمدينة القديمة كان معروفاً باسم "تاووس" أو "تاعوز"، وهو إله الخصب والحب، وأشار الشاعر العربي بدر شاكر السياب في رسالة شهيرة له إلى أن "تاعوز" هي مدينة تعز الحالية ((... ويروي لنا بعض المؤرخين أنه رأى أهل حوران يكون إله الخصب والحب "تاعوز" أو "تعز" وما زالت إحدى مدن اليمن تسمى به)).

موقع وريادة:

تقع مدينة تعز في المرتفعات الجنوبية، وتحديداً في شمال شرق سفح جبل صبر، الذي يبلغ ارتفاعه نحو (3000 متر) عن سطح البحر، وتبعد عن العاصمة صنعاء مسافة (260 كم)، فيما تفصلها عن مدينة عدن مسافة (167 كم). وتعد العاصمة الإدارية لمحافظة تعز، وتنقسم إلى ثلاث مديريات: المظفر، القاهرة، صالة، غير أنها - مع ذلك - تعد إحدى أكثر المدن

بعينها، فبعد ضم عبدالنبي - نجل الملك علي بن مهدي بن محمد الرعيني - لعدينة، واجتياحه لكثير من مناطق الشمال، كيريم، والضالع، والبيضاء، والوصابين "وصاب العالي، ووصاب السافل" شعر السادة القرشيون بصنعاء بقلق بالغ، ويقال أنهم استعانوا بالسلطان صلاح الدين الأيوبي لغزو اليمن، وأن دعوتهم وافقت هوىً في نفسه، فأرسل جيشاً كبيراً بقيادة شقيقه توران شاه، ودارت حول "ذي عدينة" معارك ضارية، انتهت بهزيمة عبدالنبي وقوائمه، واحتمائه بقلعة القاهرة، فحضر الأيوبيون حولها حصاراً خانقاً، حتى أُجبر على التسليم والخروج منها مصطحباً ذريته وحاشيته بثيابهم ورواحلهم، فخطب عبد النبي المدينة متحسراً:

تَعَزُّ يَا عُدَيْنَةَ جَنَّةُ

تُفَارِقُهَا قَسْرًا وَأَدْمَعُنَا تَجْرِي

فالتصق بها الاسم، وصارت تسمى تعز. وخالف "كارستن نيور" هذه الرواية، مشيراً إلى أن أصل التسمية يعود إلى وِلي، وسُمي ولي تعز، مؤكداً أن "الولي الذي يحمي المدينة هو إسماعيل مُلك". ورغم ذلك لم يرد في المصادر التاريخية ما يشير إلى هذا الاسم.

فيما ذكر الباحث فيصل سعيد فارح في كتابه "تعز.. فرادة المكان وعظمة التاريخ"

باتجاه باقي حارات "حوافي" المدينة ستمر بجامع العرضي، ثم الأشرف، مروراً بسوق الصميل، وسوق الأشبط، أو أنك، وهو الخيار الآخر، ستفضل الانحناء يساراً متجهاً نحو حارة المستشفى الجمهوري، والهبوط أسفل حيث يريز وادي المدام عند سفح قلعة القاهرة، وصولاً لحارة المظفر، ومنها الشنيتي، وسوق الباز، وحولهما حارسان "الباب الكبير، وباب موسى" فتحا ذراعيهما منذ مدة لمرور الأشياء، فلم يعد هناك ما يدعو للريبة والتوجس، وقد تستسلم لرغبتك وتضرب عصفورين بحجر؛ "إشباع جوعك، وأخذ قسط من الراحة" وأنت تقرر تناول مدرة فول عند "علي مدرة" مع كامل جهازها. بعدها ستدنو من حارة التحرير الأعلى، وحين تكمل آخر خطوة فيها تنزلق للضبوعة وعصيفرة، وإن فضلت الاستدارة، فستمر محاذياً لجامع العريدي وقبة الحسينية، وتصعد حارة الميدان، وتلج باب النصر، أو تتجه بسرعة للنسيرية، وتقرأ ماتييسر من القرآن بمقبرة الأجنات، ولك الخيار بعدها، إما التوجه لحارة المصلى، والانحدار نحو حارة المسبح، ومن ثم مشاهدة الحارات الجديدة في الأسفل، كحارتي وادي القاضي والبعرارة من هناك، أينما وجهت قدميك فثمة تعز؛ سجاد أخضر يحتويك، وذاكرة مفعمة بتاريخ وإنسان لا يمكنهما الاستلقاء إلا ريثما يتمكنان من النهوض مجدداً.

اليمنية كثافة سكانية، كما أكسبها موقعها ميزة أخرى، إذ تعد ثاني أغزر المدن هطولاً للأمطار بعد مدينة إب. حاضراً تحظى مدينة تعز بمكانتها المتفردة بين مختلف المدن، كونها عاصمة ثقافية لليمن، وثالث أهم المدن بعد مدينتي صنعاء وعدن، وتنتمي إليها النخب المؤثرة في مجالات: السياسة، والفكر، والاقتصاد، والأدب ... إلخ، كما لعبت دوراً ريادياً مهماً طوال تاريخ اليمن، قديمه وحديثه، وكانت مركزاً حضارياً مؤثراً منذ القرن السادس الهجري، ولعل أهم حقبة التاريخية هي تلك التي كانت فيها حاضرة لليمن إبان حكم الدولة الرسولية.

سجاد أخضر:

وأنت تحت الخطى لاستكشاف دروب المدينة وأزقتها، فأنت ساعتها، تكون قد ولجت تاريخاً مر هنا، ولا يزال عبقه يقطر عذوبة بكل زاوية و"حافة" من "حافاته" القديمة، كما يشهد بخصيصة تعزية جامعة.

أن تَفِدَ من ثعبات باتجاه المجلية أو الجحملية، فثمة تاريخ عظيم أسفل كل خطوة تخطوها قدمك، وهناك نَفَسٌ يحوم حولي مكان لا يزال دافئاً بشخصه وأحداثه. المرور بالجحملية سيقودك لتذوق شاي "مخسو"، و تأمل سوقها الشهير، وبائعيه وبائعاته، اللواتي يتنزلن من صبر كل صباح مثل قطرات طلٍّ، وحينما تتدحرج

سحر ونفاسة:

فيإمكانك إيجاد كل ما تبحث عنه، وبعلامة جودته التعزية، بدءاً من المشغولات اليدوية الفضية، والنحاسية، والخزفية، والفخارية، والجِدادة، والعطارة ... إلخ، وذلك ما يجعله متحفاً تاريخياً نابضاً بالحياة والديناميكية.

تنتشر أسواق تعز الشعبية في نطاق المدينة القديمة، وتغدو واحدة من المزارات الهامة التي يجب دخولها لاستكشاف أحد الوجوه التي تميز تعز عن غيرها، وتكسيها فرادةً ونفاسةً وسحرًا.

سوق الشنيني:

أحد أشهر الأسواق الشعبية القديمة في تعز، وينسب إلى الشيخ الصالح عفيف الدين عبدالله بن محمد الشنيني، المتوفي عام (804هـ) مع بداية حكم الملك الناصر بن الأشرف الثاني، ويمتد الشنيني من الباب الكبير وحتى باب موسى، وقد ارتبط هذا السوق بذاكرة أبناء تعز، من خلال خصوصيته، ومعرضاته النادرة، التي لن تحصل عليها في غيره من الأسواق،

سوق الباز"الجمهورية":

ليس ببعيد عن الشنيني، فهو ملاصق له، ويتوازي معه، إذ إنه مثله تمامًا، يأخذ نفس المساحة بين بابي موسى والكبير، لكنه اختص بمجال الأقمشة "الباز"، وظلَّ إلى ما قبل عقدين من الزمن سوق الموضة والجمال، بما يحويه من أقمشة، وأدوات تجميل رخيصة ظلت تهوي إليها أفئدة العشاق من مختلف أرجاء المحافظة، والمقبلون على الزواج، أو أولئك الذين



■ جامع الأشرفية بمأذنتيه ..
فسيفاء دولة الرسولين

والتي تحرص أسرُ بعينها على امتنانها، وتتحدر غالبيتها من أصول أصابية. كما تشتهر دون غيرها من المدن بصناعة الجبن البلدي، المأخوذ من حليب الأغنام والأبقار، وينقسم إلى نوعين: المالح، والعوب، ويعد وجبة شهية مفضلة لدى غالبية اليمانيين، ويتوزع بأبعوه في أسواق خاصة، مثل: باب المخلولة، الشني، سوق باب موسى. فيما تنتشر معاصر زيت السمسم "سليط الجلجل" التي تقوم بطحن وعصر السمسم، بآلة خاصة تستمر بالدوران، ومن ثم يتم فصل الزيت عن المادة الصلبة المتبقية التي تقدم كعصارة للحيوانات، إلا أن هذه المعاصر تقلصت، وصارت أعدادها لا تتعدى أصابع اليدين، نتيجة المنافسة الشديدة من الزيوت المستوردة، الأمر الذي يهدد باندثار هذه المهنة.

شهرة عابرة للحدود:

لم تقف شهرة تعز عند حدود المحلية، بل تجاوز الإعجاب بها، والافتتان بخصوصيتها الآفاق، ونالت ما لم تنله مدينة من المديح والإطراء ممن وطئت أقدامهم ثراها، وتكحلت أعينهم برؤية بسايتها وسواقيها ومآثرها الفريدة؛ إذ قال عنها ابن بطوطة حين زارها في عهد الملك المجاهد الرسولي في عام (٥٧٧٩هـ) بأنها أحسن مدن اليمن وأعظمها، كما وصف ياقوت الحموي قلعتها بأنها قلعة عظيمة من قلاع اليمن المشهورات.

لا يزالون بأمس الحاجة للإحساس بنشوة ما تركه قطعة قماش "كُرمبلي، وأبو تال" أو كريمات الوالين، أو روائح عطرية لمراكات بطور: جنة النعيم، وروح الروح... إلخ، تلك المطالب المتيصرة لإنسان لم يكن بتعقيدات إنسان المرحلة الراهنة، ولكن وبكل أسف بدأت حوانيت القماش وأدوات التجميل الرخيصة بهذا السوق تتنصل عن تاريخها لقائمة جديدة من السلع، كالسلاح، والصرافة، وما بينهما من منتجات، لا تفوح منها رائحة دخان عود الناد المحترق، أو يزينها قوس قزح أقمشة بسيطة وزاهية.

سوق اللقمة:

تفصله عشرات الأمتار عن الباب الكبير، ويقع بالقرب من سوق "الشني، الجمهورية"، وهو سوق مخصص لبيع مختلف أنواع الحبوب المنتجة محلياً، ك"الذرة البيضاء، الدخن، الغرب، الدجر، الشعير" وفي زواياه يُباع الخمير التعزي الشهير، إضافة إلى الملو، والكدم، والروقي، كما تتواجد بالقرب من مخرجه أشهر المطاعم الشعبية، ويُعد مقهى "السعي" أحد أشهر مقاهي الشاي الأحمر، بنكهته وتحويلته التي لا تقاوم.

منتجات بمذاق تعزي:

تتميز بعض أسواق تعز بوجود شرائح تتمتع منها خاصة بها، وتحافظ على عدم انقراضها، ومنها مهنة الجدادة،



من مرض الكوليرا المنتشر آنذاك في اليمن، في كتابها "كنت طبيبة في اليمن" قسوة الحال وجمال المكان، مؤكدة أنها وجدت تعز منطقة إقطاعية زراعية، يُدّيق فيها الإمام الرعية أسوأ العذاب، من خلال الجباية المفروضة. وتحدثت عن تعز كمدينة "تحيط بها أسوار قوية من الطين، ويعلو المدينة القديمة تل عليه قصر حصين يُسجن فيه الرهائن".

في البدء كان الحصن:

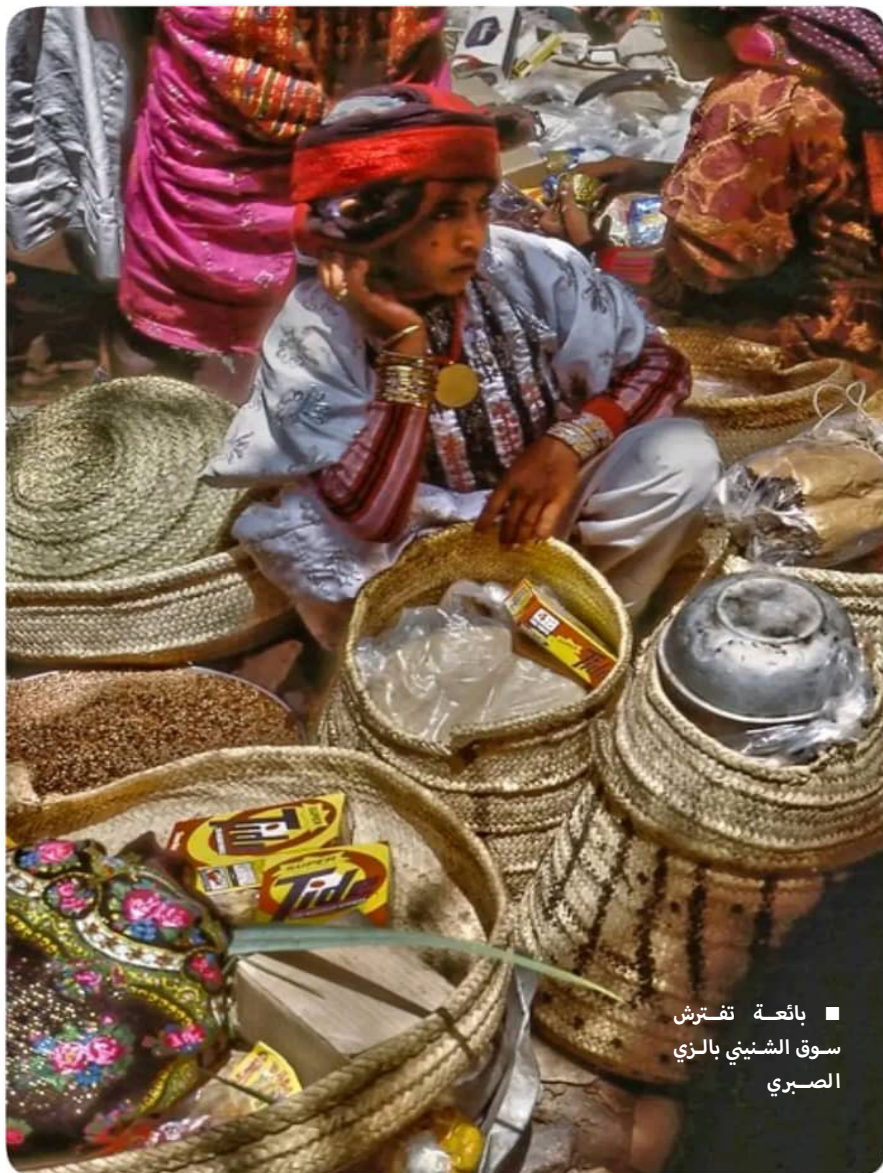
يتفق المؤرخون بأن مدينة تعز لم تُعرف كمسمى مكاني إلا في القرن السادس الهجري، في عهد الدولة الصليحية عندما شرع السلطان عبد الله بن محمد الصليحي - شقيق مؤسس الدولة الصليحية - ببناء قلعة تعز "القاهرة حاليًا" في منطقة استراتيجية، تجمع بين فائدتين: المنعة، والتوسط في آن واحد؛ إذ

وذكرها ابن المجاور "تعز قلعة حصينة، وليس في جميع اليمن أسعد حصنًا منها - مؤكدًا - إنها قلعة وُضعت بين مدينتين، إحداهما المغربية، والثانية في لحف الجبل" ويقصد بذلك ثعبات.

وحين زارها الروائي العالمي نجيب محفوظ، ضمن وفد إعلامي، بعد ثورة السادس والعشرين من سبتمبر 1962م، وإثر عودته من محافظة مأرب، وصفها قائلاً "من المناظر التي لا تنسى منظر تعز ... وبعد مرورنا أياماً لم نرَ فيها غير الجبال والصحراء والجفاف وجدنا أنفسنا في أرض كالجنة ... جبال عالية مكسوة بالخضرة"، وبحسب الروائي المصري يوسف القعيد، فإن نجيب محفوظ أكد بأنه لم يَر في حياته أجمل من عيون صبايا تعز. ولخصت الطبيبة الفرنسية "كلودي فايان"، التي جاءت إلى اليمن عام 1951. للعمل كطبيبة متطوعة في معالجة اليمنيين

محطة متوسطة بين جباً، والجند، وزيد، وعدن، وترافق مع عملية البدء ببناء القلعة توافد السكان من مختلف الجهات،

تتربع أعلى أكمة شاهقة بين حصني صبر والتعكر، ما يجعلها حصناً منيعاً يصعب اختراقه بسهولة، كما أكسبها ميزة أن تكون



■ بائعة تفتش
سوق الشنيي بالزي
الصبري

حظيت تعز باهتمام كبير، وشهدت ازدهارًا مطردًا في مختلف الجوانب، إضافة لعمليات توسيع كثيرة، وكانت فترة حكم الرسولين الممتدة (858-626هـ/1229م) أزهى حقب تاريخ المدينة نموًا وتطورًا، حتى أن بعض المؤرخين أكد اتساع مساحتها -آنذاك- إلى أكثر من خمسة هكتار ونصف.

معالم باذخة بالجمال:

مدينة تعز غنية بالمآثر والمعالم التي تحكي شموخها وتاريخها المشرق طوال حقبة المتابعة، التي كانت فيها حاضرة أو مدينة هامة لممالك تناوبت حكم اليمن، ك"الأيوبيين، الرسولين، الصليحيين، الطاهريين، المماليك، العثمانيين، الأئمة الزيديين"، وتعكس هذه المعالم اهتمام ملوك وأمراء هذه الممالك - وعلى وجه الخصوص الرسولين - بالعلم، ومدى البذخ والترف الذي انعكس في نقوش ومعمار وزخارف تلك المآثر.

قلعة القاهرة:

تطل على تعز من قمة مرتفع صخري يبلغ ارتفاعه (1500مترًا)، وتعد واحدًا من أهم معالم تعز، باعتبارها معلمًا شامخًا لماضٍ حافل بالأحداث، ومتوج بالعزة والقوة. وتُقدر بعض المصادر التاريخية عمرها بألف عام، وتعيدها إلى

واستقرارهم بسفح القلعة "الحصن"، ليمثل هذا التجمع نواة أولى لمدينة تعز، وميلاد مكان سترك بصمته على ما حواليه من مدن وأمكنة لقرون قادمة.

توران شاه مؤسس تعز:

تؤكد وتتفق مصادر تاريخية عديدة أن توران شاه - شقيق السلطان صلاح الدين الأيوبي - هو مؤسس تعز، فبعد مكوثه في زبيد لأشهر - عانى فيها وأهله حرارة المكان- فضل البحث عن منطقة معتدلة، لاتخاذها معقلا لحكم الدولة الأيوبية في اليمن، فانطلق، إثر ذلك، متفحصاً المناطق الجبلية، ليستقر قراره على اتخاذ أسفل قلعة تعز "القاهرة" مكاناً لإقامته، وإدارة شؤون الدولة منها، إلا أن إقامته فيها لم تتعدَّ الأعوام الثلاثة، وأثناء مغادرته أكل مهمة استكمال بناء المدينة لأخيه سيف الإسلام "طغتكين"، وبالفعل فقد قام "طغتكين" باستخراج الأنهار، وتشيد القصور والدور، وتزيينها بالبساتين المترامية، حتى قيل أنه أرسل لمصر طالباً غروس بعضها، "حسب ما ذكره الباحث محمد بن محمد المجاهد في كتابه "مدينة تعز.. غصن نضير في دوحة التاريخ العربي".

وحين انتقل الحكم من الأيوبيين إلى الرسولين في عام 1229م وإعلانها من قبل الملك المظفر حاضرة لمملكة بني رسول،

من الفرسان السير عليه، وينتهي طرفاه إلى مرتفع وعز منفصل عن جبل صبر تقع القلعة في قمته".

ويضم سور المدينة الضخم خمسة أبواب هي: الباب الكبير في الجنوب، وباب موسى الذي يقع بالقرب منه، وينسب إلى الشيخ موسى بن عجيل الذي بنى مسجدًا خارج السور عند مدخل مقبرة الأجنات، والتي تعد المقبرة الرئيسة للمدينة منذ عهد الرسولين، ولا تزال قائمة حتى اليوم، وهذان البابان "باب الكبير و باب موسى" يقعان على طريق المخا وصنعاء، ويعدان المدخلين الرئيسين للمدينة، وهناك بابان آخران هما: باب المداجر، ويقع في الجنوب الغربي، وكان مخصصًا كمدخل للمدينة من اتجاه الحجرية؛ باب النصر، وعُرف سابقًا بباب الدّمة، ويوجد بجنوب المدينة، ويؤدي إلى قلعة القاهرة مباشرة، وخامس هذه الأبواب؛ باب المخولة. وتضيف بعض المصادر بابًا آخر هو: باب السائلة.

قبة الحسينية:

هي عبارة عن ضريح يعود إلى عهد الدولة العثمانية، وتعد تحفة هندسية ومعمارية نادرة، يمتزج فيها جمال المعمار اليمني بفن المعمار العثماني.

ضريح الشبزي:

وهو قبر لحاخام يهودي يدعى شالوم

عهد الدولة الصليحية، فيما يؤكد بعض اختصاصيي الآثار بأن بناءها يعود إلى عصور ما قبل الإسلام، وتحديدًا إلى عهد الدولة الحميرية.

سور المدينة وأبوابها:

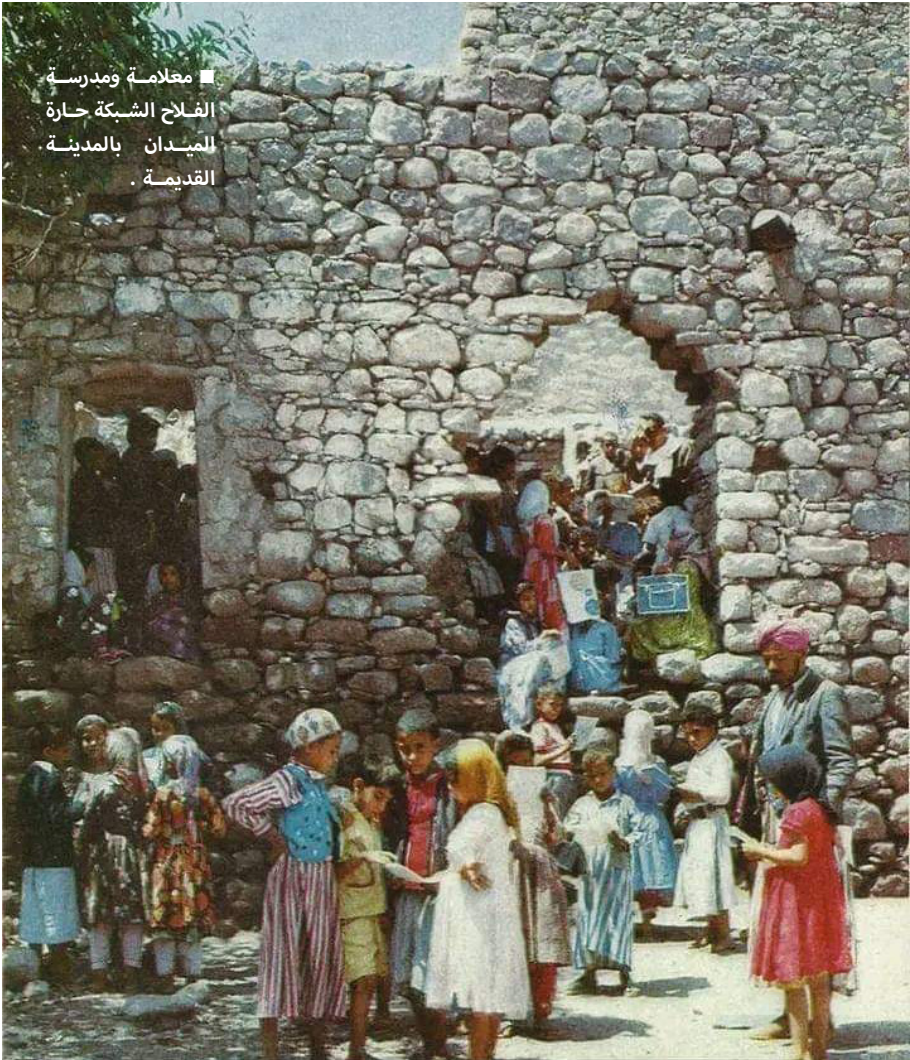
أشارت المصادر التاريخية إلى أن تعز لم تكن محاطة كليًا بسور واحد في عهد الرسوليين، إلا أنها أكدت بناء أسوار ببعض أحيائها في الحُقب التي شهدت اضطرابًا سياسيًا، مثل سور حي الجميلية، الذي بناه السلطان المجاهد بشرق عُدنة وحول حبييل المُجلية، كما شيد السلطان مسعود - آخر سلاطين الرسوليين- أسوارًا أخرى على مرتفعات السراجية غرب المدينة.

بعد استيلائه على المدينة شرع الإمام المطهر ببناء سور عظيم للمدينة وكان ذلك في عام (1536م)، واستغرقت مدة بنائه سبعة أعوام، وهو زمن يشير إلى ضخامته، وقد وصف "كارستن نيور" - في القرن الثامن عشر- تحصيناته بالقول "سمكه بين (16 - 30 قدمًا)، وهو أيضًا مدعم بأبراج صغيرة عديدة، وتغطي طبقة رفيعة من الحجر الجزء الخارجي منه، أما الجزء الداخلي فهو مبنٍ يلبن من الطين المجفف في الشمس"، وقد أوضح عالم النباتات الفرنسي "بول إميل بوتان" اتساع هذا السور "المدينة محاطة بسور واسع نسبيًا، بحيث يستطيع عدد

شبازي "سالم بن يوسف الشبزي (1619-1720م)، يقع بحارة المغربية، في الجهة الشرقية لقلعة القاهرة، ويعد أبرز رجال الدين اليهود في اليمن، كما إنه أحد شعراء اللون الحُميني، وكتب الشعر باللغتين العربية والعبرية.

قصر صالة:

بناه الإمام أحمد حميد الدين في خمسينيات القرن الماضي، وهو أحد أهم وأكبر المباني التاريخية، يحتوي على (360 غرفة)، إضافة إلى الملحقات الخاصة به،



■ مغلّمة ومدرسة
الفلاح الشبكة حارة
للميدان بالمدينة
القديمة.

كما تتواجد قصور أخرى، كقصر العُرضي، وقصر البدر، ويرجعان لحقبة المملكة المتوكلية.

شموخ المظفر يحتضر:

جامع ومدرسة المظفر، بناه الملك المظفر يوسف بن عمر الرسولي في عام (650هـ)، ولا يزال منتصباً وشامخاً بمأذنة وحيدة متبقية بعد انهيار الأخرى، يمتاز بقبابه الـ(28)، تصدر ثلاثاً منها واجهته القبلية، فيما تتوزع بقيتها على مساحة كبيرة، تشمل الحمامات المرفقة، وبعض الأقسام الأخرى، وفي أسفل الجامع تقع المدرسة الملحقة به، والتي عُثر عليها مع المقبرة الملكية صدفة في عام 2006م بعدما ظلتا مجهولتين لقرون.

الأشرفية والمعتبية:

تؤكد معظم المصادر والنقوش الموجودة في المدرسة الأشرفية أن البدء بنائها يعود للعام (800/1397م) بأمر من الملك الأشرف الثاني إسماعيل بن الملك الأفضل عباس، كجامع يحتوي على مدرسة دينية، وتشير تلك النقوش إلى تزامن وفاته مع افتتاح المدرسة بعد الانتهاء من أعمال البناء في عام (803هـ) وترافق البدء ببناء جامع ومدرسة الأشرفية مع الشروع ببناء المدرسة المعتبية بأمر من زوجته الأميرة "جهة الطواشي معتب بنت عبدالله".

عادات ومناسبات:

تتميز تعز بطقوس خاصة في مناسباتها، ففي الأعياد - على سبيل المثال- تبدأ طقوس الابتهاج والترحيب به منذ مدة، من خلال شراء الكسوة ولوازم العيد، وتُعطى الأسر الأولوية لشراء ملابس للأطفال، وفي ليلة العيد لا ينام الأطفال "ذكوراً أو إناثاً" عادة، فيما يُفَضِّل الشباب التجمع في أحياء المدينة، لتبدأ طقوس العيد بخروج الأطفال والشباب للمعايدة على الأهل والجيران، وفي الغالب يتحصل الأطفال على العيادية.

لا تزال هناك خصوصية تمتاز بها الأعراس في تعز، إذ تُدشن فعاليات الاحتفاء بالعروس قبل (4-7 أيام)، وتبدأ يوم الحنّاء، وتستمر احتفالات النساء بشكل يومي، يرتدين يوم زياً تقليدياً لمنطقة أو مدينة معينة، فمثلاً يُخصّص يوماً للزي الصبري، وآخر للزي العدني، وهكذا باقي الأيام، وتتميز هذه الاحتفالات برقصتي الشرح، والزيريرة. وحتى وقت قريب كانت ملابس العروس ومستلزماتها توضع بحقيبة معدنية "شنطة".

أمّا رمضان فيكتسب في تعز ميزة إضافية، إذ تتناوب فيه زيارات الإفطار بين الأسر، وتصير (السبوسة) على رأس قائمة الإفطار، والحلويات مادته الرئيسة، وعادة يتجمع الرجال لمضغ القات سوية، فيما تشغل النساء بالزيارات القصيرة للأهل.



الأربطة والزوايا، التي ينقطع فيها المُربط للعبادة ومجاهدة النفس، وقد أُجزل الملوك العطاء لهذه الجماعات من المتصوفة، واهتموا بإنشاء بيوت "خوانق" اختلا شيوخ التصوف، ويُعد عبد الحميد بن عبد الرحمن الحيلوتي، ومحمد بن علي المقري، وعمر بن أبي بكر المشهور، وعبد العزيز بن علي النويري أهم علماء هذه الأربطة والمدارس، كما بُنيتْ دُور الضيف، المخصصة لاستقبال العلماء الوافدين من أنحاء العالم الإسلامي، وقد تدفق إليها مجموعة من كبار علماء المسلمين، لعل أهمهم الإمام مجد الدين الفيروز أبادي، صاحب المعجم الذائع الصيت "القاموس المحيط" الذي أُلّفه في اليمن، وشيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني، والإمام ابن الجزري.

137 **الناصية**

حاضرة إبداع وثقافة:

مدينة تعز عام 1949م، بعد انتقاله إليها.

في الضفة الأخرى، تُسهم تعز بحضور مميّز في المشهد السردى والشعري، ففي السرد "قصة ورواية" استطاع بعض كتابها الانطلاق نحو فضاءات إبداعية تجاوزت المحلية، ومنهم: محمد عبد الولي، علي المقري، محمد عبد الوكيل جازم، ريان الشيباني، بشرى المقطري، أحمد غالب الجرמוزي، عز الدين سعيد أحمد. كما

ثمة ما يُباهي به تعز أيضًا، فهي ليست تاريخاً ارتبط بالريادة في جوانب السياسة، والتعليم، فحسب، لكنها عاصمة للثقافة والفنون والآداب، ورائدة لحراك معرفي وإبداعي لافت، يتصدره معلمان حديثان لتعز؛ مؤسسة السعيد للعلوم والثقافة، وجامعة تعز، ومعهما إنسان يتوق لاستشراف المستقبل، فمن رحم تعز خرج خيرة مبدعي الوطن، ولا تُذكر تعز إلا ويذكر معها النشيد الوطني بحنجرة فنان الشعب أيوب طارش عبي، وكلمات الشاعر عبدالله عبد الوهاب نعمان "الفضول"، اللذين شكلا ثنائية إبداعية، متجذرة في الوجدان، والأمر ذاته ينطبق على الفنان عبد الباسط عبي والشاعر سلطان الصريمي.

مبدعو تعز كثر، فلا يخلو مجالاً من مجالات الفن والإبداع من ريادة تعزية، ففي الفنون الجميلة "رسم وتشكيل" يطل اسم "هاشم علي" بوصفه واحد من رواد الفن التشكيلي اليمني والعربي، مع وجود أسماء أخرى نقشَت حضورها بفاعلية في المشهد التشكيلي، كحكيم العاقل، ورشاد السامعي، ووليد دلة، وآخرين. وغير بعيد عن جماليات الصورة، فقد عدَّ أحمد عمر العبسي رائدًا لفن التصوير الفوتوغرافي في اليمن والجزيرة العربية، بافتتاحه أول استوديو تصوير في مدينة عدن سنة 1930م، ثم افتتح استوديوها مماثلًا في



■ هاشم علي .. رائد
الفن التشكيلي في اليمن

تحتفي تعز بقامات شعرية سامقة ومؤثرة كـ "أحمد الجابري، د. سلطان الصريمي، عبدالله عبد الوهاب نعمان، محمد عبد الباري الفتيح، عبده عثمان، محمد عبد الوهاب الشيباني، سعيد الشيباني، عبد الله سلام ناجي، القرشي عبد الرحيم

المسيح، سينما 23 يوليو بباب موسى، سينما الجميلية. وقد أدت هذه الدُّور نشاطاً تنويرياً، ولاقت شعبية كبيرة، وفي الغالب كانت تعرض أفلاماً هندية، وعربية، وأمريكية. وكانت تحتوي دار السينما على قاعتي مشاهدة؛ الصالة العادية، والبلكون، وعادة يكون البلكون مخصصاً للعائلات.

مع التأكيد على عدم وجود سينما في ذلك الوقت، إنما اقتصر عمل هذه الدُّور على العرض السينمائي، أو حتى المسرحي، لكنه كان مميزاً، وشاهدًا على مرحلة مضيئة، اتسمت بالاعتدال والانفتاح، وانزواء مؤشرات الغلو، لكن تغير الحال بمنتصف التسعينيات، فظهرت حملات مسعورة استهدفت السينما والفكر عموماً، وتنتج عنه إغلاق هذه الدُّور، كمقدمة لحملات تالية مهدت لما هو أبعد من ذلك!!

(*) كاتب ومحرر صحفي

سلام، عبد الفتاح إسماعيل، علي بن علي صبرة ... إلخ. ومثلما مارست تعز دوراً تاريخياً ريادياً كحاضرة سياسية لليمن، فمن المؤكد أنها استطاعت أن تضيف لنفسها امتيازاً آخر، كرائدة حراك ثقافي وإبداعي عميق وصاحب.

ضريبة نجاح:

مثلت تعز طوال الفترة الماضية - منذ قيام الثورة ضد الحكم الإمامي - مركزاً ثقافياً وحيوياً وازناً، وتعزز دورها التنويري بوسائل متعددة، ومن تلك الوسائل، دُور السينما، إذ تميزت حقبة سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي، بانفتاح وتسامح، الأمر الذي جعل وجود دُور السينما أمراً طبيعياً، وبلغ عدد هذه الدُّور في مدينة تعز وحدها 5 دُور هي؛ سينما بلقيس، تقع بالسوق المركزي القديم، بالقرب من شارع التحرير، سينما سبأ، تقع في شارع التحرير، سينما المسبح، بحي



■ إحدى مصانع مجموعة هائل سعيد أنعم بمدينة تعز.

المجتمع المدني في اليمن يزرع تحت التعسفات والقيود

تقرير - هناء عبدربه ٢٠٢٣

على امتداد التاريخ السياسي لليمن، خضعت بيئة الفضاء المدني لتحديات متعددة في شطري البلاد، وكان المشهد العام يبدو معتماً ومقيداً حتى في أوقات ما قبل الحرب، ما يدل على تأثره بالتقلبات المزاجية للسياسة.

خلال ذلك ظهرت سياقات كثيرة للبيئة المدنية كان أبرزها الشكل المدني في عدن إبان الاستعمار البريطاني لجنوب البلاد، حيث اعتبر نقطة البداية للمجتمع الأهلي في عدن إلا إنه كان محدوداً وبسيطاً، رغم استلهاً المناطق الخاضعة لحكم الإمامة في شمال الوطن من التجربة العدنية.

جاء ذلك بعد تحفيز الحركة التعليمية وإنشاء النوادي الخاصة بها والتي بدورها شكلت ضغطاً على حكومة المستعمرة البريطانية، خاصة مع إنشاء مصافي عدن 1952 وظهور النقابات العمالية وزيادة تدفق الوافدين.

خلال تلك الفترة شجعت السلطات البريطانية على إنشاء الجمعيات الخيرية والنسوية والأندية الثقافية والأدبية، فيما حظرت أي تحرك سياسي، لكن ذلك لم يدم طويلاً فقد عاشت هذه الأندية فرض رقابة ووضع أولويات يجب أن تتبعها، كالاهتمام بالمناسبات الأجنبية حصراً وهو ما أثار غضب هذه الجهات وجعلها تبني أفكار قومية لإنشاء جمعية المرأة العربية عام 1956 من قبل نساء عدنيات وهو انشقاق عن أحد الأندية التي أسست من قبل زوجة حاكم عدن.

وأسهمت النقابات العمالية بقوة في اندفاع النوادي والجمعيات الأهلية على خوض غمار السياسة، وهو الأمر الذي صب في صالحها وتوسعت أدوارها الاجتماعية وشملت مجالات كثيرة كابتعاث الطلاب وإقامة الأمسيات الثقافية والسياسية وغيرها من الأنشطة، إضافة لظهور أحزاب وتيارات مناوئة لحكم الإمام يحيى حميد الدين في شمال اليمن قبل أن تجمد السلطات البريطانية هذه الأحزاب.

بدأت الحالة المدنية في شمال اليمن الذي كان يعيش تحت حكم الإمامة منذ ثلاثينيات القرن الماضي ضعيفة مقارنة بالجوار، ما عدا وجود أندية أدبية مشابهة لنوعية الأندية

في عدن. كان قد مضى الإمام آنذاك في سحب البساط من تحت أقدام الجميع، كرجال الدين الذين يحظون بثقل اجتماعي وقبلي، وأبناء الأسر القبلية والهاشمية الذين لا ينتمون لنفس أسرته، ورغم القمع الذي بدأ مبكراً من بعد خروج الاحتلال العثماني من شمال اليمن، ظهرت معارضة سياسية قوية ومناهضة للحكم الامامي، كانت أقوى حتى من المعارضة في جنوب الوطن.

مع مرور الوقت وارتفاع حدة المعارضة في الستينات، برزت في المناطق الوسطى والجنوبية من شمال اليمن، جمعيات أهلية كان لها دور ملحوظ في تحسين جودة الحياة العامة بفضل التحويلات النقدية الآتية من المغتربين في دول الخليج، تسببت في ازدهار العمل الأهلي اجتماعياً وثقافياً وتنموياً، استمر ذلك حتى السبعينات مع ولادة دولة جديدة شجعت حينها العمل الأهلي وسعت لتجعل التنمية جزءاً من عملها.

ولادة جديدة:

بعد ولادة دولة الوحدة اليمنية في مايو/ أيار 1990 شهد المجتمع اليمني حالة من النمو، فازداد معها عدد المنظمات الأهلية بشكل ملحوظ، وأفسح لها النظام آنذاك حيزاً واسعاً، رغم أن هذه المنظمات أخذت الشكل التقليدي للجمعيات الأهلية السابقة أو بنت نفسها على هامشها، وهو ما اعتبرته الدراسة الصادرة من مواطنة لحقوق الإنسان، "خاصية أساسية للمجتمع المدني في اليمن تستدعي الإقرار بأن المجتمع الأهلي قبل الوحدة لم يكن مجرد مرحلة بدائية لمجتمع مدني ذو سمات جوهرية مختلفة، بل هو في قلب المجتمع المدني الحديث ويحيط به من جميع جوانبه".

خلال السنوات الأولى للوحدة اليمنية أتيحت مساحة واسعة للمجتمع المدني، مع توازن القوى الحاكمة، خاصة الحزبين الحاكمين "المؤتمر والإصلاح" اللذان انقلبا بعد حرب 1994 واعتبرا المجتمع المدني عدوهم اللدود والبذرة التي تغذي قوى "الشُر والتمرّد" في الجنوب بحسب رؤيتهما للوضع. تحولت الحرية المحدودة التي حظي بها المجتمع المدني قبل ذلك إلى استهداف وقمع طال الصحف ومنظمات المجتمع المدني والعمل النقابي، وأغلقت الكثير من الصحف والمنظمات لهذا الداعي، مع أن الحزبين الحاكمين قد سعيا قبل حرب 1994 لاستقطاب المجتمع المدني سياسياً وإنشاء الجمعيات التابعة له لإغراقه والتدخل في شؤونه.

بعد ذلك سعى النظام لإجراء تعديلات دستورية تتيح للمجتمع المدني مزيداً من الحريات، لكن الواقع كان مختلفاً تماماً، فاستمرت صورة التهميش والقمع مع خذلان

المجتمع الدولي للمجتمع المدني في اليمن، لإرضاء النظام السابق ودفعه نحو التنمية والسلام على اعتبار إنها دولة حديثة خرجت من حرب أهلية، استمر الدعم السخي واللامحدود دون رقابة على الأموال التي تذهب للدولة من أجل التنمية المستدامة ما شجع الدولة حينها على استبعاد المجتمع المدني من الشراكة.

بعد حراك العام 2011 افسح المجال للمجتمع المدني، وشكلت القوى المدنية ثقلًا تفاعلياً في الشأن الداخلي لليمن، وكانت عنصراً فاعلاً في مؤتمر الحوار الوطني الذي كان يرياه الفاعلون بحسب المبادرة الخليجية وأسست الحكومة شراكة معه خلال عامي 2013 و2014 الأمر الذي أناح له الحديث والتفاعل حول المستقبل السياسي للبلاد.

لكن اعتبرت الدراسة أن "الانطلاقة الجديدة للمجتمع المدني لم تستند في الحقيقة على قاعدة صلبة، بل جاءت في سياق مرحلة انتقالية يسودها الكثير من عدم اليقين، وتتسم بهياكل سياسية هشّة وغير متماسكة، وبانعدام الثقة بين الفاعلين السياسيين، وميول واضحة لاستخدام العنف من أجل عكس مسار التحول".

الواقع الحالي:

أفادت دراسة "الفضاء المدني في اليمن.. ديناميات القمع وصور التحدي"، التي أعدها مواطنة لحقوق الإنسان، إلى أن الأطراف المتحاربة، بعد العام 2014، مارست أشكالاً متنوعة من القمع ضد فضاء المجتمع المدني أثناء النزاع، شملت قيود وتدابير إدارية وقانونية، وإجراءات تعسفية، وانتهاكات وأعمال انتقامية خارج القانون.

وقد أفاد 94,3% من المشاركين في الدراسة عن تعرضهم بصورة مباشرة للتعسف وقيود وإجراءات عنيفة خلال فترة الصراع، وتضم هذه النسبة جميع مكونات المجتمع المدني.

وعمدت الحكومة المعترف بها دولياً إلى تبني سلوكها القمعي التقليدي على كل ما هو مدني، مع وجود شراكة هزيلة مع المجتمع المدني، فهي تجدد حبال الصلة لحاجات وسياقات متغيرة بحسب ما تريد.

مزاجية السلطة في التعامل والأخذ من المجتمع المدني يؤكد على أن السلطة الحالية غير متجانسة الأطراف، لم تتعد كثيراً عن السلطة السابقة التي حولت الفضاء المدني لساحة من ارهاصات، وهذا يُظهر أن السلطات الرسمية لا تشرع المجتمع المدني.

أما الأطراف المتنازعة الأخرى، فقد أخذت المجتمع المدني كل منها على منوال صنفه بنفسها، حسب ما تقتضي الضرورة السياسية، فالمجلس الانتقالي الجنوبي يعتبر

أن وجود منظمات المجتمع المدني، وجود شمالي متجذر في البنية المجتمعية في الجنوب والمهيمن في كل البلاد.

الحوثيون، أو كما يطلقون على أنفسهم (جماعة أنصار الله) هم أيضاً عمدوا إلى كمش هوية المجتمع المدني وتعويضه بمجتمع بديل مناسب له كسلطة، ويسعون بوتيرة قوية ومتسارعة بإنشاء جمعيات تابعة لهم وجهات تعمل في الجانب الإغاثي "هيئة الزكاة" عوضاً عن المنظمات الإغاثية.

ولجأت هذه الأطراف للسيطرة على فضاء المجتمع المدني في اليمن، وتكييفه حسب ما يسعى له كل طرف، وسعت لتقييده بطرق قانونية أو باستغلال نقاط قانونية بأشكال ملتوية للذراع.

التأثر بالممارسات القمعية:

وبحسب الدراسة، تسببت سياسات القمع التي انتهجتها الأطراف المتحاربة في آثار سلبية كبيرة أضرت بالفضاء المدني بصورة واسعة، كنقص التمويل للمشاريع النوعية وتوجيهها للبرامج الإغاثية التي حولت كثير من الجهات توجهاً من أجل الحصول على تمويل يعزز من عمل منظماتهم، ما هدد استدامة المشاريع والأنشطة للمنظمات التي قد يتقلص عملها أو يختفي.

إضافة إلى التأثير على أداء المنظمات العاملة ومحاولة وضع الأحجار على طريقها، والتعسف ببعض الإجراءات والمنع والايقاف للأنشطة وغيره، وبالمقابل هناك منظمات استطاعت أن تستجيب للسلطات الحاكمة التي تتواجد فيها وتعمل معها بمرونة عالية. لكن ارتفاع العراقيل التي تضعها الأطراف المتنازعة سببت انحسار في نمو المجتمع المدني خاصة في مناطق سيطرة أنصار الله (الحوثيين)، فيما ارتفعت نسبة المنظمات الناشئة أثناء النزاع في مناطق سيطرة الحكومة والمجلس الانتقالي ومناطق القوات المشتركة.

بحسب الدراسة فإن المنظمات المشمولة في هذه الدراسة أكدت على استقلاليتها عن الأطراف، ووصفت علاقتها بها بالهدوء والاستقرار، ويبين هذا التعايش بين منظمات المجتمع المدني والأطراف أنه هدوء قد مر بمراحل من التباين والنزاع، لكن رغبة المجتمع المدني في تجاوز هذه العراقيل، هي تعبير عن محاولة النأي عن أي صدام قد يضر بعملها.

العاملون الحقوقيون على مرمى حجر:

خلصت الدراسة إلى أن الناشطين والناشطات يعيشون أوضاعاً مقلقة بسبب القمع الذي يتعرضون له من الأطراف المتنازعة، مما يجعلهم على مرمى حجر من الأذى لهذه الأفعال، وأجبر ذلك كثير منهم على السفر إلى خارج البلاد أو التوقف عن النشاط الذين يقومون به إشاراً منهم للسلامة وعدم التعرض للأذى.

واعتمدت السلطات المسيطرة أسلوب قمعي يهدف إلى تقييد تحركات الناشطين أثناء العمل أو حتى للسفر سواء داخل مناطق الجمهورية أو خارج البلاد، من خلال عرقلتها للتحركات الداخلية وعدم تحرك المرأة إلا بمحرم، والأهم من ذلك حرمان المرأة من حق استخراج وثيقة جواز السفر إلا بوجود محرم.

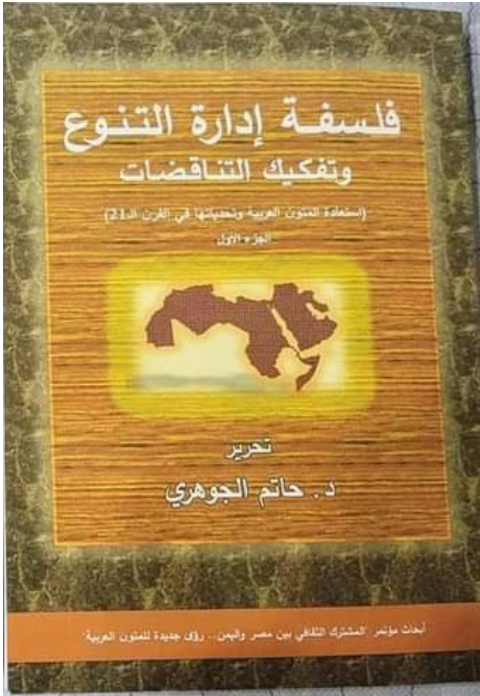
أما المجتمع فهو الآخر يشكل ضغطاً كبيراً على الناشطين مما يدعو العائلات إلى سحب أبنائها، ولا سيما النساء التي تستهدفهن قيود لا نهاية لها تجبر عائلاتهن إلى الرضوخ لضغط المجتمع والسلطات التي ترض عليهن عن طريق حرمانهن من التنقل بمفردهن أو استخراج جواز سفر كإنسان راشد. وتنتهي الدراسة إلى أن الفضاء المدني في اليمن مشحون بالقمع والانتهاكات ومحاولات التطويع لصالح السياسات على مدى التاريخ الحديث.

هذه البيئة غير الآمنة التي يعيشها المجتمع المدني والمدافعون الحقوقيون والصحفيون أثرت على الحريات التي ينشدها المجتمع المدني نتيجة للتدخلات المستمرة من الحكومة وأطراف النزاع، على الرغم من أنها سمة قديمة متوارثة في الأنظمة اليمنية وقد تבעتها الأطراف الأخرى باستماتة عالية، وذلك ما جعل الفضاء المدني يرضح تحت التعسفات والقيود القمعية التي تمارس بحقه، بسبب شعور هذه الأطراف المستمر بخطورة المجتمع المدني على مكوناتها.

[الكتابات والآراء تعبر عن رأي أصحابها ولا تمثل في أي حال من الأحوال رأي إدارة يمن

فيوتشر]

تاريخ المشترك الثقافي بين مصر واليمن في كتاب موسوعي (التاريخ الذي لا يكتب كالأحلام التي لا تُفسر) ق. م



حينما ذهبت إلى معهد البحوث والدراسات العربية، التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو) في جامعة الدول العربية، بيت العرب الأكاديمي الجامع - الذي أمضيت في رحابه عامين كاملين بمنحة من مؤسسة أكاديمية دولية، وفي هذين العامين توطدت علاقتي الطيبة بإدارة المعهد وعمادته الرشيدة - مما شجعني على أن أحمل في زيارتي الأسبوعية إلى المكتبة ومقابلة مشرفي العلمي الأستاذ الدكتور/ محمد محمود الطناحي، رئيس وحدة الدراسات والبحوث في المعهد بتاريخ 10 إبريل 2022م مقترح الدكتور حاتم الجوهري بشأن تأسيس معهد للدراسات الثقافية العربية المقارنة أو على أقل تقدير قسم

خاص بهذه الدراسات تبناه جامعة الدول العربية بوصفه مجالا علميا جديدا، وقد رحب سيادة الأستاذ الدكتور محمد مصطفى كمال مدير المعهد بفكرة هذا المشروع الطموح وأبدى استحسانه وتفهمه للفكرة والمشروع، ووعد ببذل كل ما يستطيع القيام به لهذا الغرض. وذلك انطلاقا من أهمية المشروع ومسوقاته المستقبلية إذ تواجه العلوم الاجتماعية والإنسانية العربية - اليوم - جملة واسعة ومعقدة من المشكلات الاجتماعية والإنسانية الحيوية على مختلف الأصعدة النظرية والمنهجية والتطبيقية، مشكلات إبستمولوجية عامة تتصل بأزمة العلم ذاته ومشكلات عملية تتصل بحياة المجتمعات العربية بنسب متفاوتة فضلا عن القضايا الإنسانية العالمية كمشكلة سباق التسلح والحروب والأمن والسلام الدوليين، ومشكلات البيئة الأرضية والأوزون، وصدام

وحوار الحضارات، ومشكلات الاقتصاد والتجارة والمال والأعمال العابرة للقارات، ومشكلات الفقر والصحة والمرض، ومشكلات التطرف والإرهاب والعنف، ومشكلات الهويات الطائفية والتعددية الثقافية، والأقليات والتمييز والتعصب والاستبعاد الاجتماعي، والهجرة غير الشرعية والاندماج، والمخدرات ومشكلات الفساد والبطالة والحركات الاجتماعية والثورات، وقضايا حقوق الإنسان والمرأة والطفل والشباب، وكل ما يتصل بالحقوق المدنية، ومشكلات التربية والتعليم والجودة والاعتماد الأكاديمي، ومشكلات السياسة والنظم السياسية والعدالة والحرية والديمقراطية والمجتمع المدني والعدالة الانتقالية. والمشكلات الأخلاقية للعلم؛ كلاستنساخ، وزراعة الأعضاء، ومنع الحمل، ومشكلات الفضاء السبرنيتي والأقمار الاصطناعية والوسائط الإعلامية والتواصلية الجديدة والآثار الاجتماعية لجائحة فيروس كورونا 19 فضلا عن المشكلات المستعصية التي تفتك بالمجتمعات العربية والإسلامية منذ زمن طويل ومنها: مشكلة الهوية والحروب الطائفية إذ تعيش مجتمعاتنا العربية اليوم حروب طائفية مستعرة في كل مكان (شيعة، سنية، مسيحية، عربية كردية، في العراق وسوريا. ومسيحية، شيعية، سنية، درزية، في لبنان. وزيدية، حوثية، أثنا عشرية، سنية، سلفية، عشائرية، وجنوب، وشمال، في اليمن) يحتدم كل هذا في فضاء ثقافي نفسي مشحون بعنف رمزي، وهستيريا عصابية جماعية عدائية شديدة التحريض والانفجار (روافض، نواصب، خوارج، مجوسية، صفوية، قاعدة، أنصار الشريعة، حزب الله، أنصار الله، داعش والنصرة... إلخ) وغير ذلك من المشكلات الحيوية الأخرى.

والسؤال هو: ماذا بوسع العلوم الاجتماعية والإنسانية عمله بإزاء تلك القضايا الراهنة، فضلا عن التحديات المستقبلية إذ إن استشراف المستقبل والبحث فيه لم يعد اليوم من باب الرجم بالغيب أو التنجيم أو التنبؤ أو التخمين والظن والسطح الصوفي، بل غدا اليوم ضرورة حيوية وجودية واستراتيجية للبقاء والعيش في عالم تعصف به الأحداث و المتغيرات بخطى سريعة الايقاع (فلا مستقبل لمن فقد موقده و ضيع بوصلة اتجاهه) ويرى (توفلر) إن الأمم التي تجعل ماضيها هو مستقبلها تشبه ذلك الذي راح يبحث عن روح أجداده في رفات الرماد، فإيهما يحكم الآخر عندنا الماضي أم المستقبل؟!

وبدون تحرير المستقبل من الماضي لا يمكن لنا أن نتقدم خطوة واحدة إلى الأمام بينما تتراجع خطوات كثيرة إلى الخلف، لقد أصبحنا اليوم نهرب إلى الماضي ونقرأ فيه مستقبلا، فأضعنا الحاضر والماضي والمستقبل ولفظنا التاريخ في زوايا الهامش المنسي، هكذا سوف تكون مقاربتنا لموضوع بحثنا مزدوجة المعنى؛ إذ هي من جهة دراسة لوضع

العلوم الاجتماعية والإنسانية العربية الراهنة وممكنتها ومن جهة أخرى بحث في الآفاق المستقبلية لها في عالم باتت المعرفة العلمية هي مفتاح تقدمه وفي ظل الحضور المتزايد لخطاب العلوم الإنسانية والاجتماعية على الصعيد العالمي واتساع نطاق انتشارها وتمكينها وتوطئتها أكاديميا وثقافيا وإعلاميا في مختلف المجتمعات والبلدان وتخصيها بد(الخطابات البديلة) التي أخذت تنتشر في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، عبر فتح المزيد من المؤسسات الأكاديمية ومراكز الأبحاث والدراسات المتخصصة الرسمية والمدنية هذا فضلاً عن قيام الهيئة العامة للأمم المتحدة (اليونسكو) بإصدار العديد من القرارات والتوصيات والتقارير التي شددت على ضرورة نشر العلوم الإنسانية والاجتماعية وتميئتها في جميع الدول الأعضاء لأهميتها الحيوية في التصدي للمشكلات النوعية المتزايدة. "لا يزال للعلوم الاجتماعية الغربية أكبر تأثير على المستوى العالمي. لكن نطاق هذا المجال يتسع بسرعة في آسيا وأمريكا اللاتينية، لاسيما في الصين والبرازيل. وفي إطار أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، ينتج العلماء الاجتماعيون في جنوب أفريقيا ونيجيريا وكينيا 75% من المنشورات الأكاديمية. ويحتل مجال العلوم الاجتماعية ككل مرتبة متدنية في سلم الأولويات في جنوب آسيا، باستثناء عدد من مراكز الامتياز في الهند" (غودموند هيرنز وآخرون، الفجوات المعرفية: تقرير اليونسكو العالمي للعلوم الاجتماعية لعام 2010م. يُنظر: موقع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة). ويعد هذا الكتاب الذي بين أيدينا الموسوم بد(فلسفة إدارة التنوع وتجاوز التناقضات؛ استعادة المتون العربية وتحدياتها في القرن ٢١) الذي يقع في جزأين كبيرين، وصفحاته أكثر ٩٥٠ صفحة من القطع الكبير) ثمرة من ثمار التنسيق والتواصل بين معهد البحوث والدراسات العربية ومشروع الدراسات الثقافية المقارنة والسفارة اليمنية وهو يشتمل على جميع الأبحاث التي إجازتها اللجنة العلمية (لمؤتمر المشترك الثقافي بين مصر واليمن.. رؤى جديدة للمتون العربية) وقد تشرفت برئاسة لجنة العلمية تكونت من نخبة أكاديمية وعلمية متميزة في البلاد العربية من الزملاء الأعزاء والزميلات العزيزات التالية أسمائهم:

1. أ.د. محمد محمود الطناحي. (مصر)
2. د. حمود صالح العودي. (اليمن)
3. أ.د. محمد الناصر. (تونس)
4. أ.د. حسام الدين درويش(سوريا)
5. أ.د. خليل محمد عودة. (فلسطين)
6. أ. د. دولي كمال الصراف (لبنان)

7. أ.د. عمر كامل حسن. (العراق)
8. د. سليمة مسعودي. (الجزائر)
9. د. سعيد القميري (اليمن)
10. د. عبد الحكيم خليل (مصر)
11. د. عبد الكريم براهيم. (تونس)
12. د. أريج البدراوي. (مصر)

وعلى مدى عام كامل من التواصل والاتصال مع الباحثين والباحثات من مختلف الأقطار العربية، فضلا عن الدعم والتنسيق مع السفارة اليمنية في القاهرة ومعهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية، فضلا عن استفادتنا من المشاركة في مؤتمر المشترك الثقافي بين مصر وتونس. ورغم ما جرى من مفاوضات مرهقة جدا إلا أن اللجنة العلمية عملت كل ما بوسعها لضمان الجودة الأكاديمية للأبحاث والدراسات التي تم تقييمها وتحكيمها بدقة متناهية من قبل أعضاء اللجنة العلمية الموقرة كل في اختصاصه.

ورغم كل ما حدث من اضطراب إلا أنني اشكر الزملاء الأعزاء والزميلات العزيزات من أعضاء اللجنة العلمية على تعاونهم وتفاعلهم الكريم كما أهنيء الباحثين والباحثات اللذين بادروا بإرسال أوراقهم العلمية للمشاركة في المؤتمر برغبة وحماسة. مع خالص الاعتذار عن التأخير لأسباب خارج ارادتنا.

وكنت أتمنى أن يحتوي غلاف الكتاب على الايقونات الثلاث للسفارة اليمنية ومعهد البحوث والدراسات العربية ومشروع المشترك الثقافي والدراسات العربية المقارنة في غلاف الكتاب الأول وأن يتم تثبيت أعضاء اللجنة العلمية الذين ينتمون إلى مختلف الأقطار العربية في ظهر الكتاب حتى يكون للمشارك الثقافي العربي معنى ودلالة أكثر ولكن قدر الله وما شاء فعل.

والمهم في الأمر أن المؤتمر قد تم والكتاب صدر وهو للأمانة أهم وثيقة أكاديمية يتم إنجازها في مشروع الدراسات الثقافية العربية المقارنة.

وهذا الكتاب يُعدُّ من المراجع العلمية المهمة في حقل الدراسات التاريخية والثقافية المشتركة بين مصر واليمن. جاء الكتاب وهو أول كتاب شامل في تاريخ العلاقة بين مصر واليمن التي تمتد إلى مراحل موعلة في القدم، ربما إلى سبعة الف عاما مضت وذلك بحكم جوارهما الجغرافي واتصالهما البحري فكما أن باب المندب يعد منذ أقدم العصور بوابة مصر الجنوبية فكذلك شكلت قناة السويس بوابة اليمن الشمالية. وحينما فكرنا في طبيعة العلاقة بين مصر واليمن وجدنا أن الروابط والعلاقات الثقافية

بين البلدين أعمق وأكبر وأكثر مما كنا تصور. روابط جغرافية قديمة جدا وروابط اقتصادية وتجارية وروابط حضارية وثقافية مغللة في القدم وروابط أدبية وفنية وعلمية ودينية مستمرة عبر العصور وهذا ما يجعلنا في قلب مدرسة التاريخ الجديد. إذ يُعد فرنان بروديل من أبرز رواد مدرسة التاريخ الجديد في فرنسا، وقد أكد على أن التاريخ يجب أن يكون شمولياً أو لا يكون، "وهو يحتاج إلى العلوم الاجتماعية الأخرى، وقادر على تبني إشكال التفسير الجديدة التي تبتدعها هذه العلوم وتكييفها لأغراضه الخاصة. والتاريخ قادر بدوره على تقديم ما تفتقر إليه العلوم الأخرى، وهو البعد الزمني، الذي يمثل خصوصيته، ولا يهم في نظر بروديل أن أتهم البعض التاريخ بأنه (امبريالي) يريد ابتلاع كل شيء" وهو الامر الذي فعله بروديل حينما جعل من عالم البحر الأبيض المتوسط والعالم المتوسطي على أيام فيليب الثاني - وهذا هو عنوان الكتاب الذي أصدره عام 1949 - نموذجاً تطبيقياً لكتابة التاريخ بحسب المنهجية الشمولية التي يدعو إليها. وقد توصل بروديل من دراسته المستفيضة لهذا الموضوع إلى وجود شخصية تاريخية لهذا البحر. وقد تجلّى ذلك في وحدة النظم الاقتصادية والسياسية التي سادت في معظم الدول التي قامت على شواطئه.

وفي ضوء ما تقدم، فقد استنتج أحد الباحثين، أن الأفق التاريخي (الشمولي) عند فرنان بروديل كانت تسيطر عليه (موضوعة الحضارة) وهي تعني عنده: "مجموعة تاريخية يشملها نمط واحد من نظم الحياة المادية والروحية، والسمة الأولى للحضارة هي أنها حقيقة واقعية ذات مدة مفترطة في الطول، وسمتها الثانية هي أنها مرتبطة أوثق الارتباط بمكانها الجغرافي" إذ يقسم بروديل التاريخ إلى ثلاثة أزمنة في الزمان التاريخي وهي: الزمان الجغرافي والزمان الاجتماعي والزمان الفردي. وفي إطار هذا الفهم تبرز "امكانية لكتابة ثلاثة تواريخ ثانوية أو فرعية تصب كلها في ذات التاريخ الأصلي (الكلي) أو (الشامل): أولها تاريخ جغرافي (يهتم بدراسة الطبيعة أو المكان كتاريخ)، ثانيها: تاريخ ظرفي اجتماعي (يعنى بدراسة المجتمع والحضارة)، ثالثها: تاريخ حدثي (سياسي). ولا يعني هذا الاخير عودة مقنعة إلى المنهج التاريخي القديم، بل التأكيد على أن ثمة شروطاً تحدد الحدث نفسه وتسمح بإمكانه". وقد تمكّن بروديل من كل ما تقدم من إنجاز كتابه (البحر الابيض المتوسط والعالم المتوسطي على عهد فيليب الثاني) تاريخاً متعدداً لكنه واحد، لأن حركته تسير من البنية، أي من شروط لا مكان إلى الحدث.

هذا (الباراديم) في رؤية التاريخ والعالم من جديد هو الذي لمحتة وأنا بصدد كتابة ورقة بحثية في مدارات ما بعد (الكولونيالية). إنه البحر الذي يستحق القراءة منذ أقدم العصور ولا زال هو من يشكل ويعيد تشكيل العالم بمختلف الصور والأنحاء

وكل دراسة لأحداث ووقائع التاريخ الأرضية تظل قاصرة بدون أن تشتمل على فهم دور البحر وتأثيره المباشر وغير المباشر في حياة الناس الترايية. وليس هناك رابطة بين الشعوب أهم من المكان؛ فالمكان هو البعد الأساس للكائن الحي. كون، كان، مكان، كائن، كيان، كينونة، مكين، تمكين وغير ذلك من الأسماء والصفات التي تدل على المكان بوصفه كيانا مشخصا متعينا للعيان. فلا كيان بلا مكان وليس شخصا ذلك الذي لا ينتمي إلى أي مكان. فالمكان هو الثابت الدائم الذي يمنح الإنسان كينونته الوجودية في هذا العالم. ولا كينونة خارج المكان، إنه الأرض أو السطح الذي يحتوي الأجسام كلها بوصفها (كياناتا وكائناتا) محسوسة ملموسة يمكن رؤيتها بالعين المجردة أو بالتلسكوبات الرقمية. فلا شيء خارج الأمكنة التي تحيط بالكائنات من جميع الجهات. الأمكنة هي لغة الكينونة الأصلية التي تقول كل شيء دون أن تتكلم! صمتها يدل عليها وصخبها يمنحها هويتها. لغة بصرية وسمعية زاخرة بالمعاني والدلالات المفعمة والأسطح والأبعاد والامتدادات والتنوعات والانحدارات والفضاءات والألوان والضلالات بالألوان والظلمات. إنها قاع كل شيء وأصل كل كيان من الكون ذاته إلى أصغر ذراته. للأمكنة سطوتها وسلطتها القاهرة التي يستحيل الهرب منها أو تجاوزها فكل ما تستطيع الكائنات بإزائها هو التكيف معها بإعادة تأيئها بالوسائل الممكنة. وهذا هو كل ما يستطيع بلوغه الإنسان في هندسة المكان وتسويسه بما يجعله قابلة للعيش والتمكين أما الحيوانات فهي تعيش المكان بطبيعته الأصلية وبغريزتها الفطرية. الإنسان وحده عبر تاريخ الطويل الذي تمكن من منح المكان ملامحه الإنسانية بالفعل والنشاط والانفعال والبناء والتعمير والتنمية وبهذا المعنى يمكن القول: إن الجغرافيا تحضر بصور شتى أما التاريخ فهو ذاكرة الزمان والمكان. لقد شكّل المكان منذ الكينونة الأولى وما زال يشكّل ويستمر محور الرهان الجيوبوليتيكي في صراع القوى الفاعلة على كوكب الأرض وهذا هو موضوع كتاب روبرت كابلان انتقام المكان. فأين هو موقع الصين والعرب اليوم في صراع الأمكنة وتأکید حضور الكيان؟ يقول روبرت كابلان: "ثمة مكانٌ جيدٌ لفهم الحاضر، ولطرح الأسئلة حول المستقبل، وهو أديم الأرض، مع السفر فوقها بأبطىء ما يمكن" (ينظر، روبرت كابلان، انتقام الجغرافيا، سلسلة عالم المعرفة الكويتية، عدد 420، أبريل 2015. ذلك هو التقديم النظري الذي كنت أحمله حينما عرض عليّ الدكتور حاتم الجوهري فكرة تنظيم مؤتمر للمشاركين الثقافي بين مصر واليمن بعد نجاح ندوة المشترك الثقافي بين مصر والسودان الذي شاركت فيها في مقر حزب التجمع بطلعة حرب ونجاح مؤتمر المشترك الثقافي بين مصر وتونس إذ كنت عضوا فعالا في لجنته العلمية مع الدكتور حاتم الجوهري رئيس المؤتمر والدكتور عمر

كامل حسن المفكر الاستراتيجي من العراق العظيم والدكتورة أريج البدراوي إذ سبق وإن اشتركنا في ملف التدافع الحضاري المنشور في مجلة الفكر المعاصرة الصادرة عن الهيئة العامة للكتاب عدد 19.

وهذا ما جعلني أقبل بأن أكون رئيساً للجنة العلمية لمؤتمر (المشترك الثقافي بين مصر واليمن؛ رؤى جديدة في المتون الحضارية) كتب الدكتور حاتم الجوهري محرر الكتاب ما يلي "نبعت فكرة "مؤتمر المشترك الثقافي بين مصر واليمن.. رؤى جديدة للمتون العربية" من عدة رواقد اجتمعت معا لتشكل مساره الممتد طوال ما يقرب عام كامل الآن، بداية على مستوى المبادرة نفسها كانت دعوة سيادة المستشار/ عبد الرقيب منصور من السفارة اليمنية بالقاهرة في شهر مارس 2022م، وتحديدًا يوم انعقاد مؤتمر "المشترك الثقافي بين مصر وتونس.. الواقع والآمال" بأن دعا هيئة المؤتمر للقيام بـ "دراسة حالة" للعلاقات المصرية اليمنية، والخروج بمؤتمر يدرس المشترك الثقافي بين مصر واليمن ويؤكد على الصلات التاريخية والعميقة بين البلدين، ويرصف الطريق لمستقبلها في ظل الحاضنة العربية الأوسع والمشاركة". (ينظر: حاتم الجوهري، مقدمة كتاب، فلسفة إدارة التنوع وتفكيك التناقضات)

جاء الكتاب في ثمانية محاور، المحور الأول: المتون العربية.. بين تفكيك التناقضات واستشراف المستقبل. المحور الثاني: المشترك الثقافي العربي بين مصر واليمن.. رؤى وآفاق. المحور الثالث: الأدب الحديث وتجليات المشترك الثقافي بين مصر واليمن. المحور الرابع: أدوار وشخصيات علمية فاعلة بين مصر واليمن. المحور الخامس: الصلات التجارية التاريخية والهجرة بين مصر واليمن. المحور السادس: الأدب الشعبي والقديم وفنونه بين مصر واليمن. المحور السابع: التقاليد والعادات المشتركة بين مصر واليمن. المحور الثامن: المعتقد الشعبي وتمثلاته قديما وحديثا بين مصر واليمن. وقد عبّرتُ عمادة معهد البحوث والدراسات العربية عن تـمـنيـها العـالي لـهـذا الإنجاز الأكاديمي الثقافي الذي سوف يشكل إضافة معرفية مهمة للمكتبة العربية ورأت فيه لبنة أولى في مشروع الدراسات البينية للمشاركات الثقافية بين مصر والدول العربية فضلا عن كونه يأتي متسقا مع أهداف المعهد المتمثلة في تأهيل الكوادر الأكاديمية العربية المتخصصة في مختلف مجالات العلوم الاجتماعية والإنسانية وتعزيز أواصر العلاقات البينية بين البلدان العربية. إذ تزخر المجتمعات العربية الراهنة بتراث ثقافي وحضاري مشترك غني، ففي كل بلد عربي يوجد مستودع خصيب للهوية الثقافية العربية المشتركة المتمثل في اللغة والعادات والتقاليد والقيم والمعتقدات والنقوش والآثار والأزياء والأطعمة والرموز وغيرها. كل تلك المقومات تجعل الإنسان العربي في

كل قطر يقيم به إنسانا مندمجا ثقافيا ولا يشعر بالغربة والاغتراب إلا حينما يتذكر جواز السفر الذي يحمله بوصفه موطنا من دولة عربية أخرى. وحينما ننظر إلى المتون الحضارية العربية اليوم ونحن في مطلع القرن الحادي والعشرين نشاهد مدى تاريخي زاخر بالمتون الحضارية إذ تربض الدول العربية الراهنة على تنويعه حضارية تليدة كانت تشكل نصف حضارات العالم القديم فها هنا تقع أقدم حضارات الدنيا حضارة وادي النيل مصر والسودان وفي جنوب البحر الأحمر والجزيرة العربية تقع أرض الجنتين كما جاء في القرآن الكريم وموطن الملكة بلقيس وبلاد العربية السعيدة وأهل الحكمة والإيمان بحسب السنة الشريفة ومعقل الحضارات التليدة معين وسبأ وحميز وقبآن وأوسان وحضرموت وبوابة العرب الجنوبية على المحيط الهندي والبحر العربي وخليج عدن وبلاد سام بن نوح وجنات عدن.

وهناك في بلاد الرافدين ازدهرت (سومر وأكد وبابل واشور وكلدان) وفي الشام ازدهرت حضارات (فينيقيا وأمور وكنعان وكيش) وهناك تنويع حضارة ازدهرت في المغرب العربي والشمال الأفريقي منها؛ الليبية والفينيقية والقرطاجية والامازيغية والرومانية وغيرها إذ يزخر العالم العربي والشمال الأفريقي بتراث حضاري وثقافي غني جدا فيه نشأت نصف حضارات العالم القديم المزدهرة على الأقل، من جبال الأوراس إلى النيل والفرات واليمن وشبه الجزيرة العربية وما بينهم.

وقد وجدنا إن القواسم المشتركة بين البلدان العربية زاخرة بمقومات وموارد كثيرها منها: الجوار (الجيوپوليتيكي) والتجانس اللغوي والمشارك الديني وبحسب نظرية الانتشار الثقافي تبادلت أغلب الشعوب والحضارات المتجاورة نفس المعتقدات والمبادئ الدينية الأساسية، مع وجود بعض الاختلافات التي تعبر عن خصوصية كل حضارة. ففي منطقة الشرق الأوسط انتشرت الأديان الإبراهيمية الثلاثة (اليهودية والمسيحية والإسلام) في مراحل تاريخية متعاقبة وجاء كل دين مكملا للدين الذي سبقه. إذ ظلت العناصر المشتركة حاضرة فيها بصيغة أو بأخرى ومن أشهر العناصر المشتركة بينها، قصة الخلق والتكوين وآدم وحواء والصوم والصلاة والتعاليم الأخلاقية الأساسية فضلا عما تتيحه ثورة المعلومات والاتصالات الجديدة أصبح العالم مجالا لرؤية ومكان مكشوف للجميع؛ فتحطمت كل الحواجز والحدود التي كانت في الماضي القريب تفصل بين الشعوب والثقافات والدول. إذ كان العرب حتى عهد قريب يعيشون كما لو كانوا في عوالم مختلفة، وقد وجدوا أنفسهم فجأة جنبا إلى جنب، في ظل عالم شديد التناقض والاضطراب ففي حين يبدو المشهد التواصل للعالم ينحو حثيثاً نحو التقارب والتجانس والتناغم والتداخل نلاحظ إنه يشهد في الوجه الآخر عمليات

مستمرة من الصراع والتنافر والتباعد، حيث "إن العمليات المصاحبة للعلومة والتركيبات البنائية الداخلة فيها أكثر تعقيداً من أن يعبر عنها بالقول ببساطة بأنها عمليات لتوحيد العالم أو لجعله قرية واحدة. وربما يكون هذا هو التناقض الرئيس الذي أفرزته العلومة وموجاتها المتلاحقة في تشكيل صورة العالم الجديد وصورتنا كذلك؛ فما السبيل لتجاوز تلك اللحظة الخائفة؟ السنا بإزاء متون حضارية وثقافية مشتركة وقابلة للتفعيل والتوظيف الإيجابي الفعال للنهوض من جديد؟ تلك الأسئلة وما يتصل بها هي التي تم بحثها في كتاب مؤتمر المشترك الثقافي الأول بين مصر واليمن؛ رؤى جديدة في المتون الحضارية، وقد جاء الكتاب في سبعة محاور ونوجزها في الآتي:

المحور الأول: حُصص هذا المحور للنطاق النظري بعنوان: "المتون العربية، بين تفكيك التناقضات واستشراف المستقبل" وفي إضامته أربع أوراق بحثية: الأولى لحاتم الجوهري بعنوان: "استعادة المتون العربية: فلسفة إدارة التنوع وتفكيك التناقضات وتحدياتها"، والثانية لعمر كامل حسن بعنوان: "التحديات الجيوسياسية للمتون العربية: صعاب وممكنات"، والثالثة لقاسم المحبشي بعنوان: "المتون الحضارية: السياق الثقافي والمعرفي للمفهوم"، والرابعة ليمنى طريف الخولي بعنوان: "إعادة قراءة أصولنا ومتونها: تنضيد للمشارك في المنهجية العلمية المستقبلية". رؤية كلية تؤكد على الشكل العلمي والمنهجي للمتون القيمية والحضارية المستمدة من الذات العربية والدين الإسلامي وتجربته الحياتية، في مواجهة محاولة نزع الشكل العلمي والتجربي عن الحضارة الإسلامية، التي يستخدمها البعض كوسيلة للتأكيد على المسألة الأوربية ومتلازماتها الثقافية ومركزيتها في مواجهة كل الذوات الإنسانية الأخرى، وأكدت الورقة على تمثلات المشترك العروبي الإسلامي وما بينهما من احتواءٍ منطقيٍّ متبادل؛ فالعروبة قلب الإسلام وأرومته، والإسلام أفق العروبة وامتداداتها المتوالية. وأن هذا "المشارك العروبي" الذي يمثل الإسلام آفاقه العليا المتوالية، يتجسد عينا وواقعياً في عالمٍ معيش يضمُّ سبعاً وخمسين دولة، رسمت اليونسكو حدوداً حولها بوصفها عالم الثقافة الإسلامية أو دائرة الثقافة الإسلامية، باحتوائها السماح المتعايش لكافة مواطنيها في محيط متمكن وقادر على العبور إلى المستقبل.

المحور الثاني: جاء هذا المحور من الكتاب بعنوان: "المشارك الثقافي العربي بين مصر واليمن آفاق ورؤى" في أربع أوراق بحثية: الأولى: لثابت الأحمدى بعنوان: "المشارك الثقافي بين مصر واليمن: رؤية تاريخية وآفاق معاصرة، والثانية: لزينة حسين علي سهيل بعنوان: "المشارك الثقافي والصحافة المصرية ودورها في اليمن، دراسة تاريخية لنماذج من الصحف المصرية 1912-1942م"، والثالثة: لأمين أحمد علي فارح بعنوان:

”تحولات المشترك الثقافي بين مصر واليمن، الفترة بين عام 1962 إلى 1992م“، والرابعة: لصبحي عبد العليم نائل بعنوان: ”المشترك الثقافي العربي: وجهة نظر في الكوابع المعرفية والمجردة“.

المحور الثالث: وعنوان هذا المحور: ”الأدب الحديث وتجليات المشترك الثقافي بين مصر واليمن“، ليرصد المقاربات والتمثلات المشتركة في الأدب الحديث بين مصر واليمن، وشارك فيه كل من د. أحمد إسماعيل بعنوان: ”تمثلات الهوية العربية؛ قراءة في شعر: أمل دُنقل والبردوني“، د. ولاء أسعد عبد الجواد بعنوان: ”تجليات البطل الشعبي في الرواية المصرية واليمنية، وقائع حارة الزعف اربي ومأساة واق الواق أنموذجًا“ و محمد فؤاد مهيوب الكارمي بعنوان: ”المسرح بين اليمن ومصر.. جدل الفن والسياسة“ و خالد جودة بعنوان: ”النقد الأدبي والمشارك الثقافي المصري اليمني، أوليات أدبية بين مصر واليمن في فكر عبدالعزيز المقالح“ أنموذجًا“

المحور الرابع: وجاء تحت بعنوان: ”المشارك الثقافي المصري اليمني وشخصيات حاضرة بين البلدين“ وشارك فيه كل من عبدالرحمن صالح العبيدي بعنوان: ”مُرتضى الزبيدي ودوره بين مصر واليمن.. في النصف الثاني من القرن الثامن عشر“، د. نوار عبد العظيم بعنوان: ”الشاعر عمارة اليمني وسفارته إلى القاهرة في عهد الدولة الفاطمية.. النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية أنموذجًا“ وكتب د. شريف علي الأنصاري حول شخصيتين اشتغلتا بالفلك، وتعرض هذه الورقة لعالمين جليلين هما (ابن المجدي وهو عالم مصري، وابن العنز وهو عالم يمني وبينهما ما يقارب المائة عام) عاشا في القرنين التاسع والحادي عشر الهجريين.

المحور الخامس: وهو بعنوان: ”الصلات التجارية التاريخية والهجرة بين مصر واليمن“، وخصص هذا المحور لدراسة الصلات التجارية والتاريخية وظاهرة الهجرة المعاصرة بين مصر واليمن، وقدمها د. عوض عبد الرب الشعبي بعنوان: ”الصلات التجارية بين اليمن القديم ومصر وأثرها الحضاري“ و د. بلقيس عبدالوهاب صالح جعدان بعنوان: ”العلاقة التجارية بين مصر وممالك جنوب شبه الجزيرة العربية“، ودينا طمان ”الهجرة في مصر واليمن.. في ضوء التغيرات السياسية في منطقة الشرق الأوسط“، وزينب البكري بعنوان: ”بُن المخا بين مصر واليمن: إرث حضاري وتكالب استعماري.. منذ القرن الثامن عشر حتى احتلال عدن 1839م“.

المحور السادس: ويحمل هذا المحور عنوان: ”الأدب الشعبي القديم وفنونه بين مصر واليمن“، وقد كرس ليرصد تمثلات الأدب الشعبي بين البلدين بعنوان: ”الأدب الشعبي القديم وفنونه بين مصر واليمن“، متناولًا الحكايات والأساطير والشعر والمواال،

بأربع أوراق بحثية لمحمد عبده محمد بعنوان: "الأدب الشعبي المشترك بين مصر واليمن عبر التاريخ" وعبد القادر طريف بعنوان: "الشعر الشعبي بين مصر واليمن.. مشابهاً وجذور" وأبو الفتوح مساعد البرعصي بعنوان: "شعر البادية في مصر واليمن.. الشعر الشفاهي السيناوي والدان اليمنى أنموذجاً" و د. أحمد سعد إبراهيم إسماعيل عيطة بعنوان: "الموَال في كل من مصر واليمن، دراسة مقارنة في أنثروبولوجيا الفنون".

المحور السابع: وقد خُصص لبحث ودراسة "العادات والتقاليد المشتركة بين مصر واليمن"، وتناول فنون الأزياء والعمارة والمجالس العرفية والأمثال والطب الشعبي، ويحتوي على أربع أوراق بحثية هي: د. سامية قدرى بعنوان: "الأزياء الشعبية وتحولات الزمان والمكان.. مصر واليمن أنموذجاً" و د. مِي السَّيْد محمَّد مُرسي بعنوان: "عمارة البلدان الباقية شبام كوكبان- شالي سيوه.. دراسة أثرية مقارنة للطرز التقليدية"، وأحلام محمد عوض أبو نواره بعنوان: "المجالس العرفية ودورها في الضبط الاجتماعي بمصر واليمن.. قبائل أولاد على بمصر وقبيلتي العوالق وحاشد باليمن أنموذجاً" و د. منار عبد الحليم محمد ناصر بعنوان: "المشترك في الموروث الثقافي المصري واليمني.. الأمثال والأغاني الشعبية أنموذجاً" و د. سامح شوقي بعنوان: "العلاج بالأعشاب والنباتات الطبية بين مصر واليمن".

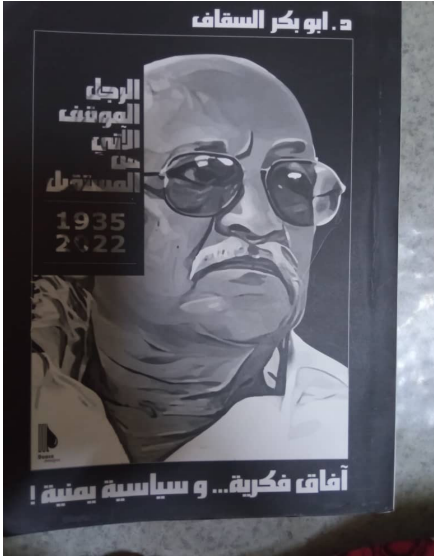
أما المحور الثامن والأخير فقد جاء بعنوان: "المعتقد الشعبي وتمثلاته قديماً وحديثاً بين مصر واليمن" ويشتمل على عدد من الأوراق البحثية لـ أريج البدر اوي زهران بعنوان: "أسطورة السحر بين الثقافتين المصرية واليمنية.. بحث في المشتركات السوسيوثقافية" و محمد عطبوش بعنوان: "طبقات التدين الشعبي في معتقدات الأولياء.. بين مصر واليمن" و د. ليبي عبد الله دماج بعنوان: "الكهانة ودورها في العهد القديم بين مصر واليمن".

ختاماً: يمكن القول إن إقامتي في مصر لغرض التفرغ العلمي قد مكنتني بالتعاون مع عدد من الباحثين المصريين والعرب من جمع تاريخ العلاقة بين مصر واليمن عبر آلاف السنين من التواصل والاتصال الثقافي الحضاري لأول مرة يتم جمع ذلك التاريخ المشترك في كتاب أكاديمي عالي الجودة والقيمة في جزأين كبيرين وقد تم ذلك بتعاون من السفير اليمني الدكتور محمد علي مارم وطاقم السفارة المحترمين. شكراً للأساتذة في اللجنة العلمية وشكراً للباحثين والباحثات الذين بادروا بالمشاركة بأوراقهم البحثية، والشكر موصول لكل من ساهم في إنجاز هذا الكتاب الذي سوف يرفد المكتبة التاريخية العربية بمعرفة علمية جديدة ومتبصرة في المتون الحضارية، وذلك بغرض مواجهة تحديات الحاضر إذ إن الرجوع إلى الماضي أو استعادة التاريخ لا يتم

من أجل التاريخ ذاته ولذاته، بل يكون حصراً بدافع من الحاضر وتحدياته الحيوية المباشرة الفورية الراهنة، بهذا المعنى نفهم قول فيلسوف التاريخ الإيطالي كروتشه: "التاريخ حاضر مستمر" إذ لا يوجد تاريخ ثابت أصلي نقي صافي محفوظ في غرفة مغلقة كما يحفظ الكنز، يمكن العودة إليه متى شئنا. وكل عودة أو استدعاء للتاريخ يجب النظر إليها تاريخياً، وتفسيرها في شروطها المتعينة، فطريقة استدعاء التاريخ والتراث وانتقاء المعطيات والوقائع والأحداث وتوصيفها وتأويلها وأنماط التعبير عنها وتوظيفها والهدف من ذلك التوظيف كل ذلك يُعبّر عن تفاعلات وعلاقات وصراعات القوى الاجتماعية السياسية المحتدمة في واقع الممارسة الحياتية للناس الإحياء الفاعلين في الحاضر هنا، والآن فالتاريخ هو ما تم وانقضى ويستحيل عودته ولا شيء يخرج منه ولا شيء يأتي إليه من خارجه. إذ هو دائماً فاعلية لأحياء الناس الذين يسعون لتدبير حاضريهم وتجاوز ماضيهم وحينما يكون الحاضر مشبعا بالحيوية والنشاط والفعل والفاعلية والفرح والإنجاز ينسى الناس الماضي بكل (عجره وبجره) ولم يعد يخطر على بالهم أبداً إذ يكون حاضريهم الزاخر بالحياة المفعمة بالإنجاز والسعادة، ومستقبلهم الواعد بالتجاوز الخلاق هو الذي يشد اهتمامهم وينسيهم ماضيهم، ومن السذاجة الطفولية الاعتقاد بأن رغبة الناس في استعادة ماضيهم هي حالة فطرية طبيعية ورثاً يعود سبب ذلك الاعتقاد الزائف في الثقافة العربية الإسلامية إلى العجز الطويل عن إنجاب حالة حضارية حديثة وجديدة تجعلهم ينسون ماضيهم وينهمكون في صناعة حاضريهم ويتطلعون ويخططون لبناء مستقبلهم الأفضل باستمرار فالمستقبل لا الماضي هو الجدير بالأهمية والقيمة والاعتبار في نظر وحياة كل الأجيال في كل زمان ومكان، وهذا أمر مرهون بالتاريخ وممكناته وليس بالإنسان ورغباته.

صحيح القول: إن الناس يصنعون تاريخهم بأنفسهم ولكنهم لا يصنعونه على هواهم بل في ظل الشروط التاريخية المعطاة لهم سلفاً من ماضيهم فالأموات يتشبثون برقاب الأحياء، والتاريخ دائماً وابداً هو أمام الناس لا خلفهم.

إصدارات



نواصل في هذا العدد تقديم عرض موجز لبعض الإصدارات الجديدة التي تمكنا من الحصول عليها.

عنوان الكتاب:

الدكتور أبوبكر السقاف: الرجل الموقف الآتي من المستقبل.
المؤلف: إعداد منتدى الجاوي الثقافي - صنعاء.

الطبعة: الأولى 2023م

جهة الإصدار: منتدى الجاوي الثقافي، ضمن إصدارات - آفاق فكرية وسياسية يمنية. (*)

الحجم: 400 صفحة من الحجم الكبير.

محتوى الكتاب:

إضافة إلى كلمة الأستاذ أمين قاسم بعنوان "وداعاً فقيده اليمن أ.د. أبوبكر السقاف" وكلمة للأستاذ عبداللطيف ضيف الله - منتدى الجاوي "أبوبكر السقاف - استاذاً ومفكراً وفيلسوفاً"، "وكلمة-لابد منها" للسيدة (يلينا جوريفا) زوجة الفقيد أبوبكر السقاف احتوي الكتاب على (36) مقالة ودراسة من المقالات والدراسات الفكرية والسياسية التي كتبها ونشرها أ.د. أبوبكر السقاف في الصحف والمجلات اليمنية خلال الفترة - نوفمبر 1981م إلى

أواخر التسعينات من القرن العشرين.
(*) يذكر أن منتدى الجاوي - صنعاء سبق وأصدر عام 2011م كتاباً للدكتور أبوبكر السقاف أعده الاستاذ منصور هائل حمل عنوان "الدكتور أبوبكر السقاف: دفاعاً عن الحرية والإنسان" تضمن عدداً كبيراً من المقالات والدراسات التي كتبها ونشرها أ.د. أبوبكر السقاف.

.....

عنوان الكتاب:

السهل في أساسيات البحث في القانون.
المؤلف: أ.د. يحيى قاسم سهل. (*)
تاريخ النشر: 2023م، الطبعة الأولى.
دار النشر: مطابع دبي، عدن.

(*) أستاذ القانون العام بجامعة عدن،
وابين.

.....

عنوان الكتاب:

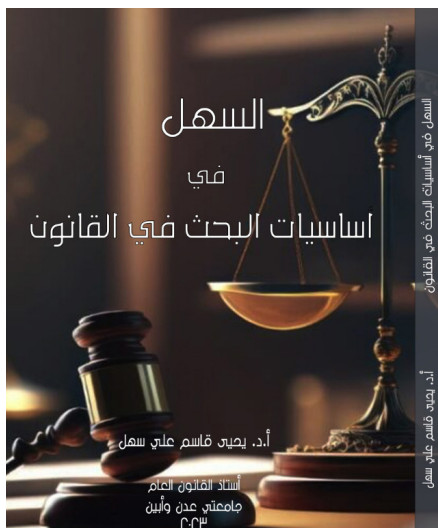
مستجدات وقضايا إسلامية معاصرة.
المؤلف: أ.د. خالد أحمد محمد الفقيرية.

(*)

تاريخ النشر: 2023م الطبعة الأولى.
دار النشر: دار الطبراني - اليمن، لحج.
الحجم: 415 صفحة، من الحجم
المتوسط.

محتوى الكتاب:

بالإضافة إلى الإهداء، والتمهيد تضمن
الكتاب سبع قضايا رئيسة تناولها المؤلف
في 23 مبحثاً، و28 مطلباً. تناول فيها -
مفهوم الإرهاب والأفراط ذات الصلة
من المنظور الإسلامي، - الأدلة الشرعية
في تحريم أعمال الجماعات الإرهابية، -
دعوة الجماعات الإرهابية للحوار والعودة
إلى طريق الحق، - ثورات الربيع العربي



الحجم 122 صفحة، من الحجم
المتوسط.

محتوى الكتاب:

تضمن الكتاب بالإضافة إلى الإهداء
الذي خصه الكاتب لروح الفقيد معاذ
يحيى قاسم سهل الطاهرة في ذكرى رحيله
الرابعة 2019م - 2023م.

علي (6) فصول على النحو الآتي:
تناول الدكتور سهل في الفصل الأول:
مفهوم البحث العلمي القانوني وأهميته
وأأنواعه. وفي الفصل الثاني: مناهج البحث
القانوني. وفي الفصل الثالث: عوامل نجاح
البحث العلمي القانوني. وفي الفصل الرابع:
مصادر البحث العلمي القانوني، وفي الفصل
الخامس: كتابة البحث العلمي القانوني. وفي
الفصل السادس: إخراج البحث العلمي.
واشتملت هذه الفصول على (18) مبحثاً،
وعدد من المطالب. واختتم الكتاب بقائمة
المصادر والمراجع.

فيها حلم الذات وطموحها بهوم الوطن. تناول فيها المؤلف بأسلوب أدبي رفيع مليء بالصور الأدبية البديعة والحوار الشائق بين الشخصيات جانب من صور من الحياة المظلمة والمؤلمة التي كان يعيشها اليمنيون في النصف الأول من القرن العشرين. ولذلك نجد المؤلف يتطلع إلى ولادة فجر جديد يُنير وجه حياة اليمنيين ويزيح عنهم آلام الجهل والتخلف وينقلهم إلى مستقبل أفضل يليق بهم كما يصوره ويحلم به المؤلف.

(*) صحفي، وكاتب أدبي، اليمن.

عنوان الكتاب:

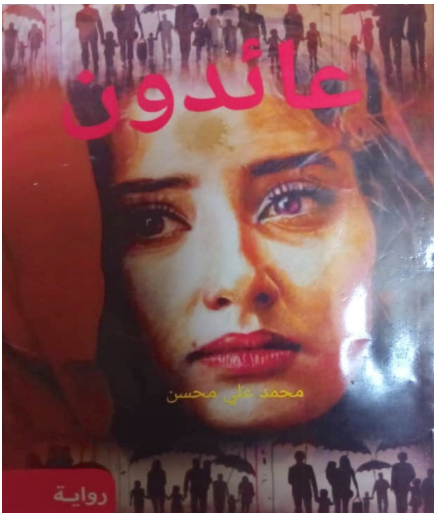
عائدون. (رواية)

المؤلف: محمد علي محسن. (*)

تاريخ النشر: الطبعة الثانية 2022

دار النشر: مطابع دي- الضالع.

الحجم: 123 صفحة، من الحجم الصغير.

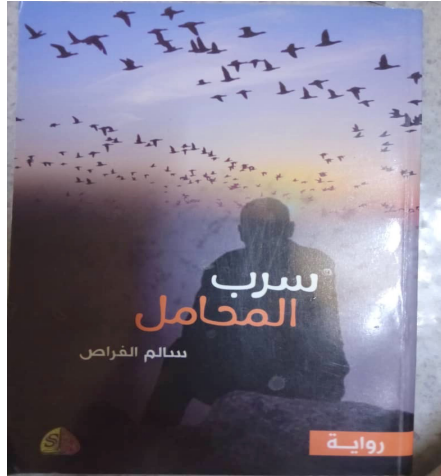


من المنظور الإسلامي، - أهم التحديات المذهبية في اليمن، - أمانة المجالس في التواصل الاجتماعي من منظور الفقه الإسلامي، - وحكم تعاطي القات".

(*) استاذ الفقه المقارن، كلية الشريعة والقانون، جامعة أبين، ونائب العميد للشؤون الأكاديمية.

عنوان الكتاب:

سرب المحامل. (رواية سيرة)



المؤلف: الأستاذ/ سالم الفرافص. (*)

تاريخ النشر: 2021م الطبعة الأولى.

دار النشر: مكتبة ومركز الصادق للطباعة

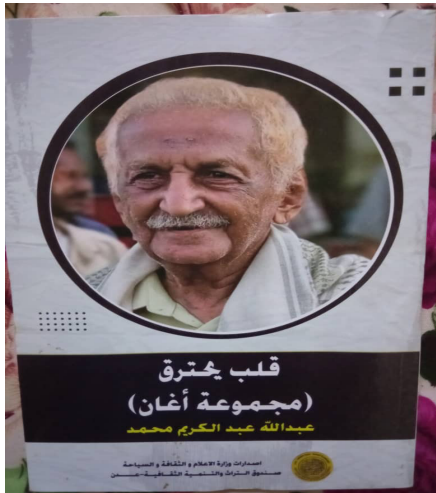
والنشر، صنعاء.

الحجم: 166 صفحة. من الحجم

المتوسط .

تُعَدُّ هذه الرواية (السيرة الذاتية) من أجمل

صور كتابة السيرة الذاتية، حيث يمتزج



والسياحة على 64 نصّاً شعرياً غنائياً
للأستاذ الشاعر عبدالله عبد الكريم محمد،
وصاغ ألحانها وغناها في الغالب الموسيقار
اليمني أحمد بن أحمد قاسم، وعدد آخر
من الفنانين اليمنيين أمثال: الأستاذ/ محمد
مرشد ناجي، محمد عبده زيدي، فرسان
خليفة، صباح منصر، أمل كعدل، أنور
مبارك، فضل كريدي ... وغيرهم.

(*) شاعر يماني من مواليد عدن عام
1944م. وصدر له بالإضافة إلى هذا
الديوان مجموعة شعرية بعنوان "يا سلام
عليك يا حب".

-تحدثت الرواية عن: الرحيل، وعودة كلا
من "صلاح الدين، محسن الفقيه، يوسف،
راحيل بن يامين، سلطان لحج، عبده
الصنعاني، أبراهيم، وفاء المصري، الأميرة
سالمة، الزعيم ... وكذلك تحدثت
عن: رحيل مها مامو، والعودة إلى أن شكا،
وقربتي لم تعد ولم ترحل، وعائد مع
العائدين، والرحيل".
(*) صحفي، وكاتب أدبي، اليمن.

عنوان الكتاب:

قلب يحترق. (شعر غنائي)

الكاتب: الشاعر عبدالله عبد الكريم
محمد. (*)

تاريخ النشر: 2023م الطبعة الأولى.

جهة النشر: صندوق التراث والتنمية
الثقافية، بوزارة الإعلام والثقافة والسياحة
- اليمن، عدن.

الناشر: مطابع الأديب عدن.

الحجم: 99 صفحة، حجم صغير.

محتوى الكتاب:

احتوى الكتاب "المجموعة الشعرية"
بالإضافة إلى مقدمة للأستاذ معمر بن
مطهر الارياني، وزير الإعلام والثقافة

الناصية

مجلة "فكرية ثقافية"

تهدف إلى الإسهام في نشر فكر وثقافة المواطنة والمدنية وحقوق الإنسان، والتأصيل الفكري لقضايا المواطنة والدولة المدنية، وتشجيع الإبداع الأدبي بنشر الإبداعات الأدبية والثقافية للأدباء والمثقفين اليمنيين وغيرهم.

قواعد ومحددات النشر:

- تُنشر مجلة "الناصية" الدراسات والأبحاث والمقالات والموضوعات التي:
 - تتسم بالعمق والدقة والموضوعية وتضيف جديداً للمعرفة.
 - تتلاءم مع قضايا ومجالات اهتمام المجلة وتوجهاتها وسياساتها العامة.
 - تتناول المجلة القضايا السياسية من منظور فكري، وليس بالأسلوب الصحفي المباشر.

حجم المواد والموضوعات التي تنشر في المجلة:

- يُشترط في البحث ألا يزيد حجمه عن "5000/6000" كلمة وألا يكون قد نُشر من قبل.
- يُشترط في الدراسة ألا يزيد حجمها عن "4000/5000" كلمة.
- الموضوعات المترجمة "بحث، دراسة، تقارير"، عن لغات حية ينطبق عليها الشرطان المحددان أعلاه من حيث الحجم.
- يُشترط في المقال ألا يزيد حجمه عن "1500/2500" كلمة.
- موضوعات عرض الكتب يُشترط ألا يزيد حجمها عن "1500/2000" كلمة وألا يكون قد مضى على صدورها أكثر من عامين، ويُستثنى من ذلك الكتب التراثية، وذات الأهمية والقيمة المعرفية العالية والهامة.
- *يحق لهيئة تحرير المجلة إجراء تعديل في حجم الدراسات والبحوث والموضوعات في حالات معينة وفقاً لإمكانيات النشر.

* ترسل الدراسات والموضوعات إلى المجلة عبر بريدها الإلكتروني "alnasayahclub@gmail.com" أو خدمة الواتساب (009677774782936 00967777808724) مطبوعة في ملف (word) مرفق بها اسم وعنوان الكاتب وعمله ومؤله العلمي.

* تحتفظ المجلة لنفسها بحق إجراء قدرأ محدود من التعديل في الموضوعات التي تصل إليها بما يتلاءم مع أسلوبها في النشر، بالتنسيق مع الكاتب وموافقته.

* الدراسات والبحوث والمقالات، والنصوص الخ، التي ترسل إلى المجلة لا تُعاد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

*الموضوعات التي تُنشر في المجلة يحق لكاتبها إعادة نشرها في كتاب فقط، مع الإشارة إلى المصدر الأصلي للنشر.

مؤسسة أمجد الثقافية والحقوقية

عنواننا:

_عنواننا: اليمن. المقر الرئيسي، عدن.

_هاتف: 002260082.

_جوال. 00967777808724000967733171039

_البريد الإلكتروني: Amgadfchr@yahoo.com

_ رابط صفحة "مدونة" المؤسسة في الانترنت.

https://www.facebook.com /مؤسسة-أمجد-

الثقافية-والحقوقية 100990208428465/-

_ الرئيس الدوري للمؤسسة. محمد عبد

الرحمن.

هاتف + واتس: 00967777808724. واتس:

00967714367122

إيميل. abdm8626@gmail.com

1 - تعزيز التنمية الثقافية الشاملة، والمشاركة

المجتمعية في التنمية الثقافية.

2 - نشر وتميعة ثقافة المواطنة والمدينة

وحقوق الإنسان.

3 - تنمية وتعزيز حقوق الإنسان الثقافية،

وتعزيز أعمال وانشطة المناصرة للحق في

التعليم، والحقوق والحريات الثقافية، وحرية

الفكر والابداع.

تركز المؤسسة عملها في القضايا التالية:

_قضايا التنوير والثقافة المدنية.

_قضايا الحق في التعليم والثقافة.

_قضايا الثقافة العامة، وتهيئة المواهب

الإبداعية الأدبية والفنية.

من نحن؟

_ مؤسسة أمجد الثقافية والحقوقية: هيئة

مدنية_ أهلية_ نوعية_ ثقافية_ فكرية_ بحثية_

انسانية، غير حكومية، وغير ربحية، مستقلة

وليس لها أية ارتباطات حزبية أو سياسية.

_ تعمل في مجال التنوير، والتنمية الثقافية،

ومناصرة الحق في التعليم والثقافة، ونشر ثقافة

المواطنة والمدنية وحقوق الإنسان.

_ تأسست بتاريخ 21/يونيو /2018م، وتم

إشهارها وبدء ممارسة أنشطتها في 24/اغسطس/

2020م

_ حاصل على تصريح التأسيس تحت

رقم (297) صادر عن وزارة الشؤون الاجتماعية،

أهدافنا ومجالات عملنا:

تهدف المؤسسة للإسهام في:

*برامجنا الأساسية:

تؤطر المؤسسة انشطتها في برامج رئيسة

تتصل

بالتربية المدنية والمواطنة للشباب والطلاب.

ونشر ثقافة السلام وحقوق الإنسان.

و الأنشطة الثقافية العامة.

كما تولي المؤسسة اهتماماً كبيراً للمطبوعات

لما لها من أهمية في نشر وتميعة الفكر والثقافة،

ولذلك فهي:

_ تصدر مجلتا هذه "الناصية"،

_ تسعى لنشر وإصدار مجموعة من

الإصدارات تحت عنوان "الكتاب غير الدوري"

تتصل بقضايا (التنوير، المواطنة، الدولة

المدنية، التعليم والثقافة).

_ تعمل مستقبلاً على إصدار مطبوعة "مجلة"

دورية خاصة بثقافة الطفل.

وداعاً



الأديب الكبير
محمد صالح حيدرة



الأديب الكبير أحمد
محفوظ عمر